المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
الشؤون المدرسية
إدارة المقررات

قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب بمدارسها وطبعه على نفقتها

التاريخ العربي القديم والسيرة النبوية

للصف الأول المتوسط

الطبعة الثامنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م يوزع مجاناً ولا يباع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

حرصنا في هذا الكتاب على أن تغطي موضوعاته بنود المنهج المقرر لمادة التاريخ في الصف الأول من المرحلة المتوسطة تغطية شاملة من جهة ، وأن تحقق أهداف المنهج من جهة أخرى ، بحيث تبعث تلك الأهداف في الطالب روح الاعتزاز بأمته العربية الإسلامية الماجدة وما قدمته من حضارات خالدة للأجيال عبر التاريخ .

ولقد أبرزنا سير الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله بالهدى ودين الحق ليؤمنوا للشعوب سبل الخير والرشاد إذا هم اتبعوا ذلك الدين القويم ، ولينذروهم بالهلاك والدمار إذا هم امتنعوا عن اتباعه وبقوا على ما هم عليه من ضلال وكفر واستكبار .

ثم إننا أبرزنا سيرة الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام كأعلى مثل فى الكفاح والتضحية والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق «حتى أظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون» .

تقصينا أوثق المصادر للوصول إلى أدق المعلومات والحقائق التى أوردناها فى هذا الكتاب وعرضناها بلغة مبسطة واضحة وبأسلوب يتفق وما نصت عليه الطرق التربوية الحديثة لتوصيل المعلومات لأذهان الطلاب على الوجه الأكمل.

من أجل هذا قسمنا الكتاب إلى أبواب وفصول ربطنا بعضها بمقدمات مناسبة ، وزودناها بالخرائط والرسوم اللازمة ودعمناها بالتواريخ التى تنمى في الطالب الحس التاريخي ، وربطناها بالبيئة وبالحقائق الجغرافية التى تلقى الضوء على ما قدمه الإنسان العربي من حضارة عريقة ، وتقاليد أصيلة كونت فى مجموعها التراث العربي الخالد .

واختتمنا كل باب بأسئلة تطبيقية شاملة منوعة لتكون بمثابة مراجعة منظمة ، وتقويم لما استوعبه الطالب.

وفى عرضنا للموضوعات حرصنا على النواحى التهذيبية التى جاءت بهاالرسالات السماوية ، وعلى رأسها الدين الإسلامى الحنيف - ذلك الدين الذى يعتنقه الآن أكثر من ثمانمائة مليون مسلم فى مختلف أنحاء العالم ، والذى جاء مصدقاً للأديان السماوية التى سبقته .

ويجدر بنا قبل أن نختم هذه المقدمة أن نلفت نظر الطالب والمدرس إلى اننا أوردنا الأسماء والتواريخ والجداول والرسوم العديدة لتبصر الطالب بالمزيد مما يتصل بموضوعات الدروس ولتنبه فيه الحس الزمنى وليس المقصود حفظها عن ظهر قلب .

ولما كان النشاط اللاصفى ضرورياً وهاماً من الناحية التربوية فإننا نأمل أن يبذل الطالب والمدرس أقصى جهد ممكن فى تحقيق هذه الأنشطة ونذكر منها على سبيل المثال : الرحلات للأماكن الأثرية ، ورسم مخططات المعارك التاريخية والغزوات التى قادها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتسمية الأسر المدرسية والفصول بأسماء الصحابة رضي الله عنهم مع التعمق فى دراسة شخصياتهم من مراجع ومصادر أخرى غير هذا الكتاب ، كما نأمل أن يسهم الطلاب بكتابة موضوعات تاريخية متصلة بمواضيع دراستنا ونشرها فى الصحف الحائطية سواء أكانت خاصة بهذه المادة أو صحفاً عامة، ولا بد هنا من أن يستعين الطالب بالمكتبة المدرسية ، ومن مجالات النشاط الأخرى : الاشتراك فى الندوات والمناظرات والمحاضرات كما يمكن رسم خرائط تاريخية وعمل نماذج ورسم لوحات ذات علاقة بالمادة .

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب لأبنائنا الطلبة وزملائنا المدرسين وإخواننا القراء ، نأمل أن نكون - فى هذا الجهد المتواضع - قد قمنا لهم بخدمة نافعة . والله الموفق .

منهج التاريخ فى المرحلة المتوسطة العامة

الصف الأول
(حصتان فى الأسبوع)

التاريخ القديم لجزيرة العرب والسيرة النبوية

أولا : التاريخ القديم لجزيرة العرب وما يتصل بها من دول:

(١) جزيرة العرب :
١ ـ موقعها .
٢ـ سكانها وأقسامهم .

(أ) العرب البائدة: عاد ـ ثمود ـ أصحاب الأيكة . سير أنبيائهم : (هود ، صالح ، شعيب) عليهم السلام .

(ب) العرب الباقية : القحطانيون والعدنانيون .

(٢) القحطانيون : دولهم فى جنوب الجزيرة العربية وحضارتهم .
١ـ دولة معين ـ سبأ ـ حمير: نشأة كل منها وامتداد نفوذها .
قصة بلقيس ـ قصة سد مأرب ؛ كما وردتا فى القرآن الكريم .
٢ ـ الأحباش والفرس في اليمن ـ قصة أصحاب الأخدود .

(٣) العدنانيون :
١ـالعرب فى الحجاز: أصلهم ـ أقسامهم ـ حياتهم الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

٢ـالعرب فى نجد : أشهر قبائلهم ـــ ملوكهم .

(٤) أهم دول ما بين الرافدين:
١ ـ الشعوب التى أسست هذه الدول: البابليون ـ الآشوريون ـالكلدانيون .
٢ ـ حياتهم الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية .
٣ ـ سيرة إبراهيم عليه السلام .

(٥) حضارة وادى النيل:
نبذة مختصرة عن الحضارة فى وادى النيل مع العناية بقصة النبيين يوسف وموسى عليهما السلام .

(٦) أهم دول شمال الجزيرة العربية :
١ـ الشعوب التى أسست هذه الدول: الأنباط ـ التدمريون ـ اللخميون ـ الغساسنة ـ العبرانيون .
٢ ـ حياتهم الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية .
٣ ـ دراسة سير الأنبياء (داود ، سليمان ، عيسى) عليهم السلام .

ثانياً: السيرة النبوية :
(١) موجز عن حالة العرب الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية عند ظهور الإسلام مع العناية بإبراز أهمية مكة وقريش .

(٢) مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ نشأته ـ زواجه بخديجة .

العهد المكى :
(٣) البعثة ـ الدعوة ـ الإيذاء ـ الحصار فى الشعب ـ الهجرة إلى الحبشة ـ وفاة خديجة رضى الله عنها ـ وفاة أبي طالب ـ خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

(٤) عرضه الدعوة على قبائل العرب ـ بيعتا العقبة الأولى والثانية ـ مؤامرة دار الندوة ـ هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة .

العهد المدنى :
(٥) انتشار الإسلام ـ تحويل القبلة .
(٦) غزوة بدر ـ أحد ـ الخندق ـ معاهدة الحديبية ـ فتح خيبر ـ فتح مكة ـ غزوة حنين ـ الطائف ـ تبوك .
كتبه ورسله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك العالم .
(٧) اليهود : تآمرهم على الدعوة الإسلامية ـ خيانتهم ودسائسهم ـ وغدرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ إجلاؤهم عن جزيرة العرب .
(٨) حجة الوداع ـ وفاته صلى الله عليه وسلم .
(٩) مكارم أخلاقه وشمائله .
(١٠) أسس المجتمع الإسلامي .

القسم الأول

التاريخ القديم للجزيرة العربية وما يتصل به من دول

تمهيد :

إن هذا المنهج يشتمل على التاريخ السياسى والحضارى القديم لأمتك العربية الماجدة فى العصور القديمة ، والدور البناء الذى قام به الأنبياء لهداية البشر إلى عبادة الله وحده ، ولإشاعة العدالة والمحبة بين الشعوب . كما يشتمل على سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، وما قام به من أعمال لنشر الدعوة الإسلامية .

إن كل دراسة تاريخية لا بد لها من ثلاثة عناصر هامة هى : المكان ، والزمان ، وروح العصر .

ويمكن أن نشبه التاريخ بسجل ضخم لأعمال الإنسان ، ونتائج عقله الذى وهبه الله له ، ونتاج جسمه الذى جعله الله فى أحسن تقويم .

والعصور التاريخية تقودنا إلى العنصر الزمنى للدراسة التاريخية . ويمكن تقسيم المدة التى مر عليها العالم إلى قسمين رئيسيين هما :

(أ) عصور ما قبل التاريخ : وتعرف بالعصور الحجرية ، وهى التى لم يتمكن الإنسان خلالها من اختراع الكتابة التى يدون بها أعماله .

(ب) العصور التاريخية : منذ أن اخترع الإنسان الكتابة ودون بها أعماله حتى يومنا هذا .

وتقسم العصور التاريخية إلى ثلاثة أقسام ، هى العصور القديمة ، والعصور الوسطى ،والعصور الحديثة :

العصور القديمة : تبدأ باختراع الكتابة حوالى ٤٠٠٠ ق.م.[١] ، وتنتهي بسقوط روما عاصمة الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م على أيدي القوط، وهم إحدى القبائل الهمجية التي اجتاحت اوروبا في ذلك الوقت .

العصور الوسطى : تبدأ بسنة ٤٧٦م وتنتهي باستيلاء السلطان العثمانى محمد الفاتح على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م (٨٥٧ هـ) .

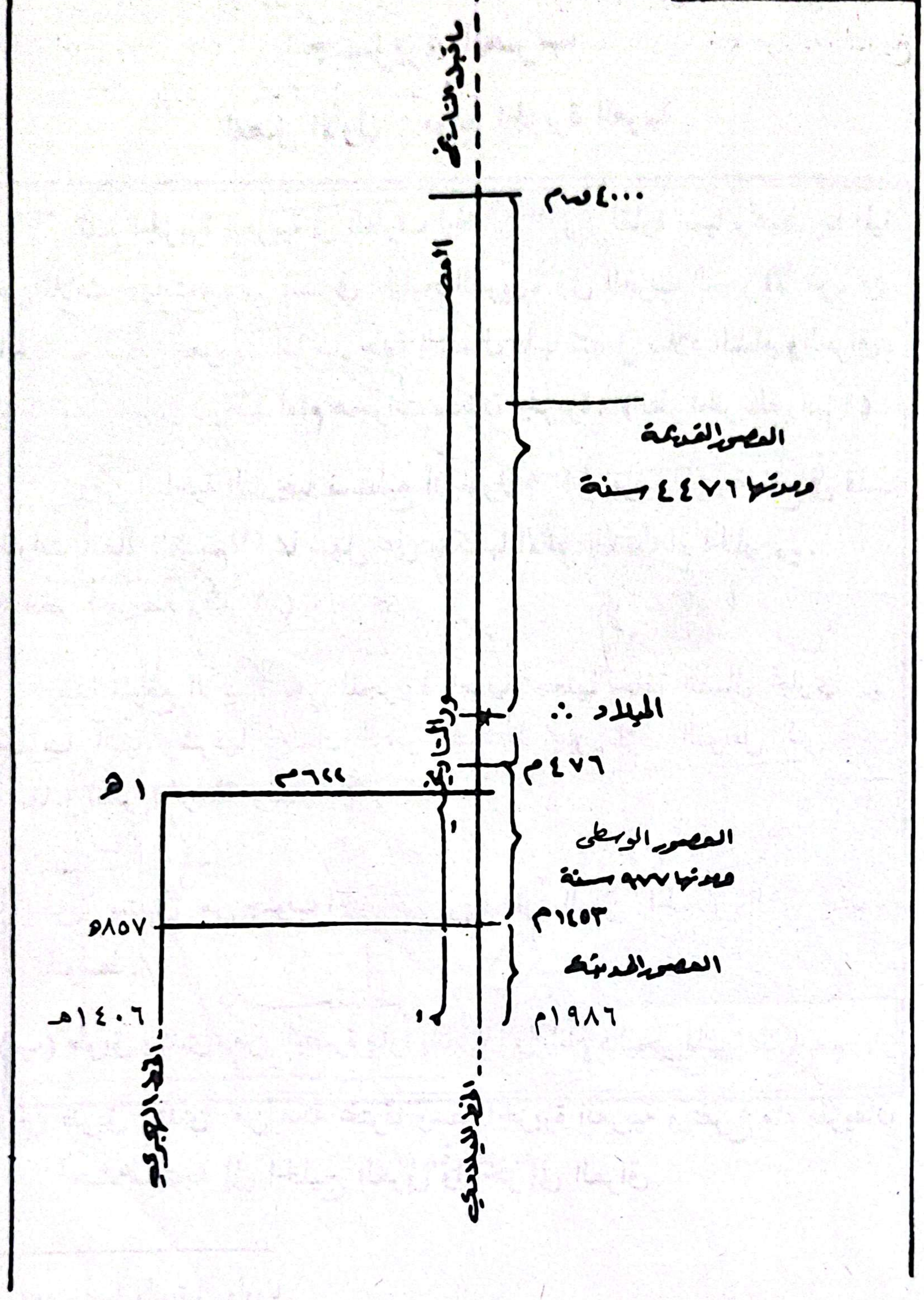
العصور الحديثة : تبدأ منذ سنة ١٤٥٣م حتى الآن وما بعد الآن.

---

(١) ق.م : قبل الميلاد، والمقصود بالميلاد هو ميلاد السيد المسيح عيسى عليه السلام.

يدخل جزء من دراستنا فى العصور القديمة ويدخل الجزء الآخر فى العصور الوسطى. ولتتبين ذلك بوضوح ، ادرس الشكل الآتى الذى يبين الخط الزمنى بأقسامه المختلفة ، والذى احتسب بالتاريخ الميلادى ، ومن أجل المقارنة رسم خط مواز له بالتاريخ الهجرى الذى يبتدئ بسنة ٦٢٢م ، سنة ١هـ .

الخط الزمني:-


ما قبل التاريخ
٤٠٠٠ق م
العصور القديمة
ومدتها ٤٤٧٦ سنة
الميلاد
٤٧٦م
العصور الوسطى
ومدتها ٩٧٧ سنة
١٤٥٣م
العصور الحديثة
١٩٨٦م
١ هـ
٦٢٢م
٨٥٧هـ
١٤٠٦هـ
التاريخ الهجري
التاريخ الميلادي

ملخص في دفتر الفصل
والأسئلة في دفتر الواجب

الباب الأول

جزيرة العرب

الفصل الأول : موقع الجزيرة العربية

تقع الجزيرة العربية فى الطرف الجنوبى الغربى لقارة آسيا وتحيط بها المياه من ثلاث جهات، ففى الشرق الخليج العربى، وفى الغرب البحر الأحمر، وفى الجنوب البحر العربى، أما من جهة الشمال فإنها تتصل ببلاد الشام والعراق، وهما المنفذ البرى الوحيد أمام هجرات سكان الجزيرة. (انظر الخريطة رقم ١).

ومن الناحية التاريخية نستطيع أن نقول إن الجزيرة العربية تقع فى قلب قارات العالم القديم[1] مما سهل على سكانها الاتصال بالعالم الخارجى.
(انظر الخريطة رقم ٢).

هذا الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية جعلها حلقة اتصال تجاري بين جنوب آسيا وشرقها وبلدان البحر المتوسط عبر طرق القوافل التي كان أهمها:(انظر الخريطة رقم ٣).

(أ) طريق يبتدئ من جنوب الجزيرة العربية ماراً باليمن والحجاز والشام فالبحر المتوسط.

(ب) طريق يبتدئ من البصرة ماراً بالعراق والشام فالبحر المتوسط .

(ج) طريق يبتدئ من مكة مخترقاً وسط الجزيرة العربية ويتفرع منه طريقان أحدهما يتجه إلى الخليج العربى والآخر إلى العراق.

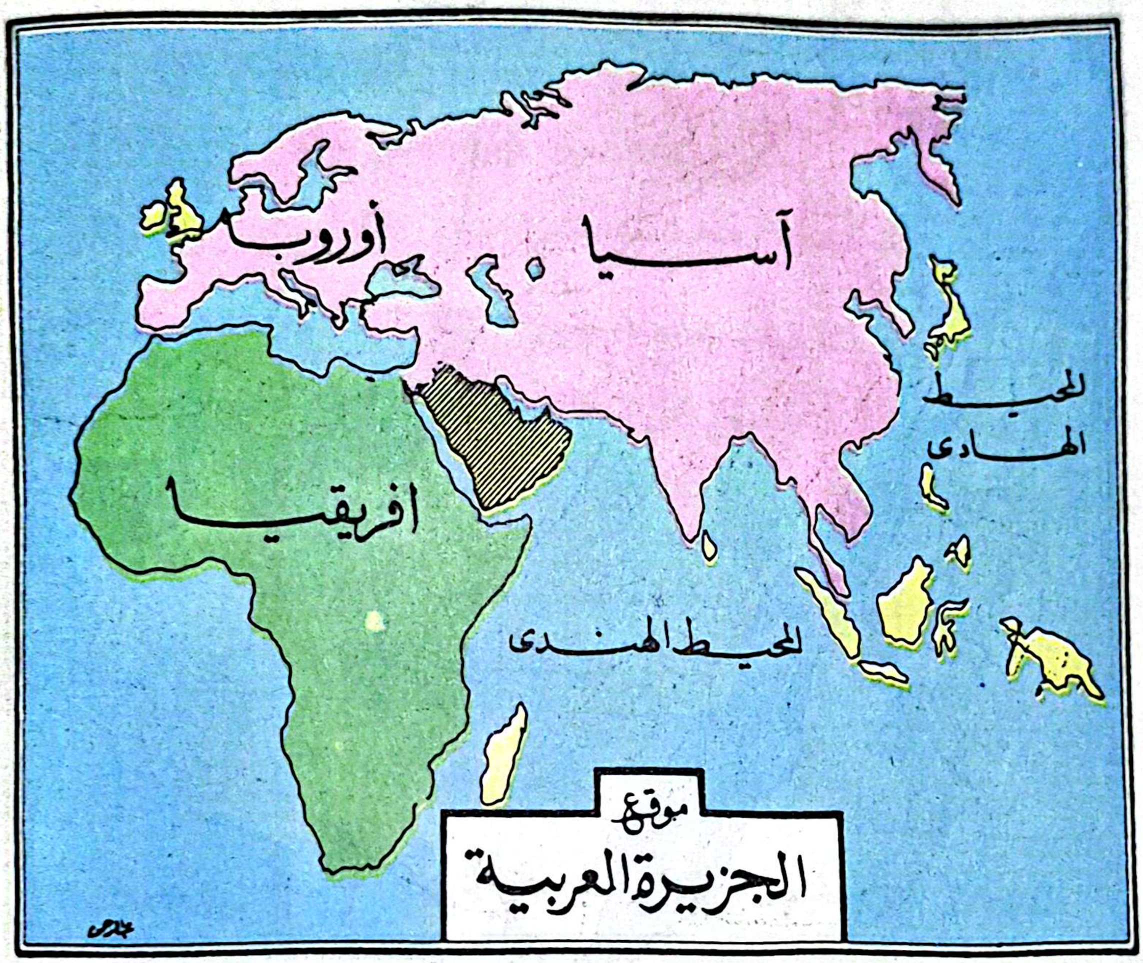
---

(١) وهى آسيا وأفريقيا وأوربا.



بحر قزوين
البحر المتوسط
دمشق
بصرى
القدس
بابل
فارس
الخليج العربي
مصر
المدينة يثرب
مكة
جزيرة العرب
النيل
السودان
الأحقاف
حضرموت
اليمن
عدن
بحر العرب
الحبشة
جزيرة العرب

خريطة رقم (١)


أوروبا
آسيا
افريقيا
المحيط
الهادى
المحيط الهندى
موقع
الجزيرة العربية

خريطة رقم (٢)


البحر
المتوسط
الفرس
الخليج العربي
المدينة
مكة
مصر
الحبشة
بحر
العرب
طرق القوافل

خريطة رقم (٣)

ملخص في دفتر المفصل
والأسئلة في دفتر الواجب

الفصل الثانى : سكان الجزيرة العربية

تمهيد :

قسم المؤرخون سكان العالم القديم إلى ثلاث مجموعات لكل منها مهدها الذى نشأت فيه وانتشرت منه إلى مناطق معينة من ذلك العالم. وكانت لكل مجموعة ميزات جسمية وحضارية تميزت بها عن المجموعة الأخرى، وهذه المجموعات هي :

أ ـ **مجموعة الشعوب الآرية** : ومهدها أواسط آسيا (الهند) وانتشرت في آسيا (ما عدا مناطق المجموعة السامية) وفي أوروبا ، ويغلب على هذه المجموعة اللونان الأصفر والأبيض .

ب ـ **مجموعة الشعوب الحامية** : نسبة إلى حام بن نوح عليه السلام ، ومهدها قارة أفريقيا وانتشرت فيها ويغلب اللون الأسود على هذه المجموعة .

جـ ـ **مجموعة الشعوب السامية** : نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ومهدها جزيرة العرب ، ويغلب اللون الحنطي على الأفراد الذين ينتمون إلى هذه المجموعة .

ولقد خرجت شعوب هذه المجموعة على شكل موجات من الجزيرة العربية فى أزمنة مختلفة واستقر بعضها فى أراضى الهلال الخصيب (الشام والعراق) وبعضها استقر فى شمال أفريقيا. ولقد انقرض بعض هذه الأقوام قبل ظهور الإسلام ودعوا تبعا لذلك : الأقوام البائدة، والبعض الآخر بقي حتى ظهور الإسلام وما بعده ودعوا تبعاً لذلك الأقوام الباقية .

ومن هنا نستطيع تقسيم الأقوام السامية إلى قسمين رئيسيين هما :

أولا : الأقوام البائدة وينقسمون إلى :

(١) العرب الذين استقروا فى الجزيرة العربية وبادوا فيها،ومنهم : عاد، وثمود ، وأصحاب الأيكة.

(٢) العرب الذين خرجوا من الجزيرة العربية واستقروا فى بلاد الشام وبادوا هناك، هم التدمريون والأنباط.

(٣) الساميون الذين استقروا وبادوا فى الهلال الخصيب وشمال أفريقيا مثل الآشوريين والكنعانيين والفينيقيين[1] وغيرهم .

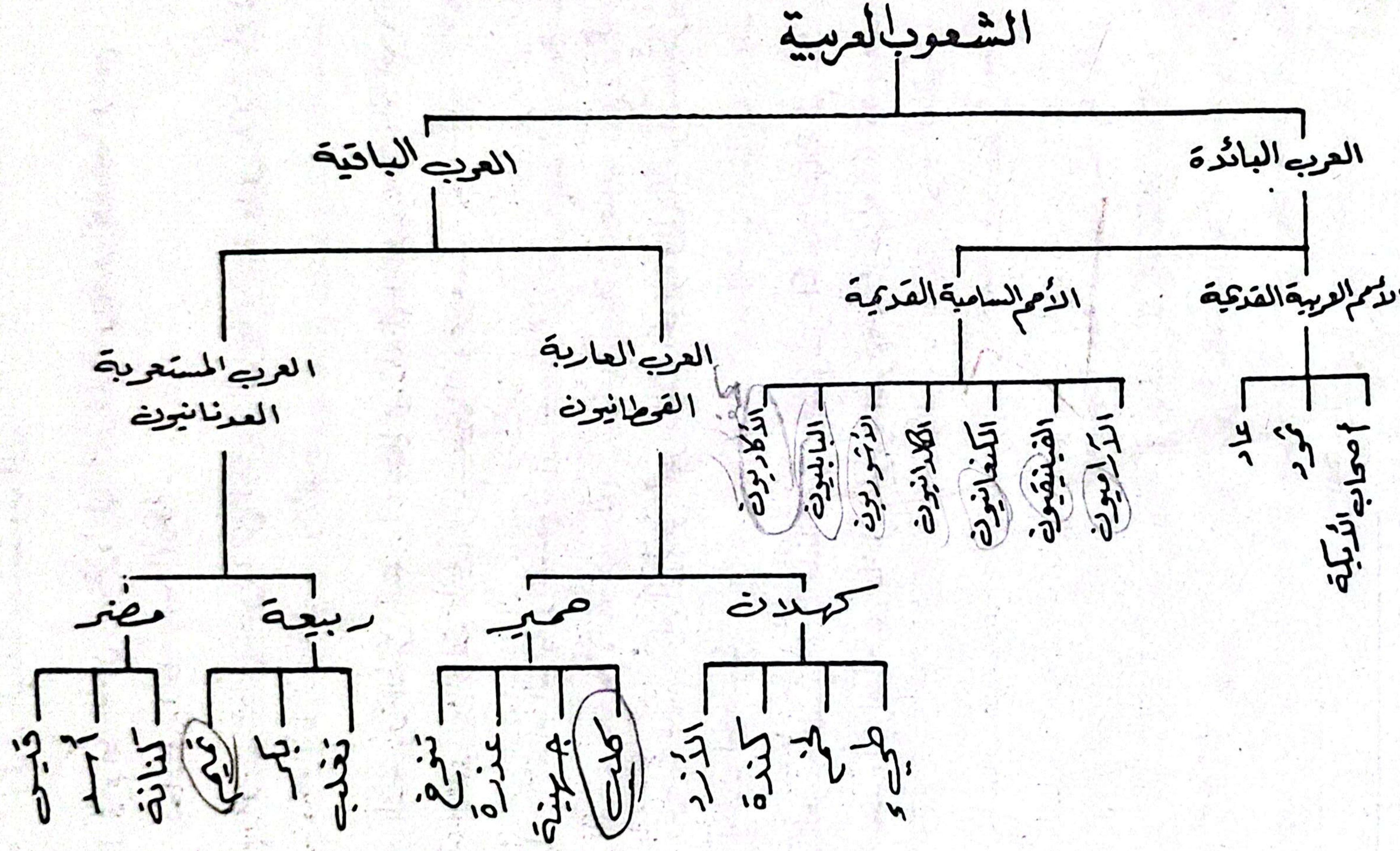
ثانيا : الأقوام الباقية وينقسمون إلى قسمين هما:

١ـ العرب العاربة (القحطانيون): استقروا أصلاً فى جنوب الجزيرة العربية، ونزحت منهم أقوام إلى باقى أجزاء تلك الجزيرة وإلى الأطراف الجنوبية من الهلال الخصيب.

٢ـ العرب المستعربة (العدنانيون) : استوطنوا الحجاز وتهامة ثم انتشروا فى نجد وأجزاء أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها.

---

(١) يرى بعض الباحثين أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد .


الشعوب العربية
العرب البائدة
العرب الباقية
الأمم العربية القديمة
الأمم السامية القديمة
عاد
ثمود
أصحاب الأيكة
الأكاديون
البابليون
الأشوريون
الكلدانيون
الكنعانيون
الفينيقيون
الآراميون
العرب العاربة
القحطانيون
العرب المستعربة
العدنانيون
كهلان
حمير
ربيعة
مضر
الأزد
كندة
لخم
طيء
كلب
جهينة
عذرة
تنوخ
تغلب
بكر
تميم
كنانة
أسد
قيس

١ ـ العرب البائدة

أولا ـ قوم عاد :

جاء قوم عاد بعد قوم نوح واستقروا فى الأحقاف بين الربع الخالى وحضرموت وهناك أنشأوا دولة ومدنية عظيمة، وكانوا يتميزون بالأجسام الضخمة والأبدان القوية.

أول ملوكهم عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام أما أشهر ملوكهم فهو «شداد بن عاد» الذى استولى على مدن كثيرة وتجمعت لديه الأموال الطائلة من التجارة فى البر والبحر فأنشأ بلدة «إرم» التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم[١]، وبذل جهداً فى إتقانها وتجميلها ولكنه هلك وهو ذاهب ليشاهدها. وقد بالغ المؤرخون فى وصفها مما يدل على أن قوم عاد قد بلغوا درجه كبيرة من الحضارة.

ـ سيرة سيدنا «هود» عليه السلام:

عبد قوم عاد الأوثان وبطشوا فى الأرض، فأرسل الله لهم نبيهم هوداً عليه السلام ليهديهم سواء السبيل وليعبدوا الله وحده لاشريك له.

نسبه : هو هود بن عبد الله من أحفاد سام بن نوح عليه السلام وكان عليه السلام أكرم قومه خلقا وأرحبهم صدراً وأصبرهم على الشدائد.

اختاره الله للنبوة[٢] فقام بها خير قيام، إلا أن قومه كذبوه وعصوه إلا قليلاً منهم آمنوا معه

---

(١) راجع سورة الفجر الآيات ٥،٦،٧.

(٢) راجع سورة الأعراف الآية ٦٤

وبالرغم مما بذله هود عليه السلام مع قومه فى تذكيرهم بنعم الله عليهم التى لا تحصى وتحذيرهم من العذاب وما حل بقوم نوح لما عصوا نبيهم. وأنه لا يريد منهم جزاء ولا شكورا. إلا أنهم ازدادوا عناداً و إصراراً على كفرهم[1].

فحق عليهم العذاب إذ أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية[2] استمرت تعصف بهم بشدة سبع ليال وثمانية أيام متتابعة قضت على الحرث والنسل ولم ينج من هذا العذاب سوى هود عليه السلام والذين آمنوا معه[3]، وهؤلاء أسسوا دولة «عاد الثانية» التى اختلف المؤرخون فى تحديد مقرها.

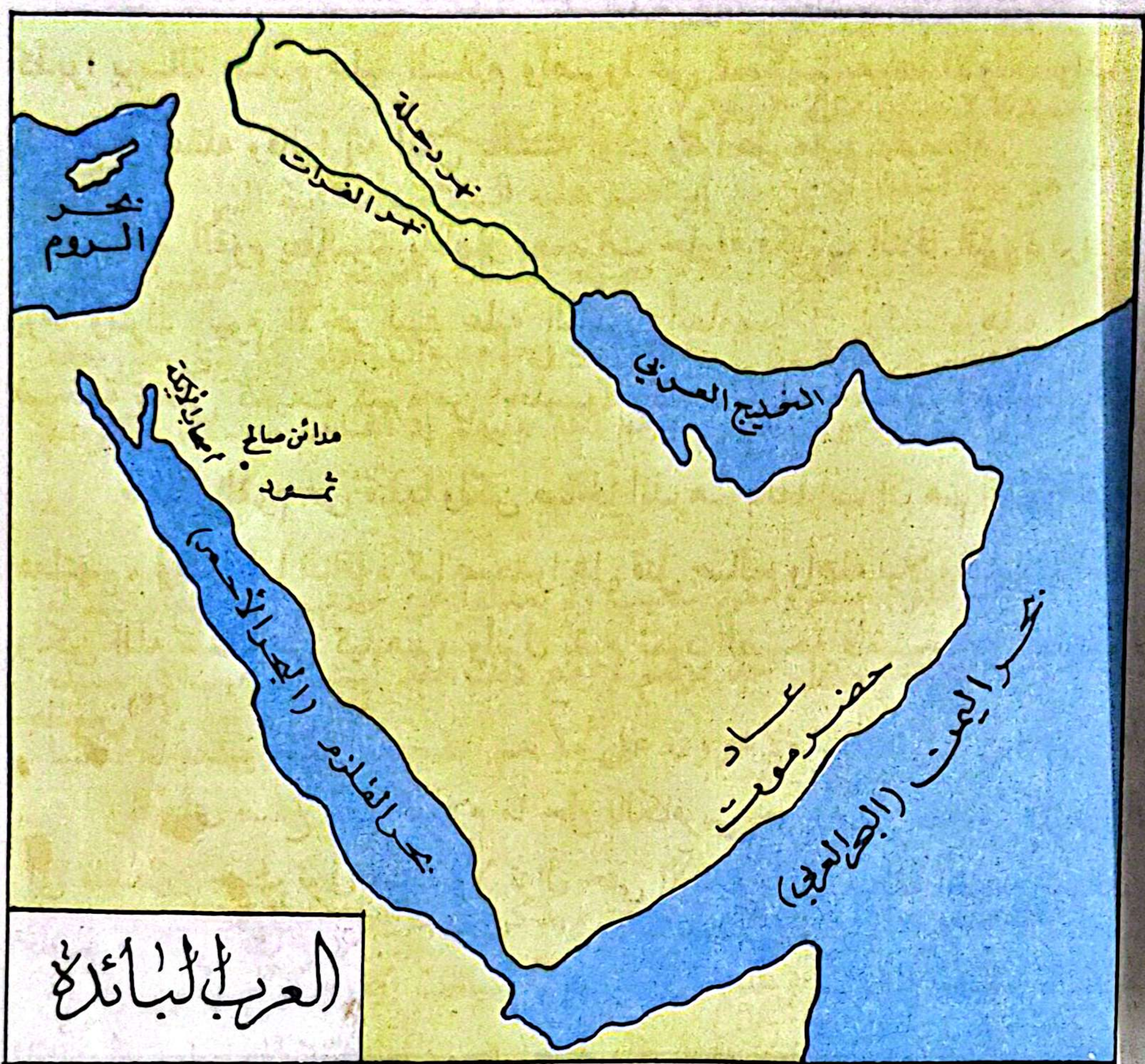
أما النبى هود عليه السلام فقد انتقل إلى حضرموت حيث مات هناك ولاتزال فى تلك البلاد قرية تعرف حتى اليوم «بقبر هود».

ثانيا ـ قوم ثمود :

قوم ثمود هم في أحفاد سام بن نوح عليه السلام . سكنوا في الحِجْر الواقعة بمدائن صالح بالقرب من بلدة العلا في شمال المدينة المنورة .

اعتمد قوم ثمود فى معيشتهم على الزراعة والتجارة واشتهروا بالنحت وإنشاء المبانى الحجرية داخل الجبال، وكان لطبيعة الأرض التى سكنوها والموقع الذى أقاموا فيه أثر فى ذلك.

(١) راجع سورة الشعراء الآيات من ١٢٢ الى ١٣٨
(٢) راجع سورة الأحقاف الآيات ٥، ٦، ٧
(٣) راجع سورة هود الآية ٥٧


نهر دجلة
نهر الفرات
بحر الروم
الخليج العربي
مدائن صالح
ثمود
بحر القلزم (البحر الأحمر)
عاد
حضرموت
بحر اليمن (البحر العربي)
العرب البائدة

خريطة رقم (٤)

سيرة سيدنا صالح عليه السلام:

هو صالح بن عبيد من أحفاد ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وكان من أشرف القوم نسباً وأرفعهم حسباً، أرسله الله تعالى ليرشد القوم إلى عبادة الله وحده فآمن به نفر من المستضعفين. أما المستكبرون فقد كذبوا برسالة صالح عليه السلام وأصروا على تمسكهم بعبادة الأوثان واتهام صالح فى عقله وقالوا إنه ليس بحسبه أو ثـروته أحق منهم بالرسالة.

أخذ القوم يطالبونه بإظهار معجزات خارقة فكانت الناقة التى ترد الماء يوماً وتترك اليوم الآخر ليرد عليه الناس وأنعامهم[١]. وكانت هذه الناقة ضخمة تعطى كميات كبيرة من الحليب، وكانت تخيف أنعامهم لضخامتها.

صمم القوم على قتلها ولكن صالحاً أنذرهم بالعذاب إن هم أقدموا على فعلتهم، وقد قتلوا الناقة، كما صمموا على قتل صالح وأهله ليلا والناس نيام، ولكن الله سلمه من كيدهم، وأنزل بقوم ثمود الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين[٢].

ولما رأى صالح عليه السلام ما حل بالكافرين خرج ومن معه من المؤمنين إلى فلسطين حيث توفى هناك ولا تزال حتى الآن قرية في منطقة القدس تعرف باسم « النبي صالح ».

ثالثاً: أصحاب الأيكة:

أصحاب الأيكة هم أولاد مَدين بن إبراهيم عليه السلام وأمهم من العمالقة. بنوا مدينة أسموها باسم مَدين وكان بالقرب منها شجرة ضخمة تعرف بالأيكة وذلك لضخامتها والتفاف أغصانها وأوراقها.

---

(١) راجع سورة الأعراف الآيات ٧٢، ٧٤

(٢) راجع سورة هود الآيات ٦٤، ٦٦

ولقد عبد القوم هذه الأيكة من دون الله، ومع أن الله رزقهم ثروات ضخمة فإنهم كانوا يطففون الكيل والميزان إذا هم اشتروا أو باعوا.

أرسل الله لهم شعيباً عليه السلام ليهديهم إلى عبادة الله وحده وليقلعوا عن عادتهم السيئة فى البيع والشراء.

سيرة سيدنا شعيب عليه السلام:

هو من أحفاد مَدين بن إبراهيم عليه السلام وأمه ابنة النبى لوط عليه السلام. كان شعيب عليه السلام فصيح اللسان واضح البيان خطيباً بارعاً. فأخذ ينصح الناس ويهديهم إلى عبادة الله وحده، وأن يعطوا كل ذى حق حقه وألا يفسدوا فى الأرض وذكرهم بنعم الله عليهم إذ أغناهم بعد فقر وكثَّرهم بعد قله(١)

إلا أن القوم سخروا من شعيب ولم يعدلوا عن عادتهم فى البيع والشراء لأنها كثَّرت أموالهم - على حد قولهم - ومع ذلك فقد استمر شعيب فى سبيله فآمن به من آمن وأصر الآخرون على ما هم عليه، وأخذوا يهددون شعيباً بالرجم.

أخذ شعيب عليه السلام ينذرهم ويذكرهم بما حل بالأقوام السابقة التي هُلِكت بسبب طغيانهم وعدم الأخذ بقول أنبيائهم كقوم نوح وهود وصالح ولوط ، ومع ذلك فإنهم بقوا على إصرارهم وعنادهم ، ونسبوا السحر والشعوذة لشعيب ، وهددوه بالقتل هو ومن معه ، وهنا دعا شعيب ربه أن ينزل بالكاذبين سوء العذاب ، فجاءتهم صيحة من السماء أماتتهم في ديارهم(٢) .

---

(١) راجع سورة هود، الآيات ٨٣، ٨٥

(٢) راجع سورة هود، الآية ٩٣

أما شعيب عليه السلام فقد أنجاه الله وأقام فى أرض مَدين وقد وسع الله عليه رزقه، وتزوج بامرأة مؤمنة أنجبت له بناتٍ تزوج إحداهن سيدنا موسى عليه السلام.

٢ ـ العرب الباقية

(أ) القحطانيون

يعرف القحطانيون بعرب الجنوب لأنهم عاشوا بأرض اليمن المعروفة خصوبة تربتها وغزارة أمطارها، وموقعها الممتاز . وقد مكنت هذه الميزات من يجاد حضارة عريقة فيها .

ينسب القحطانيون إلى جدهم قحطان، وهو من أحفاد سام بن نوح عليه لسلام . وقد أنجب قحطان من الأولاد «جرهم» الذى تنسب إليه قبيلة جرهم لتى نزحت إلى الحجاز واستقرت فى موقع مكة المكرمة . كما أنجب يعرب الذى نجب حمير، وإليه تنسب الدولة الحميرية .

اهتم القحطانيون بالزراعة والتجارة وشيدوا المبانى فمهدوا بذلك لقيام دولتى سبأ وحمير.

(ب) العدنانيون

استوطن العدنانيون أرض الحجاز الواقعة على الطريق الموصل بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها، وتكثر فيها الجبال والأودية كما تتخللها البوادى. وأمطار هذه المنطقة شتوية وهى أقل من أمطار اليمن.

تزوج عدنان (أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام، من طسم وأنجب ولدين هما: عك ، ومعد، وقد شكلا هما وأحفادهما العرب العدنانيين الذين استقروا فى الحجاز وتهامة ثم انتشروا فى نجد وسائر الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية . ومن الخصائص التى تميز كلا من العدنانيين والقحطانيين ما يلى :

١ ـ غلبت البداوة على العدنانيين باستثناء قريش التى استقرت فى مكة والتى زاولت التجارة بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام . قال الله تعالى :

«لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ» .

أما القحطانيون فقد غلبت عليهم الحضارة والاستقرار فأنشأوا المدن وبنوا القصور وامتهنوا الزراعة والصناعة والتجارة .

٢ـ ومع أن لغة الفرعين من أصل واحد (اللغة السامية)، إلا أن الفروق بين لغتى القحطانيين والعدنانيين أخذت فى التباعد، مما أدى إلى الاختلاف بينهما فى الإعراب والضمائر والاشتقاق وقد ظهرت لغة قريش العدنانية السهلة الواضحة التى نزل بها القرآن الكريم فأمدها بثروة لا تبارى.

٣ـ ومع اشتراك عرب الجنوب وعرب الشمال فى الوثنية كديانة لهم، إلا أن عبادة التوحيد التى بعث بها إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام انتشرت بين العدنانيين.

أسئلة وتطبيقات على الباب الأول

١ ـ ما المقصود بقولنا: «العصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ»؟ .

٢ ـ تميزت العصور التاريخية بأحداث وتواريخ معينة . اذكر تلك الأحداث وتواريخها .

٣ ـ كان لموقع الجزيرة العربية أهمية بالغة فى تاريخها . وضح ذلك .

٥ ـ قسم المؤرخون سكان العالم القديم إلى مجموعات ثلاث .

اذكر تلك المجموعات وأماكن بروزها والمناطق التى انتشرت فيها .

٦ ـ اذكر الأقسام الرئيسة للعرب وأماكن استيطان كل قسم .

٧ ـ اذكر شيئاً من معالم الحضارة عند قوم هود عليه السلام ، ثم وضح مآلهم .

٨ ـ أين سكن قوم ثمود ؟ وبم اشتهروا؟

٩ ـ اشرح سيرة سيدنا صالح عليه السلام .

١٠ ـ سيدنا شعيب هو نبى أصحاب الأيكة ، اشرح سيرته .

١١ ـ إلى من تنسب كل من القبائل العدنانية والقبائل القحطانية؟

١٢ ـ اذكر خصائص كل من القبائل العدنانية والقبائل القحطانية .

١٣ ـ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :

(أ) طرق القوافل القديمة التي كانت تمر بالجزيرة العربية .

(ب) الشعوب السامية .

(ج) قوم عاد .

الباب الثانى
القحطـــانيون

تمهيد:

يتميز جنوب الجزيرة العربية بتربة خصبة ، ومناخ موسمي غزير الأمطار ، وموقع جغرافي ممتاز تتجمع فيه الطرق التجارية البحرية الآتية من جنوب وشرق آسيا ومن شرق أفريقيا ، وتنطلق منه الطرق التجارية البرية المتجهة نحو الشمال مخترقة غرب الجزيرة العربية ووسطها . كل ذلك مكَّن من قيام حضارات قديمة في تلك المنطقة ، كما أنه جعل منها مطمعاً للغزاة من جهة ، وأوجد التنافس بين دول تلك المنطقة من جهة أخرى لتبرز الواحدة سيطرتها على الأخرى وتستولي على أكبر رقعة من الأرض . الأمر الذي كان من نتيجته هجرة بعض الأقوام لعدم صمودها في وجه الدولة المسيطرة .

الفصـــل الأول

دول جنوب الجزيرة العربية

يمكن تقسيم التاريخ القديم لدول جنوب الجزيرة العربية إلى الأدوار الآتية :

الدور المعيني (١٢٠٠ ق . م - ٦٥٠ ق . م) :

دولة معين:

المعينيون من الأقوام السامية التى استقرت فى اليمن بعد تجوال فى منطقة الهلال الخصيب(١)، اقتبسوا خلالها المزيد من حضارة الأقوام السامية التى استقرت في تلك المنطقة ، لا سيما الدولة البابلية.

---

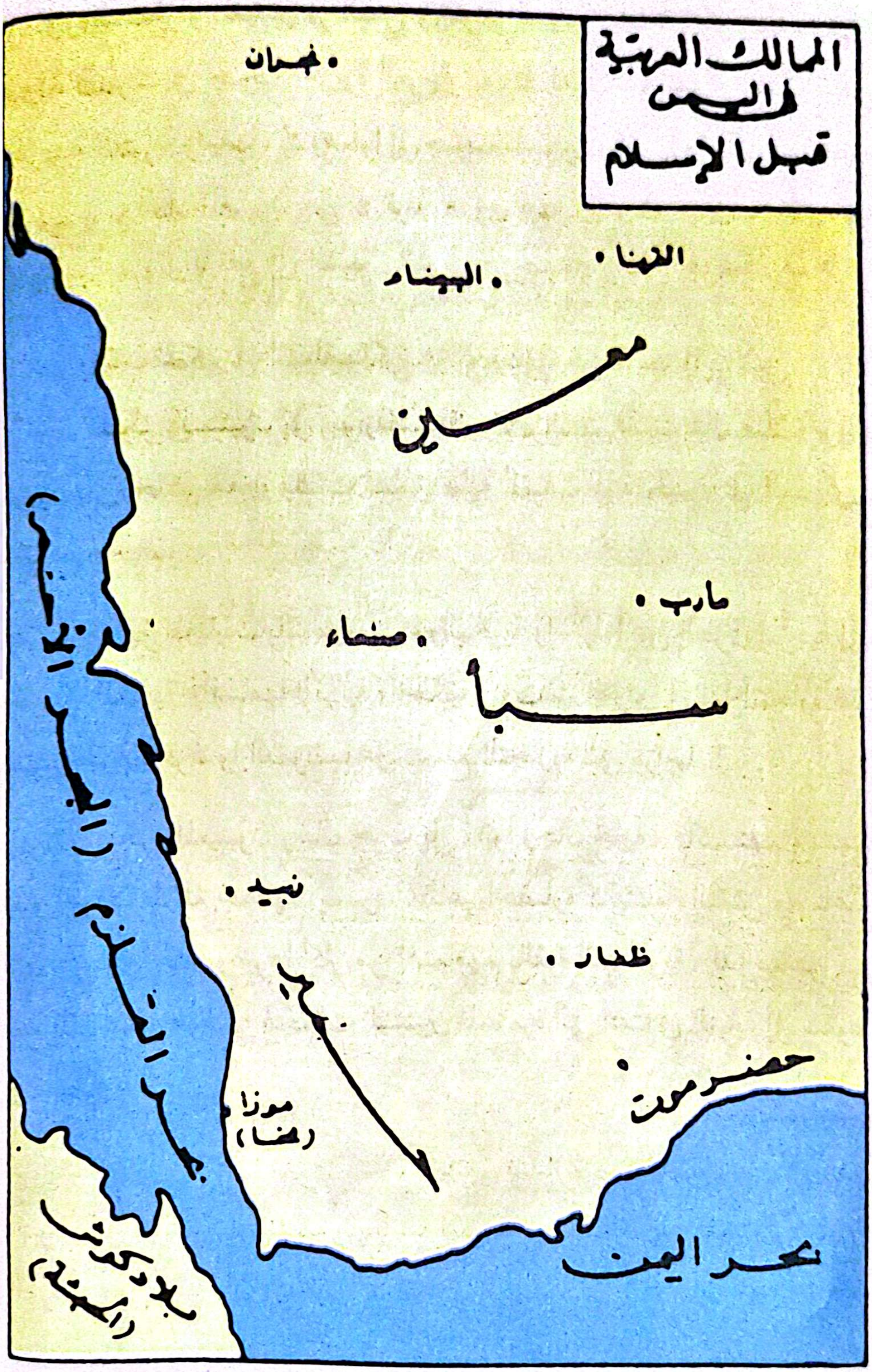
(١) بلاد العـراق والشام .

وباستقرار المعينيين فى اليمن، ولتوافر أسباب الحضارة كونوا أقدم دولة عربية ظهرت فى جنوب الجزيرة العربية . وامتد نفوذ هذه الدولة بحيث شمل الجزيرة العربية جميعها، إذ وصلوا إلى جنوب فلسطين والفرات الأدنى، والخليج العربي . واتخذ المعينيون من « قرنا » وموقعها الحديث معين ، عاصمتهم السياسية ، والبلد تقع إلى الشمال الشرقي من صنعاء (انظر الخريطة رقم ٥) .

نظام الحكم فى الدولة ملكى ووراثى ينتقل من الأب إلى الابن. وكان هؤلاء الملوك فى بادئ الأمر يعرفون بلقب «مزواد» فكان يقال مثلاً «مزواد معين» أى حاكم معين وكانت تطلق عليه ألقاب للتفخيم مثل الغازى والفاتح والناصر .

اشتهر المعينيون بالتجارة البرية والبحرية واستولوا على الطرق المؤدية إلى الجزيرة العربية وأقسامها الغربية والجنوبية . وبذلك انفردوا فى نقل التجارة عبر تلك الطرق وفرضوا الضرائب على السلع التجارية التى تمر بها .

لم يكن المعينيون رجال حرب بل كانوا رجال تجارة، فأكسبتهم مهنتهم هذه أموالاً طائلة جعلتهم يهتمون بمظاهر الحضارة كالبناء والنقش وصناعة التماثيل والأختام وغيرها أكثر من اهتمامهم بالقوة العسكرية، لذا ضعفوا من هذه الناحية وتعرضوا لهجمات السبئيين المستمرة التى أدت فى النهاية إلى سقوط دولة معين .


الممالك العربية في اليمن قبل الإسلام
نجران
معين
مارب
صنعاء
سبأ
زبيد
ظفار
حمير
حضرموت
موزا (مخا)
بحر اليمن
بحر القلزم (البحر الأحمر)
بلاد كوش (الحبشة)

خريطة رقم (٥)

تلخيص

الدور السبئى (٩٥٠ ق.م - ١١٥ ق.م):

دولة سبأ

تعتبر دولة سبأ أشهر دول الجنوب العربى، وتنسب دولة سبأ إلى عبد شمس بن يشجب بن قحطان جد عرب الجنوب. وكان هذا الملك كثير الغزوات والحروب والسبى فلقب باسم «سبأ» وغلب عليه هذا الاسم.

كان لسبأ ولدان هما حمير وكهلان، وقبل وفاته قسم الملك بينهما.

سكن السبئيون إلى جوار المعينيين وكان السبئيون يغيرون باستمرار على المعينيين إما منفردين أو بالتعاون مع الأقوام المجاورة لهم، وأخيراً تمكن السبئيون من القضاء على الدولة المعينية.

يقسم تاريخ دولة سبأ إلى دورين:

الدور الأول: عرف فيه الحكام بلقب «مكرب سبأ» وجمعها مكارب سبأ، وكان هؤلاء يجمعون إلى جانب السلطة الزمنية الرئاسة الدينية.

الدور الثاني: لقب حكام هذا الدور بالملوك، وكلما ضم أحدهم مقاطعة جديدة إلى ملكه أضيف اسم تلك المقاطعة إلى لقبه، فمثلاً كان يقال أولاً «ملك سبأ» ثم «ملك سبأ وريدان[1]» وهكذا. وقد استمرت هذه الألقاب تستعمل فى زمن الدولة الحِمْيرية.

كانت عاصمة الملوك في هذا الدور مأرب التي تبعد بحوالي مائة كيلومتر إلى الشرق من صنعاء. ويعتبر هذا الدور أزهى عصر فى الدور السبئى، كما أنه من الناحية السياسية امتد فى بسط نفوذه حتى بلغ الجزء الجنوبى الغربى من الهلال الخصيب.

---

(١) ريدان: تقع في هضبة اليمن بمنطقة ظفار الجبل جنوب مدينة يريم وعلى مسافة ١٢٣ كم من صنعاء. وأهم جبال المنطقة « ريدان »

قصة بلقيس ملكة سبأ:

وقد بلغت دولة سبأ أوج عظمتها فى عهد ملكتهم بلقيس وقصتها مع سليمان عليه السلام وما أرسلته إليه من هدايا قيمة تدل دلالة واضحة على مدى التقدم الحضارى الذى وصلت إليه دولة سبأ.

على أن هذه الدولة لم تبلغ من القوة مابلغته من الثروة مما جعل ملكتهم بلقيس تستجيب لأمر سليمان عليه السلام ، فإنه لما دعاها إليه جاءت إلى أورشليم « القدس » خوفا من تهديده خاصة بعد ما رد لها هداياها ، وقد أتى له من « عنده علم من الكتاب » بعرشها قبل أن تصل إليه(١).

هذا وقد كانت ملكة سبأ «بلقيس» تلبس أفخر الملابس والحلى عند زيارتها لسليمان عليه السلام وقد أسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وقد كانت من قبل تعبد الشمس مع قومها .

مظاهر الحضارة السبئية:

(أ) العمران والفنون:

اشتهر السبئيون بفن المعمار فبنوا القصور الفخمة وأحاطوها بالأسوار وكان شكل القصور العام بيضاوياً كما بنوا المدن وكان تخطيطها على شكل دائرى. وقد اشتهر السبئيون بالنقش والنحت. ومن أبرز أعمالهم المعمارية إنشاء سد مأرب الذي اشترك في بنائه عدة ملوك . ويبلغ طول سد مأرب ثمانمائة ذراع وعرضه مائة وخمسين ذراعا وارتفاعه اثني عشر ذراعا ، وله **منافذ لرى الجنتين الواقعتين عن يمينه وعن يساره،وله مقاييس لمعرفة ارتفاع منسوب الماء فى وادي أذنه المحصور بين جبلي بلق الأيمن والأيسر حيث أقيم السد.**

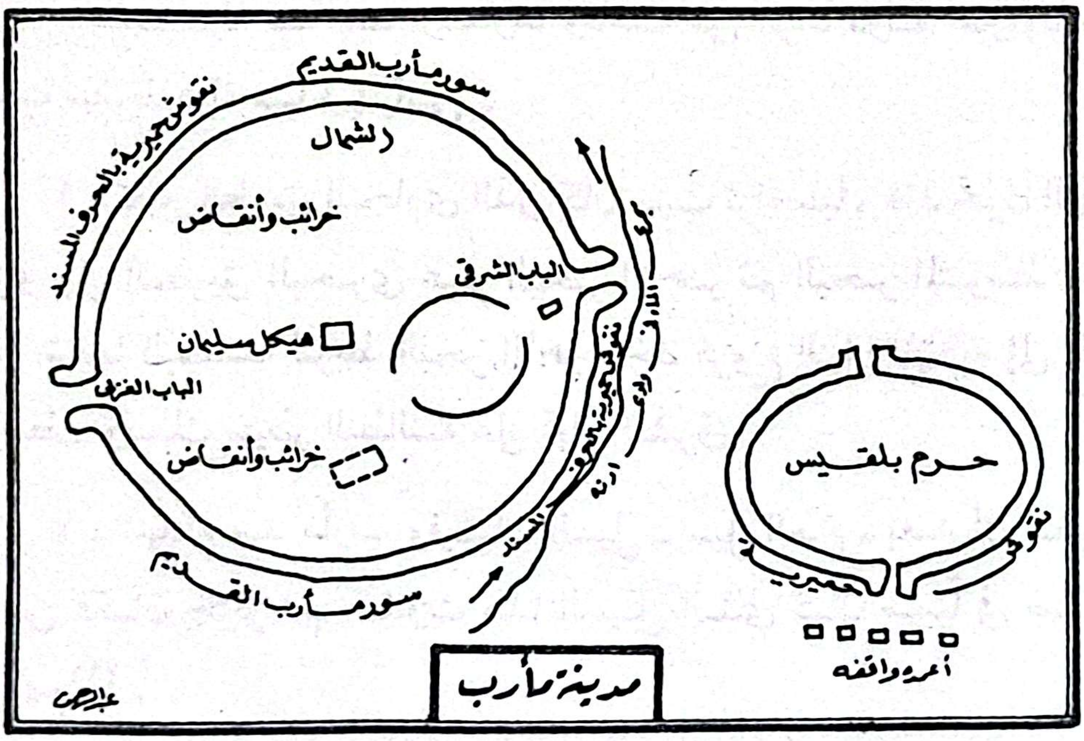
---

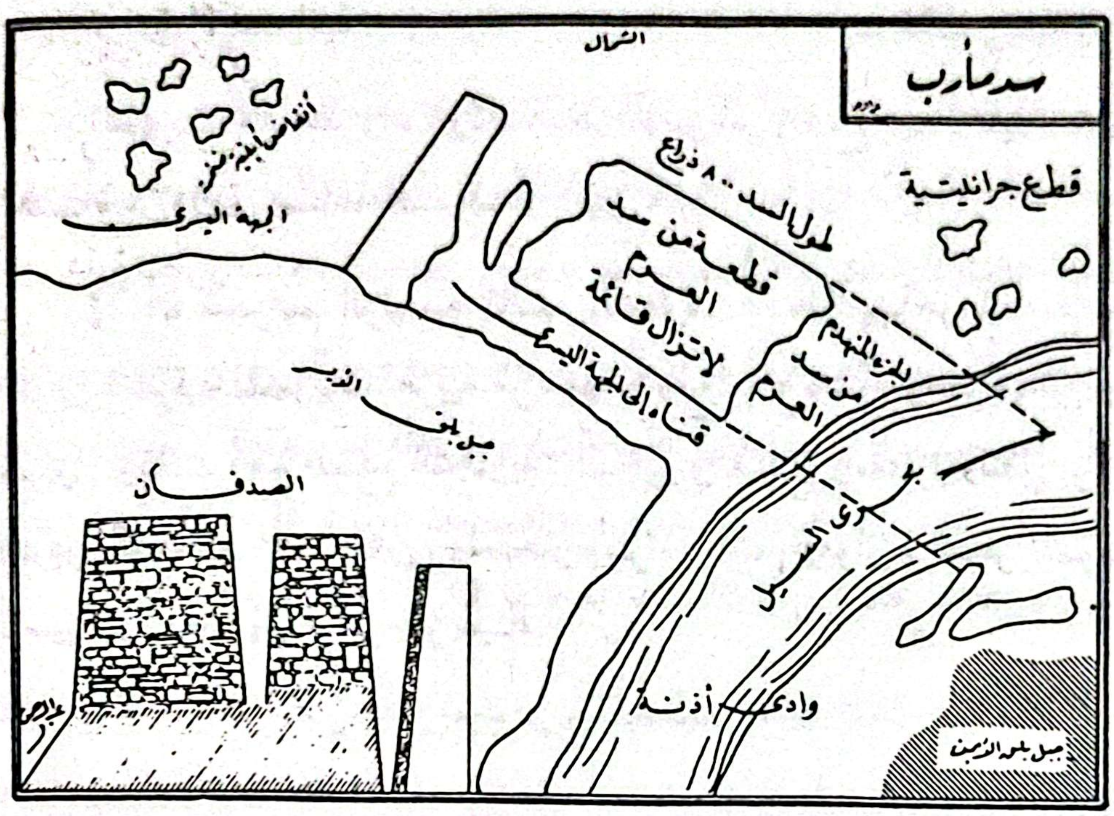
(١) راجع سورة النمل،الآيات ٢١ - ٤٣

(ب) الناحية الاقتصادية :

اشتهرت سبأ بالزراعة وكان لسد مأرب أثر واضح فيها. كما اشتهرت بالصناعة، خاصة صناعة السيوف والأوانى.

إلا أن شهرتهم الرئيسية كانت بالتجارة. فكانوا يتاجرون،مع الهند والموانئ الشرقية للجزيرة العربية من جهة، ومع بلاد الشام والعراق من جهة أخرى. وكانت أهم السلع التجارية : البخور والصمغ والعطور وتنقل براً عن الطريق التجارى المار باليمن والحجاز وبتراء والشام وموانىء البحر المتوسط ولاسيما غزة ومنها إلى مصر عبر سيناء .





سقوط دولة سبأ :

سقطت دولة سبأ بعد ازدهارها وقامت على أثرها دولـة حمير. ونلخص أسباب سقوط دولة سبأ فيما يأتـى :

١ ـ تغيير الطريق التجارى الذى كان سبب ثراء سبأ، فقد تحول الطريق البـرى إلى الـطريق البحـرى عبـر البحر الأحمر ثم البحر المتوسط مـاراً بترعة شقها البطالسة لتربط البحر الأحمر بأحد فروع النيل المؤدية إلى البحر المتوسط. وبذلك سيطر البطالسة على تجارة الشرق.

٢ ـ انهدام سد مأرب وفيضان السيل ـ سيل العرم ـ بعـد أن طغوا فى الأرض فكـان جزاؤهم حـدوث هذا السيـل الـذى كـان سببـاً فى ضعفهم وتفرقهم[(١)] .

---

(١) راجع سورة سبأ الآيات ١٩،٢٤

نتيجة لهذين السببين ضعفت دولة سبأ وهاجرت منها الأقوام على النحو الآتى : (انظر الخريطة رقم ٦).

١ ـ الأوس والخزرج إلى يثرب (المدينة المنورة).

٢ ـ خزاعة إلى مكة.

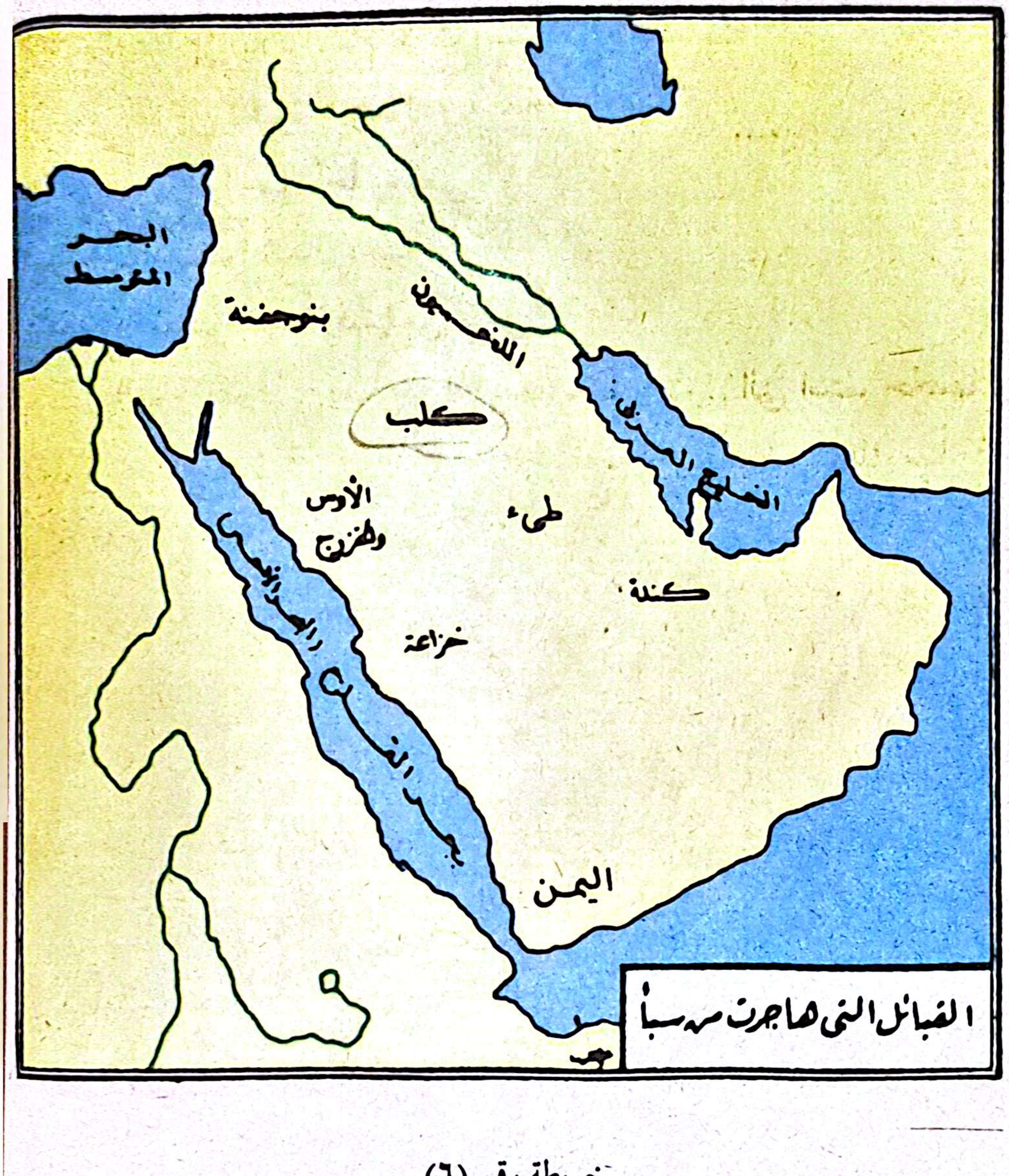
٣ ـ بنو جفنة إلى بلاد الشام حيث أسسوا دولة الغساسنة.

٤ ـ بنو لخم إلى الحيرة وأسسوا دولة المناذرة.

٥ ـ طيء وسكنوا جبل أجأ وسلمى.

٦ ـ كلب وسكنوا شمال نجد.

٧ ـ كِندة وسكنوا نجداً وقسماً من اليمن.



القبائل التي هاجرت من سبأ

خريطة رقم (٦)

تلخيص

الدور الحميرى (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م):

دولة حِمْيَر:

قامت دولة حِمْيَر بعد سقوط دولة سبأ. وقد ساعد على قيامها ضعف البطالسة فى مصر، نتيجة لأطماع الرومان فى المنطقة وعودة الطريق إلى سابق عهده فى الأهمية.

الحميريون فرع من السبئيين الذين اتخذوا من ريدان (ظفار) عاصمة لهم، ثمَّ نقلوها إلى صنعاء.

ويمكن تقسيم تاريخ دولة حِمْيَر إلى دورين:

الدور الأول: يعرف هذا الدور بِحِمْيَر الأُولى التى استمر حكمها فى الفترة ما بين ١١٥ ق.م - ٢٧٥ م، وقد لُقب ملوكها بلقب «ملك سبأ وذى ريدان» وذلك لأنهم تغلبوا على دولة سبأ.

وأشهر أحداث هذا الدور هى:

(أ) محاولة الرومان غزو الجزيرة العربية إذ وصلوا حتى نجران، إلا أنهم تاهوا فى الصحراء مما اضطرهم إلى العودة.

(ب) هجرة جماعة من الحميريين إلى الحبشة بقصد التجارة، ثم استيطانهم هناك حيث صار لهم نفوذ فى تلك البلاد.

(ج) تأسيس قصر غمدان فى صنعاء.

انتهى هذا الدور بسبب مزاحمة الرومان للحميريين في التجارة وتذبذب التجارة بين البر والبحر وعدم الاستقرار على نوع معين من التجارة.

الدور الثانى: ويعرف هذا الدور بِحِمْيَر الثانية التى استمر حكمها فى

الفترة ما بين ٢٧٥م - ٥٢٥ م وجاءت هذه الدولة بعد حِمْيَر الأُولى مباشرة وذلك بضم القبائل المجاورة حضرية كانت أم بدوية وتكوين قوة ذات شأن.

وخضعت لحمير الثانية حضرموت وكل بلاد اليمن وامتد نفوذها إلى بلاد الحجاز واليمامة حتى أصبحت هذه الدولة أشبه بالامبراطورية.

لقب ملوك هذا الدور بلقب «ملك سبأ وريدان وحضرموت وعربهم فى الجبال وتهامة». كما أطلق عليهم العرب اسم التبابعة نسبة إلى تُبَّع أَحد ملوكهم المشهورين.

ومن أشهر ملوك هذا الدور

حسان تبع، وذو نواس وهو آخر ملوك هذا الدور وكان يهودياً وجعل اليهودية الديانة الرسمية للدولة، وهو صاحب حادثة أصحاب الأخدود[1] التي كانت سبباً فى سقوط دوله التبابعة الحميرية المناصرة لليهود ٥٢٥ م، كما سيرد شرحها فى الفصل الثانى.

---

(١) راجع سورة البروج، الآيات ٣، ٨، ٤٢.

تلخيص

الفصل الثاني

دور الاحتلال الأجنبي

الأحباش والفرس

٥٢٥م - ٦٣٢م

طمعت الدول الكبرى آنذاك كالفرس والرومان وكذلك الأحباش فى الاستيلاء على اليمن وباقى جنوب الجزيرة العربية للأسباب الآتية :

١ - أهمية موقعها التجارى والاستراتيجى وخصب تربتها الذى سبب قيام مزروعات مختلفة ، ثم وفرة ثروتها من الناحيتين التجارية والمعدنية .

٢ - تعاقب عدة دول على المنطقة وقيام المنازعات بين تلك الدول واستنجاد بعض الأطراف المتنازعة بقوى خارجية للتغلب على الأطراف الأخرى المناوئة .

٣ - التنافس بين الديانتين اليهودية والنصرانية وصراع الدول التى تقف وراءهما .

٤ - حادثة أصحاب الأخدود : وكانت السبب المباشر لاحتلال الحبشة جنوب الجزيرة العربية علماً بأن هذا الغزو الحبشى لم يكن الأول من نوعه . وتفصيل هذه الحادثة : كان ذو نواس ملك حِمْيَر يهودياً وكان فى نجران بعض المسيحيين (النصارى) . ولقد ظهر آنذاك رجل صالح يدعى « فيمنون » وكان كثير التنقل من أجل التبشير بالدين المسيحي . ولما جاء إلى نجران تنصر على يده أهلها ، فاغتاظ من ذلك ذو نواس وأمر بحفر أُخدود وملئه بالنار ، وألقى الكثير من السكان فيه ليموتوا حرقاً . نجا من الحرق بعض السكان ومن

جملتهم رجل استجار بإمبراطور الدولة الرومانية البيزنطية الذي كان مقره في القسطنطينية ، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ليغزو اليمن .

الدور الحبشي :

أرسل ملك الأحباش جيشاً قوامه سبعون ألف جندي ، تحت إمرة إرياط ومعه قائده أبرهه الأشرم. تقابل هذا الجيش مع جيش ذى نواس عند ساحل عدن وكان النصر حليف إرياط الذى تمكن من احتلال صنعاء وجعلها عاصمة لمستعمرته وبذلك ضاع استقلال الدولة الحميرية وتحققت مطامع الروم الذين ناصروا الأحباش.

حدث نزاع بين إرياط وقائده أبرهة وتمكن إرياط من ضرب أبرهة بالسيف فشرم أنفه - ولذا لقب بالأشرم - إلا أن غلام أبرهة تمكن من قتل إرياط وبذلك آل الأمر إلى أبرهة. أراد أبرهة أن يثبت أقدامه فى اليمن بكسب تأييد النجاشي له فقام بنشر المسيحية وتثبيتها فى اليمن، ولكى يصرف العرب عن الذهاب إلى مكة للحج بنى فى صنعاء كنيسة سماها «القُليس» وبالغ فى تزيينها وإتقانها، وأمر الناس بالحج إليها.

ولكن هذا لم يصرف العرب عن الحج إلى الكعبة المشرفة، وزيادة على ذلك فإن أحد العرب دخل إلى تلك الكنيسة ومكث فيها ليلاً متظاهراً بالتنسك والعبادة ولطخ جدرانها بالقاذورات ولما علم أبرهة بذلك الأمر أقسم أن يغزو مكة ويهدم الكعبة وكان ذلك فى سنة ٥٧١ م وهى السنة التى ولد فيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتعرف كذلك بعام الفيل .

غزا أبرهة مكة ليبر بقسمه، إلا أن غزوته باءت بالفشل فقد سلط الله عليه وعلى جيشه طيراً أبابيل[١]

---

(١) اقرأ سورة الفيل

هنا عاد أبرهة إلى اليمن مذموماً مدحوراً، فأخذ يسوم الناس سوء العذاب، ومات بعد فترة وجيزة وخلفه ابنه مسروق الذى سار على نهج أبيه فى معاملة السكان.

لم يرض العرب الضيم فقامت حركة المقاومة للحكم الحبشى بقيادة «ذى يزن» الذى استنصر بكسرى ملك الفرس. ومات ذو يزن في تلك الآونة فتولى القيادة بعده ابنه «سيف بن ذى يزن».

الدور الفارسى:

كانت الحملة التى جردها الفرس لنصرة سيف بن ذى يزن حملة بحرية بقيادة وَهْرَز. ولما وصلت هذه الحملة إلى شواطىء حضرموت التقت بسيف بن ذى يزن ورجاله الذين كانوا معه.

وعندما علم مسروق الحبشى بأمر الحملة جهز جيشاً لملاقاتها إلا أن هذا الجيش قد تفرق بمقتل مسروق، ودخل سيف ابن ذى يزن ووهرز صنعاء وأَمَّر وهرز سيف بن ذي يزن على اليمن وجعل قصر غمدان مقراً له، وعاد وهرز إلى كسرى

أخذ سيف بن ذى يزن يخلص البلاد من الأحباش فانتهز جماعة منهم فرصة وجود ابن ذى يزن فى الصحراءِ برحلة للقنص وقتلوه. وهنا وقع الاضطراب فى البلاد، فأرسل كسرى قائده وهرز مرة ثانية لاحتلال البلاد من جديد خشية تدخل الأحباش مرة ثانية، فتم له ما أراد. وفى هذه المرة أصبح وهرز نفسه حاكماً على البلاد التى دخلت مباشرة تحت الحكم الفارسى.

وبوفاة وهرز خلفه ابنه المرزبان ثم حفيده وأخيراً جاء باذان الذى اعتنق الدين الإسلامي سنة ٦٢٨ م وظل والياً على البلاد حتى سنة ٦٣٢م وهى السنة التى دخلت فيها بلاد اليمن فى حظيرة الدولة الاسلامية وبذلك انتهى حكم الفرس فى اليمن.

تلخيص

الفصل الثالث
حضارة دول عرب الجنوب

يمكن إبراز أهم مظاهر حضارة عرب الجنوب فيما يأتى :

أولا ـ نظام الحكم والحياة الاجتماعية :

كانت دول عرب الجنوب تسير على النظام الملكى . وقد كان ذلك النظام وراثياً فى الأبناءِ والإخوة، وأحياناً كان الملك يشرك ابنه معه فى الحكم. وكان للنساء حق في وراثة العرش كالرجال ، وكانت تساعد الملك في الحكم مجالس شورى تشبه المجالس النيابية في الوقت الحاضر ، وقد انحصرت مهمتها في إبداء النصح والتوجيه .

أما المجتمع فى دول عرب الجنوب فكان مؤلفاً من أربع طبقات هى :

١ ـ الجند : لحفظ النظام وحماية القلاع وحراسة القوافل
٢ ـ الفلاحون لزراعة الأرض.
٣ ـ الصناع للقيام بالصناعات اليدوية المختلفة.
٤ ـ التجار.

ولكل طبقة من هذه الطبقات حدودها المتعارف عليها. هذه هى الطبقات العاملة ويضاف إليها طبقة النبلاء ورجال الدين.

ثانياً : النشاط الاقتصادى :

أ ـ الناحية التجارية :

كانت سلع الهند وجزر الهند الشرقية والصين وبلدان السواحل الشرقية لأفريقيا ترد إلى موانىء الجنوب العربى حيث تنقل منها إلى صنعاء أو مأرب ثم

تحملها قوافلها من الإبل إلى بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر وموانئ البحر المتوسط، وتفرغ حمولتها المكونة من: الذهب، والقصدير، والعاج، والتوابل، وريش النعام، والقطن، والأحجار الكريمة. مضافاً إليها منتجات دول الجنوب العربى من عطور وبخور وصمغ وسيوف وغيرها. ثم تعود تلك القوافل محملة بالحنطة والزيوت والأصباغ والمنسوجات والأواني المتنوعة وسبائك الفضة.

(ب) الناحية الصناعية:

اشتهرت دول المنطقة بنسج المواد الخام التى ترد إليها من الهند وتصنع منها البرد (جمع بردة). واشتهرت اليمن بصناعة السيوف اليمانية، ويدبغ الجلود وصنع الدروع هذا وقد استخرجت المعادن من الأرض كالفضة والذهب والأحجار الكريمة.

(حـ) الناحية الزراعية:

اشتهر اليمنيون بزراعة الأراضى المنبسطة وسفوح الجبال التى جعلوها على شكل مدرجات. ولقد اهتمت دول الجنوب العربى بالرى، ولذا أنشأوا السدود كسد مأرب، وحفروا القنوات.

ومن أهم مزروعاتهم الفواكه والكروم والرياحين والحبوب وغيرها.

ثالثاً - فن المعمار والنحت والنقش:

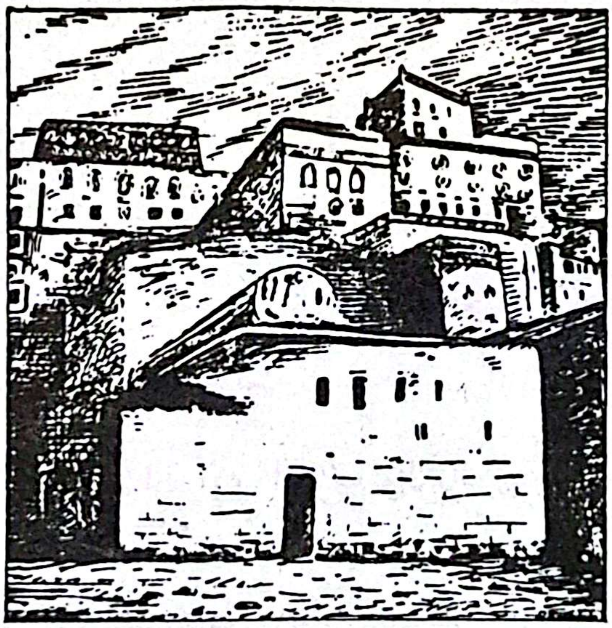
برع أهل الجنوب العربى قديماً فى فن العمارة ونحت الحجارة والنقش عليها. والدليل على ذلك ما خلفوه من قصور فخمة فى كثير من المدن مثل: مأرب وصنعاء ومعين وظفار وغيرها.

رابعاً - الكتابة واللغة والدين:

لغة أهل الجنوب هى إحدى اللغات السامية وكانت تكتب بحروف

أبجدية من اليمين إلى الشمال، وعددها تسعة وعشرون حرفاً ، وقد تم إتقانها فى عهد الدولتين السبئية والحميرية ، ولم تكن الحركات مستعملة لديهم إلا نادراً. وكانوا يكتبون على ألواح من الحجر الرملي أو الحجر الجيرى، أو الحجر العادي ، بالخط المسند .

أما ديانتهم فكانت الوثنية. ثم دخلت النصرانية كما دخلت اليهودية فى زمن الملك «يوسف ذو نواس».



آثار قصر غمدان بصنعاء

أسئلة وتطبيقات على الباب الثانى

١ ـ وجدت فى جنوب الجزيرة ميزات مكنت من وجود حضارة قديمة فيها، اذكر تلك الميزات .

٢ ـ عدد الأدوار التى مر بها التاريخ السياسى لعرب الجنوب.

٣ ـ ما عاصمة المعينيين ؟ . اذكر الأراضى التى امتد نفوذ تلك الدولة إليها.

٤ ـ بم اشتهر المعينيون من حيث: النشاط الاقتصادى ـ اللغة ـ الديانة؟

٥ ـ كيف تمكن السبئيون من القضاء على الدولة المعينية؟

٦ ـ إلى كم قسم تقسم تاريخ سبأ السياسى؟ اذكر تلك الأقسام.

٧ـــ هل كانت دولة سبأ قوية من الناحية العسكرية ؟ وضّح ذلك في ضوء دراستك لقصة بلقيس ملكة سبأ مع النبي سليمان عليه السلام .

٨ـــ سد مأرب من أهم مظاهر الحضارة السبئية . بين الأثر الذي أحدثه انهدامه في الدولة السبئية .

٩ ـ عددّ العوامل التي ادت إلى طمع الدول الكبرى في الاستيلاء على اليمن .

١٠ ـ صف المراحل الأولى لاحتلال الأحباش لليمن .

١١ ـ لماذا أقسم أبرهة على هدم الكعبة ؟ وهل تم له ذلك ؟ ولماذا ؟

١٢ ـ صف الحركات المحلية ضد الحكم الحبشى، ومن قاد تلك الحركات ؟ .

١٣ ـ كيف تم للفرس احتلال اليمن ؟ ثم اذكر متى دخلت تلك البلاد في حظيرة الدولة الإسلامية ؟ .

١٤ـــ علل لما يأتي :

(أ) تمكن المعينيين من إنشاء حضارة في الجزيرة العربية .

(ب) سقوط دولة سبأ .

١٥ـــ اكتب مذكرات تاريخية مختصرة فيما يأتي :

(أ) العمران والفنون في دولة سبأ .

(ب) حادثة أصحاب الأخدود .

(ج) سيف بن ذي يزن .

٨

الباب الثالث

العدنانيون

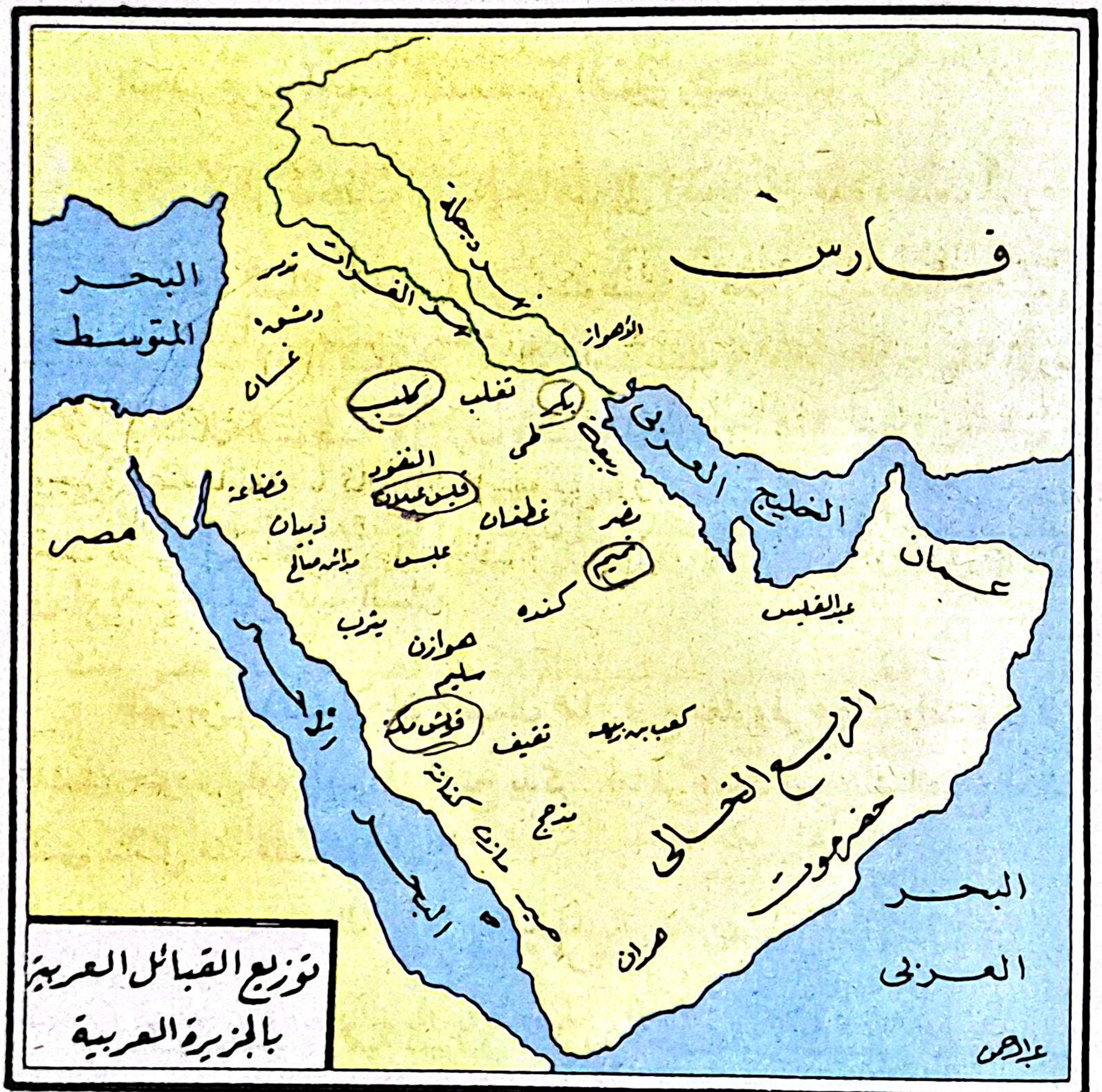
مقدمة:

جاءَ إبراهيم الخليل عليه السلام هو وزوجته هاجر وابنه الطفل إسماعيل إلى أرض الحجاز قادماً من فلسطين . وهو يدعو البارئ عز وجل أن يكلأ ولده وزوجته بعين رعايته ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاءِ إبراهيم إذ بعد فترة وجيزة وعندما نفد ما كان لدى إسماعيل ووالدته من زاد وماء تفجر ماءُ زمزم تحت قدمي إسماعيل فأخذت القبائل تفد إلى مكان الماء. وكانت قبيلة جرهم القحطانية من جملتها.

وتزوج إسماعيل من فتاة جرهمية فأنجبت له اثنى عشر ولداً كَوَّنوا هم وأحفادهم من بعد القبائل العدنانية[1] التي استوطنت الحجاز وتهامة ، ثم انتشرت في نجد وباقي أجزاء الجزيرة العربية .

---

(١) نسبة إلى عدنان ــ أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام .


توزيع القبائل العربية بالجزيرة العربية
فارس
البحر المتوسط
مصر
الخليج العربي
عمان
البحر العربي
الربع الخالي
حضرموت
الأهواز
تغلب
كلب
بكر
غسان
قضاعة
غطفان
تميم
كندة
يثرب
هوازن
سليم
ثقيف
همدان

خريطة رقم (٧)

الفصــل الأول
العرب في الحجــاز

(أ) أصلهم:

انحدر عرب الحجاز القدماء من أصلين رئيسيين هما:

أولا: قبائل قحطانية (يمنية) جاءت إلى الحجاز فى عدة دفعات أبرزها:

أ - دفعة القبائل الجرهمية التى استوطنت فى مكة. ب - دفعة جاءت إثر انهيار سد مأرب ومنها قبيلة خزاعة التى استوطنت فى مكة. ج - قبيلتا الأوس والخزرج اللتان استوطنتا في يثرب (المدينة المنورة).

ثانيا: القبائل العدنانية وينتسبون إلى جدهم عدنان أحد أحفاد إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام.

ظهر من عدنان فرعان عظيمان هما: فرع معد وفرع عك ولقد نزل فرع عك فى جنوب تهامة وليس له تاريخ يذكر. أما فرع معد فهو ذلك الفرع العظيم الذى تناسل منه عقب عدنان.

قبيلة قريش

إن لهذه القبيلة أهمية كبيرة فى التاريخ الحضارى والسياسى للحجاز قبل الإسلام، ولها مكانه مرموقة بين القبائل إذ خرج منها سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، ولها كذلك أهمية كبيرة فى التاريخ الإسلامي الحضارى والسياسى إذ ظهر منها الخلفاءُ الراشدون والخلفاءُ الأمويون والعباسيون.

استمر سلطان خزاعة فى مكة - بعد الجراهمة - لمدة قرنين من الزمن، تمكنت بعدها قريش بقيادة «قصى بن كلاب بن فهر» من تولي الزعامة فى مكة،

وقد قدم قصى للعرب خدمات جليلة مما جعل اسمه واسم قبيلتـه «قريش» مشهوراً فى أنحاء الجزيرة العربية.

أعمال قصي:

لما استقر الحكم لقصى قام بالإصلاحات والأعمال الآتية:

١ ـ جمع أفراد قريش المبعثرين فى نواح متعددة من مكة وجعلهم يقيمون البيوت بالقرب من الكعبة لحراستها.

٢ ـ بنى قصراً يؤدى إلى باب الكعبة مباشرة، وقد سماًه «دار الندوة». وتولى قصى رئاسة هذه الدار التى كان من اختصاصها البت فى الشئون العامة كالتجارة والحروب. ولم يسمح بدخول هذه الدار إلا لمن كان فى الأربعين من عمره أو من نسل قصى أو من العلماءِ أو الحكماءِ المعروفين.

وعند الحرب يتسلم القرشيون الراية من قصي، وكـان قصى يبت فى الأحوال الشخصية بين الناس.

٣ ـ أثار فى أهل مكة عاطفة الكرم والضيافة بمناسبة توافد الحجاج.

٤ ـ كان قصي يهيمن على السقاية وهي توفير الماءِ للحجاج.

٥ ـ وكان بيد قصى كذلك الحجابة أو السدانة، وهى خدمة الكعبـة وحراستها والاحتفاظ بمفاتيحها. وكانت الشعائر الدينية لا تقام فيها إلا بإذنه وهكذا أصبحت جميع السلطات الزمنية والـدينية بيـد قصي وأصبحت قبيلة قريش تتمتع بمركز ممتاز بين سائر القبائل.

أولاد وأحفاد قصي:

توفي قصي وهو فى الثمانين من العمر وقد أوصى لابنه الأكبر عبد الدار

بجميع الوظائف التى كانت بيده وهى : الحجابة (السدانة)، واللواء، والندوة، والرفادة والسقاية . أما عبد مناف فلم يترك له شيئاً من هذه الوظائف لأنه كان ذا مكانة مرموقة دون أن يقلد أى منصب . وبعد وفاة عبد الدار حدثت خصومات بين أبنائه من جهة وبين أبناءِ عبد مناف من جهة أُخرى . وهنا انقسمت قريش إلى قسمين : قسم يناصر بنى عبد الدار وقسم آخر يناصر بنى عبد مناف . ولكن هذا النزاع لم يحتدم طويلا إذ اتفق الطرفان على تقسيم الوظائف فيما بينهما كالآتى :

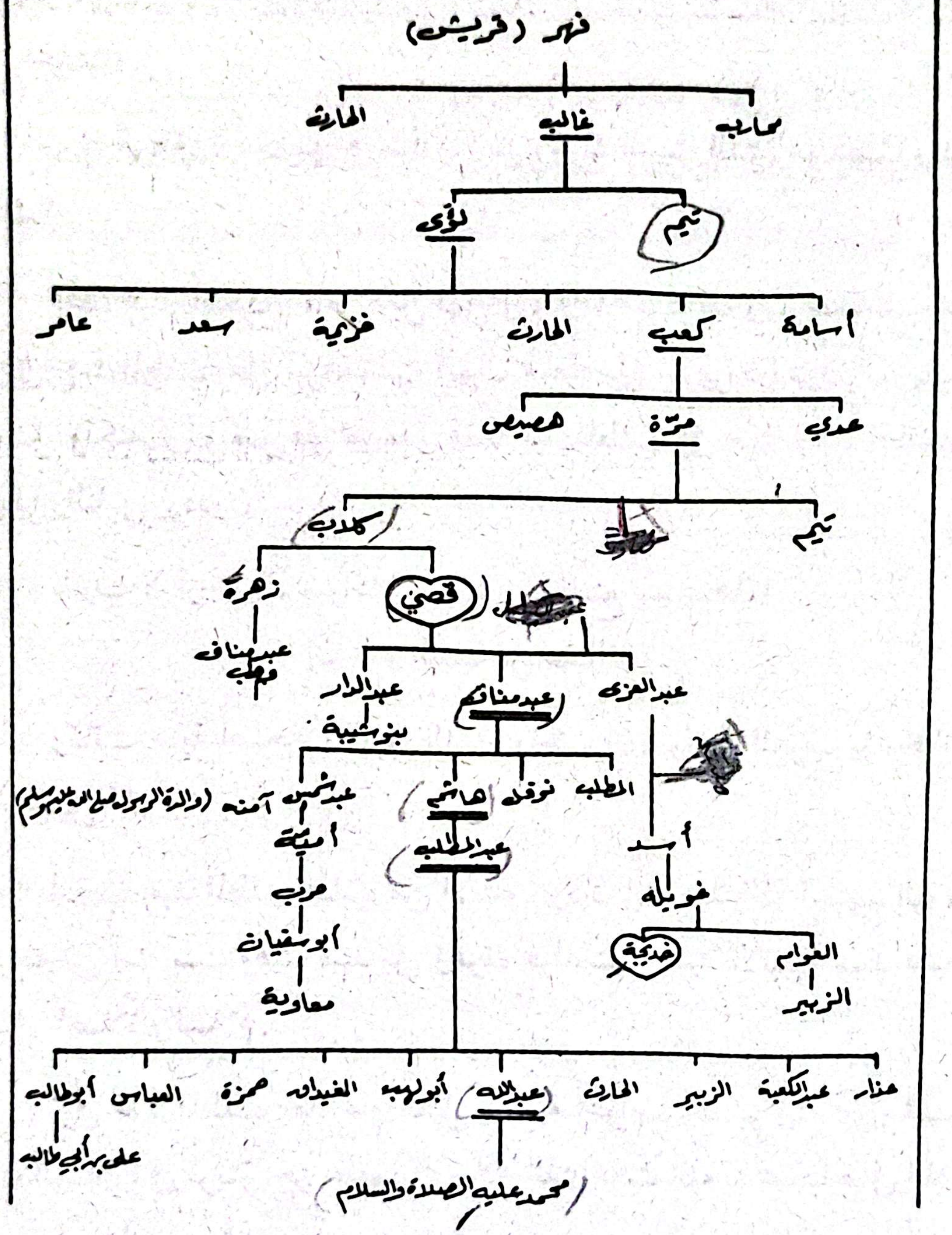
أَخذ بنو عبد الدار الحجابة، واللواء، والندوة . وأخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة وتولاهما هاشم بن عبد مناف،وقد ازدهرت مكة فى عهد هاشم وزاد ثراؤ ها بسبب التجارة، كما زادت شهرة هاشم لتوفيره الماء والطعام للحجاج، وقد حسده أمية ابن أخيه على هذه المنزلة وبدأ فى هذه اللحظة أَول خلاف بين هاشم وأمية .

توفى هاشم وهو فى تجارته بمدينة غزة بفلسطين سنة ٥١٠ م ولم ينجب غير ولد واحد اسمه شيبة، وقد كان صغيراً عند وفاة والده فتولى عمه المطلب القيادة . ولما بلغ شيبة أشده وقد أُطلق عليه اسم عبد المطلب تولى القيادة إثر وفاة عمه فى اليمن سنة ٥٢٠ م .

وحرصاً منه على توفير الماءِ للحجاج حفر بئر زمزم فذاع صيته بين القبائل وازداد نفوذه .

كثرت فى عهده الأحداث ومن جملتها غزو أبرهة الأشرم لمكة من أجل هدم الكعبة، وكان ذلك فى سنة ٥٧١ م وتعرف تلك السنة بعام الفيل، وهى السنة التى ولد فيها سيد الأنبياءِ والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام .

نسب قريش



فهر (قريش)
محارب
غالب
الحارث
تيم
لؤي
أسامة
كعب
الحارث
خزيمة
سعد
عامر
عدي
مرة
هصيص
تيم
كلاب
زهرة
عبد مناف
وهب
قصي
عبد العزى
عبد مناف
عبد الدار
بنو شيبة
المطلب
نوفل
هاشم
عبد شمس
آمنة (والدة الرسول صلى الله عليه وسلم)
أمية
حرب
أبو سفيان
معاوية
عبد المطلب
أسد
خويلد
العوام
الزبير
خديجة
ضرار
عبد الكعبة
الزبير
الحارث
عبد الله
أبو لهب
الغيداق
حمزة
العباس
أبو طالب
علي بن أبي طالب
محمد عليه الصلاة والسلام

ولما جاء أبرهة إلى مكة صادر مواشى أهلها ومن جملتها إبل عبد المطلب، وطلب أبرهة عبد المطلب وقال له: «إني لم أجيء لحربكم بل جئت لأهدم هذا البيت، فإن تعرضتم لى حاربتكم وإلا فلا حاجة لي بدمائكم». فأجابه عبد المطلب قائلا: «لا حاجة بالتعرض إليك وإن ما أطلبه منك هو أن ترد على إبلى التى أخذتها».

فقال له أبرهة: «أتكلمنى فى شأن الإبل وتترك البيت الذى هو دينك ودين آبائك؟».

فقال عبد المطلب: «أما الابل فهى لى، وأما البيت فله رب يحميه». وهنا عرض عبد المطلب على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع دون أن يهدم البيت، ولكنه أبى وأصر على هدمه. فعاد عبد المطلب إلى مكة وطاف بالبيت منشدا والناس يرددون:

يا رب لا أرجو لهم سواكا   يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداك

وكانت نهاية أصحاب الفيل الدمار والخسران، وأخذ العرب يؤرخون بعام الفيل(١).

أنجب عبد المطلب عشرة من الأبناءِ. وكان ابنه عبد الله أحبهم إليه، وزوجه من آمنه بنت وهب سيد بنى زهرة، فولدت له سيد الأنبياءِ محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

توفى عبد المطلب بعد عام الفيل بثمانية أعوام، وتسلم ابنه أبو طالب مكان الصدارة فى قريش حتى ظهور الإسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم هادياً ومرشداً.

---

(١) راجع سورة الفيل

مكانة مكة المكرمة :

لم تكن قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام شيئا يذكر سوى أنها إحدى البلدان التى سكنها فرع من الأقوام البابلية (أو العمالقة) ويستدل المؤرخون على ذلك أن كلمة «مكا» معناها فى البابلية البيت، وهو اسم الكعبة .

جاءت إلى هذا المكان قبائل جرهم التى تزوج منها إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام . وبعد أن تفجرت مياه زمزم تمَّ بناء الكعبة وأخذت مكانتها تبرز حتى أصبحت محجاً لجميع العرب ، فأصبحت مكة أكبر سوق تجارى وثقافى فى الجزيرة العربية . حتى إن الدول المجاورة أنشأت فيها وكالات تجارية لسلعها فيها . كما أن لمكة وقريش فضلا كبيرا في تهذيب اللغة العربية وصقلها وكان أن نزل القرآن الكريم فيها ، فأكسبها ثروة لغوية لا تبارى .

الفصـل الثاني

حياة عرب الحجاز

الخلاص //

النواحى الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية

تمهيد :

يؤلف الحجاز الأجزاء الغربية من الجزيرة العربية المحصورة بين بلاد الشام شمالا وعسير جنوباً، والبحر الأحمر غرباً ونجد شرقا،وسمي الحجاز بهذا الاسم لأنه يحجز نجد عن تهامة.

إن موقع الحجاز جعله حلقة الاتصال بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها حتى بلاد الشام ، وأن أوديته المعترضة مكّنته من الاتصال بداخل الجزيرة العربية، كما أن لموقعه وتضاريسه أثراً فى أحواله المناخية. وقد أثّرت هذه العوامل مجتمعة فى حياة السكان الدينية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية.

أولا ـ الناحية الدينية :

لما جاءَ إبراهيم عليه السلام إلى الحجاز، أخذ يدعو الناس لعبادة الله وحده، فانتشرت دعوته، وتعلق الناس بها حتى سادت الحجاز، خاصة منطقة مكة وما جاورها وأخذ الناس يحجون إلى البيت العتيق (الكعبة)، واستقر كثير من القبائل فى مكة وحولها. ظهرت بعد ذلك القبائل العدنانية من نسل إسماعيل عليه السلام،واعتنقت ملة إبراهيم عليه السلام. ثم انتشرت هذه القبائل فى الحجاز وباقى أجزاءِ الجزيرة العربية وما جاورها، وظلت مشدودة إلى مكة لقدسيتها ولاعتناقهم ديانة التوحيد.

وقد انتشرت بينهم عبادة الأوثان عن طريق اتصالهم بالأقوام خارج

الجزيرة والتى أنستهم دين إبراهيم ، وزاد تعلقهم بها لدرجه أنهم نصبوها حول الكعبة وقربوا إليها القرابين ومن أشهر هذه الأصنام: هبل - اللات - العزى - مناة - وغيرها .

ثانياً - حياتهم الفكرية :

تتمثل مظاهر الحياة الفكرية لدى الأقوام والشعوب فى النواحي: الثقافية ، والأدبية ، والعلمية التى وصلوا إليها خلال العصور التى مرت بهم وفى الظروف البيئية التى عاشوا فيها :

إن هذه النواحى تظهر جلية بالنسبة لعرب الحجاز فى : اللغة - والآداب - والعلوم .

(أ) اللغة :

إن لغة أهل الحجاز هي اللغة العربية إحدى اللغات السامية .

ولقد عرفت من قبل أن لغة الحجاز إزدادت ثروة ونموا فى مفرداتها وأنها أخذت تتدرج فى سهولة معانيها حتى كانت لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم فأكسبها قوة وبقاء .

(ب) الآداب :

أما الآداب فقد اشتملت على :

(١) النثر : الذى تدخل فيه الخطب والرسائل والحكم والأمثال والقصص وكل ما يكتب بشكل منثور غير منظوم .

(٢) الشعر : وهو تلك القصائد التى نظمها العرب فى شتى النواحى التاريخية والدينية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والوصف والمناظرة وما إلى ذلك حتى أصبح الشعر سجلا حافلا لحياة القبيلة وتاريخها .

ولقد ساعدت عـدة أمور على ازدياد الثروة اللغوية والأدبية عند عرب الحجاز أهمها.

١ـ الأسواق: وهى أمكنة يتجمع فيها العرب. وفى هذه الأسواق كان أُدباءُ القبائل وشعراؤ ها وخطباؤ ها يتبارون فى الشعر ونظم القصائد وإلقاء الخطب.

وأشهر تلك الأسواق: سوق عكاظ قرب الطائف، وسوق مجنة ويلي عكاظ، وسوق ذى مجاز خلف جبل عرفات.

هذا ولم تقتصر فوائد هذه الأسواق على النواحى اللغوية والثقافية، فقد كـان التجار يتبـادلون السلع فيـما بينهم، كما كـان رؤ ساءُ القبـائل يعقـدون الاجتماعات التى تجرى فيها المفـاوضات، ويتم فيهـا التشـاور والبحث فى أُمهات الأمور.

٢ـ أيام العرب: وهى المعارك الحربية التى دارت رحاهـا إما بـين القبائـل العدنانية نفسها أو بينها وبين القبائل القحطانية أو الفرس. إن هذه الوقائع لم تقتصر على الناحية العسكرية والسياسية فحسب، وإنما شملت النواحى الأدبية أيضاً، إذ كانت تقال فيها الأشعار الحماسية لإثارة الحمية والنخوة أو لوصف معاركها الدامية. كما كانت تلقى الخطب التى تثير الحماسة والنخوة والاستماتة فى سبيل النصر على الأعداء.

(ج) العلوم:

وأما العلوم عند العرب فى الحجاز فقد اشتملت على:

١ ـ المعلومات الجغرافية:

وذلك نتيجة لأسفـارهم فى البلدان المجاورة داخـل الجزيـرة العربيـة وخـارجها. فعـرفوا بـذلك أحـوال سكان البـلاد التى زاروهـا ونشـاطـاتهم

الاقتصادية .

٢ ـ المعلومات الفلكية والطبيعية :

عرف العرب فى هـذا المجال أحـوال النجوم ومنـازل الشمس والقمر والأفلاك وحركاتها، وألموا بأحوال الجو وحركات الرياح، وهذا ما كان يعرف عندهم بعلم الأنواء .

٣ ـ الطب والصيدلية :

اعتمد العربي في الطب علي عدة وسائل وهي :

(أ) العقاقير والأشربة والحجامة والفصد والكي .

(ب) الرقى والحُجُب .

(ج) جبر كسور العظـام .

أما الصيدلـة، فقد تفنن العـرب فى استخراج الأدويـة من الحشائش ومختلف الأعشاب.

٤ ـ الكهانة والعرافة والسحر

فالكهانة هى محاولة معرفة المستقبل. والعرافة هى معرفة الشىء الماضى وأما السحر فهو تخيل الأشياء على غير حقيقتها. وهذه كانت معروفة لدى فئة معينة من الناس.

٥ ـ علم الفراسة

كانت الغاية من الفراسة الاستدلال بهيئة الشخص على أخلاقه. وقد برع العربـى فيها ووضع العرب لها قواعد وأسساً .

٦ ـ معرفة اللغات

عرف العرب قبل الإسلام اللغة الكلدانية، والسريانية، والرومـانية، والحبشية، والفارسية.

هذا وكان لاتصال عرب الحجاز بالأقوام المجاورة أثر في علومهم المختلفة كما أن للبيئة الجغرافية أثراً في ذلك.

ثالثاً ـ حياتهم الاجتماعية:

تتمثل هذه الناحية في طراز المعيشة لدى العرب في الحجاز، وتكوين المجتمع والعلاقة بين أفراده وأسره، وأخلاقهم وعاداتهم. لقد غلبت الحياة البدوية على عرب الحجاز باستثناء قريش وبعض الأقوام الأخرى التي تحضرت وسكنت المدن.

أما نظام الحكم فكان قبلياً، إذ كان لكل قبيلة شيخ، ولكل عشيرة فيها سيد، ولكل منهما صفات خاصة تميزه عن غيره من أفراد القبيلة كالكرم والشجاعة وسعة الصدر، والنبل، والسن، وغير ذلك.

وطاعة الأفراد للشيخ والسيد واردة وبشكل بارز، فأفراد المجتمع يقدمون للشيخ ما يتطلبه وضعه من كونه مقراً للوافدين، ومعلنا للحروب، ومركزا للتشاور فيما بين سادة العشائر وما إلى ذلك من أمور تحتاج إلى النفقات.

وعلى شيخ القبيلة أن يبرز قبيلته، وأن يدافع عنها، وأن يعمل كل شيء في سبيلها.

أما سادة العشائر فهم يكوِّنون المجلس الاستشاري للشيخ ولهم في عشائرهم نفس حقوق الشيخ في القبيلة.

رابعاً ـ الناحية الاقتصادية:

يتمثل النشاط الاقتصادي لعرب الحجاز فيما يلي:

(أ) الرعي: وهو حرفة تخص البدوي المتنقل من مكان لآخر بقصد الحصول

على الماءِ والكلأ (العشب) لمواشيه وأغنامه وإبله وخيوله وغيرها وكان يستخدم هذه الحيوانات لأغراض معيشية أو عسكرية.

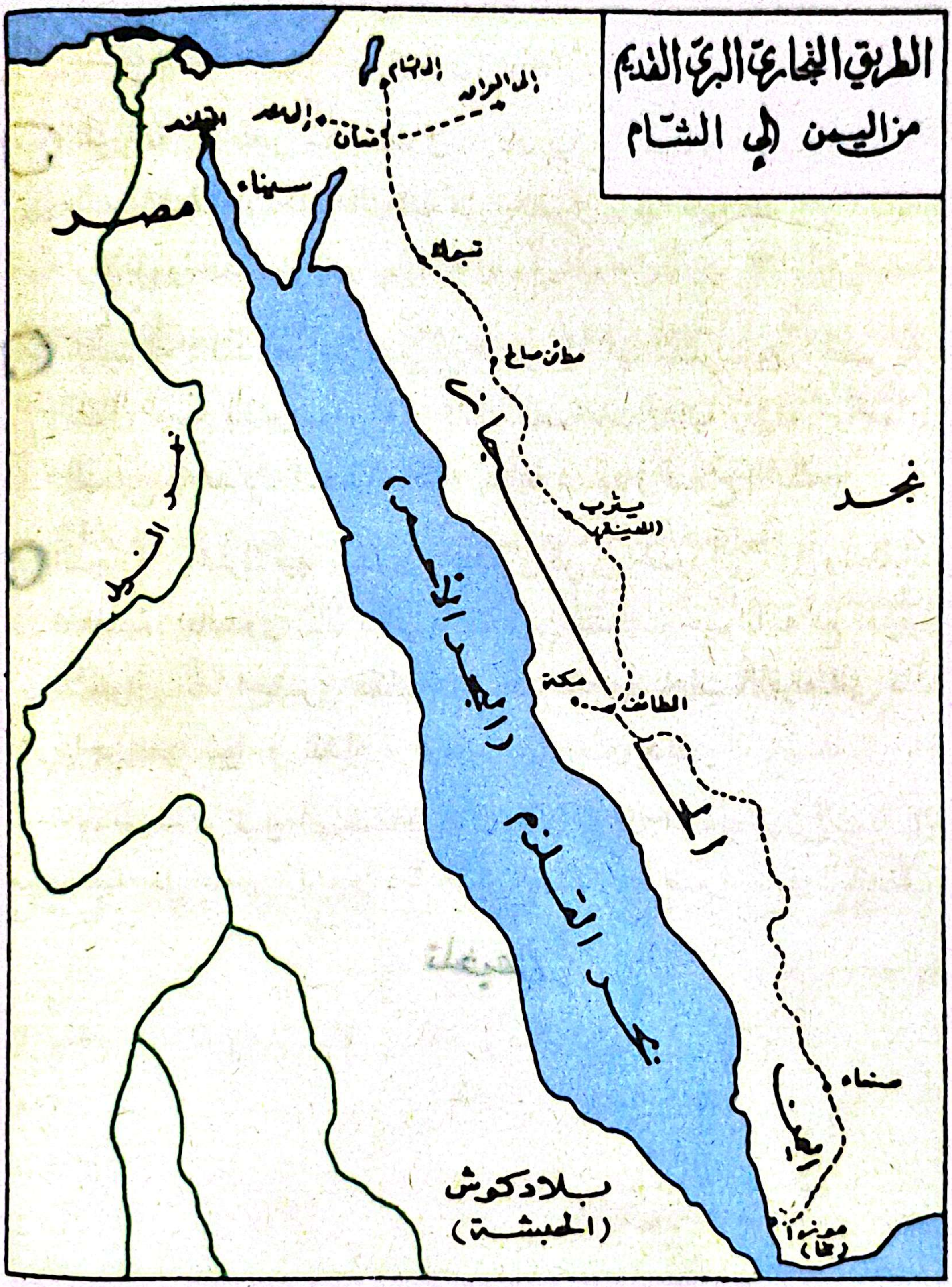
ب) الزراعة : اختص بها الحضرى، وكان يزرع البقول والحبوب فى الأماكن الصالحة لها. وتتطلب الزراعة من الحضرى تربية حيوانات الجر كالأبقار والإبل والحمير والبغال.

جـ) الصناعة : لقد احترفها قليل من البدو، إلا أنها انتشرت بين الحضر على نطاق أوسع بكثير. ومع هذا كانت الصناعات بدائية وقليلة. وأهمها : النسيج والحدادة والنجارة والبناء ودباغة الجلود وإصلاح الأسلحة.

د) التجارة : اشترك فيها البدوى والحضرى كل فى الحدود التى تتفق ومتطلباته المعاشية. فالبدوي كان يتجر بما لديه من منتجات حيواناته مع أقرب الأسواق. أما الحضرى فكان يتجر بصناعاته وصناعات الأقوام التى كان يتاجر معها سواء فى الشام أو اليمن.

وواضح مما سبق أن النشاط الاقتصادي لعرب الحجاز كان يعتمد إلى مدى بعيد على عاملين رئيسيين هما : طراز المعيشة، والوضع الجغرافي للمنطقة.

تلخيص


الطريق التجاري البري القديم
من اليمن إلي الشام
الشام
عمان
سيناء
مصر
تبوك
مدائن صالح
الحجاز
نجد
مكة
الطائف
نهر النيل
البحر الأحمر
بحر القلزم
صنعاء
اليمن
بلاد كوش
(الحبشة)

خريطة رقم (٨)

الفصـل الثالث

العـــرب في نجـــد

دولة كِنْدة

تمهيد :

إذا نظرت إلى خريطة توزيع الأقوام العربية في جزيرتهم[1] تجد أن أقواماً عدنانية وأُخرى قحطانية قد استقرت فى قلب تلك الجزيرة «نجد»،ومن أشهر القبائل العدنانية التى سكنت فى ذلك الجزء قبيلة ربيعة وما تفرع منها. أما أشهر القبائل القحطانية التى سكنت هناك فهى قبيلة كِنْدة التى كوّنت أشهر دولة فى تلك المنطقة وتعاقب عليها عدة ملوك. وإليك تاريخ هذه الدولة :

(أ) تأسيس دولة كِنْدة :

كندة قبيلة قحطانية استقرت فى بادئ الأمر مدة من الزمن فى موقع يقال له كندة وهو مرتفع من الأرض يشرف على حضرموت.

وحين تفرَّقت القبائل القحطانية إثر انهدام سد مأرب جاءت قبيلة كندة إلى نجد حيث كانت تسكن قبيلة ربيعة وبطونها .

استفادت كندة من فرصة الخلاف بين زعماء قبيلة ربيعة واستنجاد بعضهم بالتبابعة الحميريين ، وملكهم آنذاك حسان بن تبَّع الذي تدخل فعلا فى أمر النزاع القائم بين قبائل نجد ، ورأى أن من مصلحته أن يستفيد من وجود قبيلة كندة فى المنطقة ، فيكوّن منها دولة تقف فى وجه المناذرة الذين يساندهم الفرس . لذا نفَّذ حسان فكرته هذه وكوّن من كندة دولة وجعل من زعيمها حجر بن عدي ملكا على نجد،وكان ذلك حوالي سنة ٤٨٠ م. وقد

(١) انظر خريطة رقم (٧) .

قابلت القبائل هناك هذا الإجراء بالارتياح لأنه سيقضى على الخلافات القائمة فى المنطقة . ومن أشهر ملوك كندة :

- الحارث بن عمرو :

هو ثالث ملوك كندة ويعتبر أشجعهم ، وقد عاصر قُبَّاذ ملك الفرس ، كما عاصر فتح الأحباش لليمن ، والقضاء على دولة التبابعة التى كان يستمد نفوذه منها . وهنا رأى الحارث أن المصلحة تقضى بضرورة التطلع إلى مناصر آخر يمكنه من القضاء على أعدائه فى الحيرة . فكان له ما أراد إذ حدث أن تغّير قُبَّاذ ملك الفرس على المنذر الثالث ملك الحيرة لرفضه اعتناق الديانة الفارسية وهى «المزدكية» وطرده من الحكم فانتهز الحارث هذه الفرصة واعتنق هذه الديانة ، فقرّبه قباذ إليه وجعله واليًا على الحيرة .

- ضعف دولة كندة :

توفي الملك « قباذ » واعتلى عرش الفرس « أنوشروان » الذي أعاد المنذر الثالث» إلى الحكم فى الحيرة وطرد «الحارث بن عمرو» الذى فر بأمواله وأولاده ، غير أن المنذر ظل يطارده وأولاده حتى تمكن من قتل الحارث ومعظم أبنائه ولم يبق منهم سوى «حجر بن الحارث» الذى قتل على يد بنو أسد ، فالتجأ ابنه «امرؤ القيس» إلى قيصر الروم ليناصره على محاربة بنى الاسد إلا أنه مات فى الطريق بالقرب من أنقرة قبل أن ينفذ مأربه . وبعد موت امرىء القيس لم يبق من ملوك كندة سوى بعض الأمراء الصغار الذين كانت لهم شبه سيادة على بعض القبائل حتى جاء الاسلام .

ومن الناحية الحضارية فإن لدولة كندة حضارة عريقة قبل الإسلام شبيهة بحضارة معين وسبأ وحمير ، وتشهد بذلك آثار عاصمتها « قرية الفاو » المكتشفة حديثاً والشهرة الذائعة التي عرفت لهم قديماً في الناحية الأدبية التي تجلت فيما قاله شعراؤهم من قصائد ، وكان أبرزها المعلقة المشهورة لامرىء القيس .

أسئلة وتطبيقات على الباب الثالث

١ ــ يتكون سكان الحجاز القدماء من فرعي العرب الباقية . اذكر هذين الفرعين ، وعدد القبائل الرئيسية لكل منهما .

٢ ــ ارسم خريطة للجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق مبيناً عليها : توزيع قبائل كل من الفرعين الوارد ذكرهما في السؤال الأول .

٣ ــ بيِّن كيف تمكنت قريش من احتلال مكان الصدارة في مكة .

٤ ــ من قصي بن كلاب ؟ وما الأعمال التي جعلت له المكانة المرموقة ولقريش السيادة في مكة ؟.

٥ ــ حاول رسم شجرة تبين عليها تسلسل نسب قريش حتى سيدنا محمد ﷺ .

٦ ــ يُعرف عهد عبد المطلب بعهد الأحداث . اذكر أهم تلك الأحداث .

٧ ــ اذكر طرفاً من الحوار الذي جرى بين عبد المطلب وأبرهة .

٨ ــ بيِّن كيف تفوَّقت لغة قريش على غيرها سهولة وثروة .

٩ ــ كان للأسواق أثر واضح في آداب العرب بالحجاز . وضِّح ذلك .

١٠ ــ وضِّح كيف كان للحروب أثرها في إثراء اللغة وآدابها .

١١ ــ اذكر أهم العلوم عند عرب الحجاز .

١٢ ــ كيف كان نظام الحكم لدى عرب الحجاز ؟ .

١٣ ــ كانت التجارة أهم مظاهر النشاط الاقتصادي عند قريش . اشرح ذلك بوضوح .

١٤ ــ ارسم خريطة للجزيرة العربية توضح عليها طرقها التجارية البرية القديمة .

١٥ ــ أين سكنت قبيلة كندة أولا ؟ وكيف تمكنت من الاستقرار في نجد ؟ .

١٦ ــ من أول زعيم كندي أصبح ملكاً ؟ ومن الذي ساعده لبلوغ مأربه ؟

١٧ ــ كيف كانت علاقة ملوك كندة مع الفرس ؟

١٨ ــ ماذا عمل امرؤ القيس بعد مقتل أبيه ؟ وهل وفق فيما ذهب إليه ؟

١٩ ــ علل لما يأتي :

(أ) حدوث خلاف بين أبناء عبد الدار وأبناء عبد مناف .

(ب) تزايد أهمية مكة المكرمة .

(ج) أهمية الأسواق عند العرب .

٢٠ ــ اكتب مذكرات مختصرة فيما يأتي :

أيام العرب ــ بئر زمزم ــ أهمية موقع الحجاز .

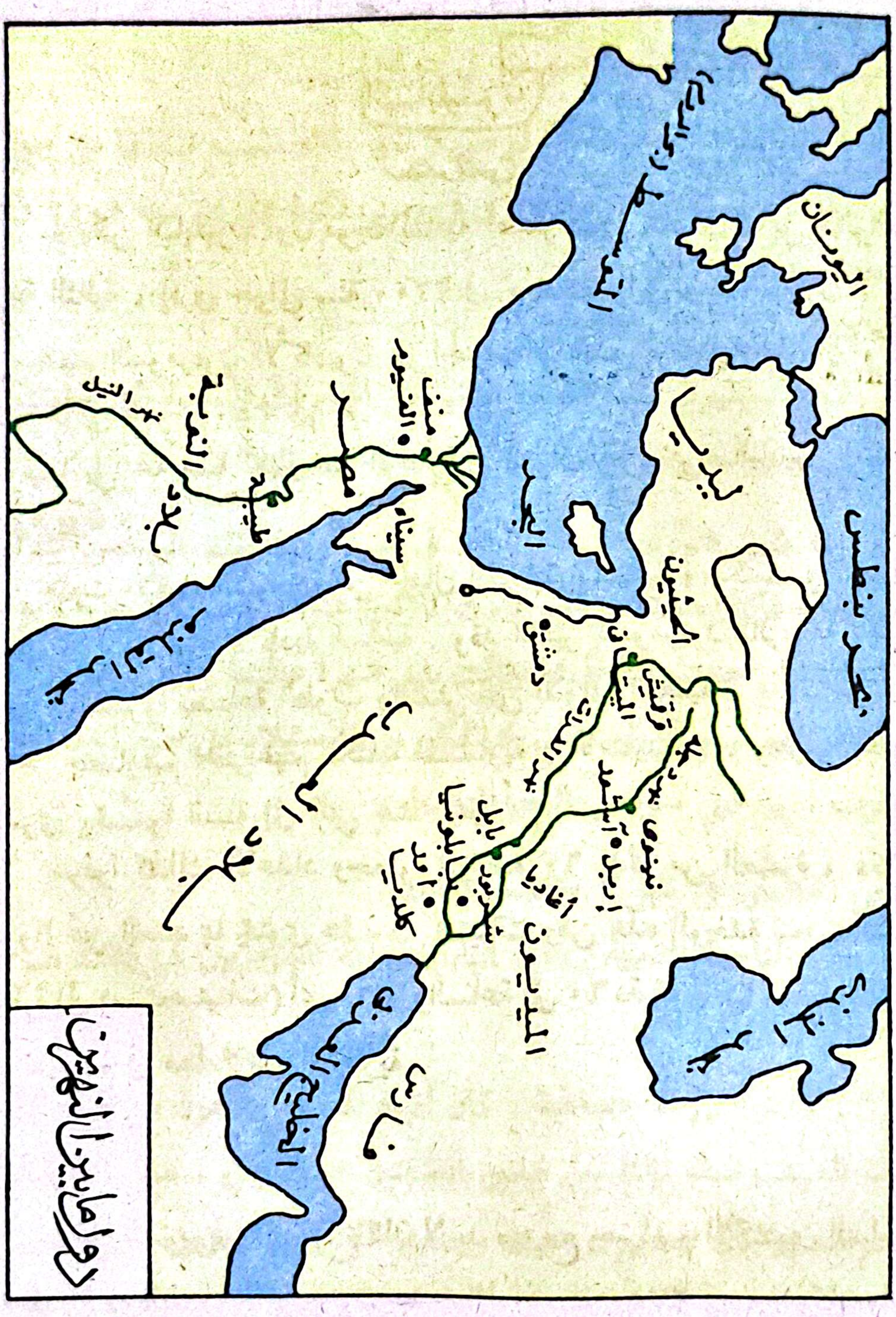
الباب الرابع

دول ما بين النهرين

لحفظ

تمهيد :

تؤلف منطقة ما بين النهرين أراضي نهري دجلة والفرات بالعراق ، وهي تكوِّن الجزء الشرقي من الهلال الخصيب . وهذه المنطقة تكون نقطة اتصال بين وسط آسيا وشرقها وجنوبها وبين الأجزاء الغربية من تلك القارة المتاخمة لأوروبا وللجزءِ الشرقي من البحر المتوسط ، حيث يمر بهذه المنطقة الطريق التجاري القادم من جنوب آسيا عبر المحيط الهندي والخليج العربي ، كما يمر بها الطريق التجاري البري الذي يخترق آسيا من الشرق إلى الغرب . من كل ما تقدم يتضح لنا أن عوامل نشوء الحضارة القديمة في هذه المنطقة كانت متوافرة ، وأن تلك المنطقة قد استهوت الكثير من الأقوام السامية لاستيطانها كما سبقت الإشارة إلى ذلك .


دول ما بين النهرين
بحر بنطس
اليونان
ليديا
الحيثيون
البحر المتوسط (بحر الروم)
دمشق
قرقميش
الميتاني
نينوى
نهر دجلة
إربل
آشور
نهر الفرات
أكاديا
الميديون
بابل
بابلونيا
أور
كلديا
فارس
الخليج العربي
بلاد العرب
منف
الفيوم
سيناء
مصر
طيبة
بلاد النوبة
نهر النيل

الفصل الأول

البابليون

لخص

توطئة :

لم يكن البابليون أول موجة سامية استقرت فى العراق ، بل كانوا هم الموجة الثانية ، إذ فى حوالى سنة ٢٢٠٠ ق.م استقروا فى وسط العراق ، بعد أن سبقهم السومريون الأكاديون في الجنوب والآشوريون في الشمال وكان ذلك حوالي سنة ٣٥٠٠ ق. م.

وفيما يلي لمحة عمّا كان عليه الوضع في العراق قبل مجيء البابليين .

السومريون :

جاءت الأقوام السومرية من الجبال الشرقية الشمالية وسكنت في جنوب العراق بجوار الأقوام الأكادية السامية . وقد اشتهر السومريون بالزراعة وطرق الري كما اشتهروا بصناعة الطوب والنقش على الأواني الفضية . وكان من أبرز مظاهر حضارتهم اختراعهم الكتابة المسمارية (الاسفينية) ، وعرفوا التقويم القمري وقسّموا السنة إلى اثني عشر شهراً .

عرفوا كذلك الأعداد وجعلوا الوحدة ٦٠ بدلا من العشرة ، فكانوا يعبرون عن العدد بما يحتوى عليه من ستينات ومن هذه الوحدة نتجت قسمة الدائرة إلى (ست ستينات) أى ٣٦٠° والساعة إلى ٦٠ دقيقة ، كما عرفوا الأوزان التى تفيدهم فى معاملاتهم التجارية .

الأكاديون :

دخل السومريون فى نزاع كان لا بد منه مع جيرانهم الأكاديين الساميين مدة طويلة ، وظهر فى الأكاديين سرجون الأول سنة ٢٧٥٠ ق.م. وكان ماهرا فى فنون الحرب لدرجة أن المؤرخين اعتبروه أول قائد حربى فى التاريخ من الجنس السامي،كما اعتبروه أول ملك أنشأ دولة عظيمة امتدت من جبال عيلام

شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً . فلما ظهر هذا القائد قضى على السومريين سياسياً إلا أن حضارتهم انصهرت في دولته .

لم تدم دولة سرجون الأول طويلا بعد وفاته بسبب ضعفها من جهة ، وقيام دولة بابل وبروزها بشكل قوى فى زمن ملكها حمورابى سنة ٢١٠٠ ق.م من جهة أُخرى .

نشوء دولة بابل :

كان البابليون بمثابة الموجة الثانية من الهجرات السامية التى جاءت إلى العراق ، وقد استقرت فى بلدة بابل قرب الحلة وإليها نسبوا .

ولما ظهر حمورابى سنة ٢١٠٠ ق.م . وهو الملك السادس للأسرة الأمورية ، تمكن «بعد حروب دامت ثلاثين عاماً ضد دولة سومروأكاد» من الاستيلاءِ على جنوب العراق ، ونالت بابل شهرة عظيمة في زمن حمورابي حتى إن الدولة كلها سميت باسمها . كما تمكن من الاستيلاء على جميع المدن العامرة فى غرب آسيا حتى سواحل البحرالمتوسط .

نواحى الحضارة فى بابل : وتتضح فيما يلى :

١ ـ **الناحية الدينية :** عبد البابليون آلهة السومريين كما كانت لهم آلهة يعبدونها من دون الله .

٢ ـ **النواحى الاجتماعية :** كان أفراد المجتمع يتألفون من طبقة الأمراء وطبقة العبيد وطبقة ثالثة بين هاتين الطبقتين هى الموالى ، هذا بالاضافة إلى الأشراف ورجال الدين ، حيث وجدت الفوارق الطبقية الواضحة في المعاملات والزواج بين أفراد هذه الطبقات ، فقد كان عقاب من يعتدى على رجل حز أشد من عقاب من يعتدى على عبد أو مولى . وكان الزواج يتم بين أفراد الطبقة الواحدة دونما تداخل بين الطبقات .

٣ ــ نظام الحكم : كان ملكياً والبلاد مقسمة إلى عدة أقسام ولكل قسم وال يقوم بتصريف الأمور على ضوء ما يصل إليه من رسائل وتعليمات من الملك .

٤ ــ التعليم : اهتم البابليون بالتعليم وإيجاد المدارس فكان الطلاب يكتبون على ألواح من الآجر الطري وكانت الحروف المستعملة هى المسمارية إلا أن اللغة كانت بالطبع هى السامية .

وقد اهتم البابليون بالحساب والهجاء والمسائل الرياضية والأرصاد الفلكية والنصوص التاريخية والأدعية الدينية،وقد عثر على ألواح من الآجر (القرميد) تحتوي عليها .

٥ ــ الناحية الاقتصادية : اهتم البابليون بالتجارة والزراعة وتربية المواشي كغيرهم من شعوب الهلال الخصيب ، أما الصناعة والفنون فلم ترقيا إلى ما يتناسب وعظمة الدولة البابلية .

شرائع حمورابي :

كانت شرائع حمورابي بمثابة دستور للبلاد وقد نقشت باللغة السامية على حجر صلب فى ٣٦٠٠ سطر حفرت فى أعلاها صورة حمورابى .

وقد نصت هذه الشرائع على وجوب العدالة للأرملة واليتيم والمسكين ، وعلى مبدأ العين بالعين والسن بالسن ومعاقبة المجرم بمثل ما اكتسبت يداه ، ونسقت العلاقة بين الزوج والزوجة وأعطت المرأة مكانة مرموقة فى المجتمع .

وبوفاة حمورابى لم تحافظ الدولة على مكانتها فأخذت تضعف تدريجياً،إذ استقلت عنها سوريا وفلسطين كما حدث نزاع بين دولتي بابل وآشور،ذلك النزاع الذى أدى فى النهاية إلى سقوط دولة بابل وسيطرة دولة آشور في المنطقة ، وأصبحت بابل ولاية آشورية .

الفصل الثاني

الدولة الآشورية

الآشوريون هم من الموجات السامية الأولى التي خرجت من الجزيرة العربية حوالى سنة ٣٥٠٠ ق . م واستقرت في شمال العراق حيث المناخ اللطيف صيفاً البارد شتاءً ، وحيث التضاريس الجبلية والسهلية والتربة الخصبة . وكان لهذه البيئة أثر في حياتهم وحضارتهم .

اتخذوا من آشور عاصمة لهم . ولم يكن لهم كيان سياسى بارز في بادئ الأمر إذ كانوا خاضعين للبابليين ثم للحيثيين الذين كانوا في آسيا الصغرى .

أخذت آشور تتقوى تدريجياً حتى تمكنت من الاستيلاء على جميع بلدان الهلال الخصيب بجزءيه الشرقى والغربى ، كما تمكنت من الاستيلاء على وادى النيل والجزيرة العربية . وشكلت من هذه البلدان جميعها امبراطورية دامت ما بين ٧٥٠ ق.م - ٦١٢ ق.م .

بهذا لم ترث الامبراطورية الآشورية أراضى الدول التي سبقتها فحسب بل ورثت ما توصلت إليه تلك الدول من تراث حضارى .

ظهر في العهد الامبراطورى الآشورى عدة ملوك أهمهم :

سرجون الثاني : الذي تمكن من الاستيلاء على بلاد ما بين النهرين وفتح السامرة (نابلس) سنة ٧٢٢ ق . م وواصل فتوحاته حتى استولى على الجزيرة العربية .

سنحاريب : واصل فتوحات والده سرجون حتى وصل إلى الحدود المصرية .

آشور بانيبال : هو الذى تمكن من احتلال مصر كلها .

أهم النواحي الحضارية عند الآشوريين :

١ - **التنظيم الإداري**: قسم الآشوريون امبراطوريتهم إلى عدة ولايات ووضعوا على كل ولاية أميراً من أهلها،وإذا ما حاول الانقلاب على الدولة عزل وعوقب بشدة واستبدل بحاكم آشورى . وعلى الأمير أن يحفظ النظام فى ولايته وينفذ الأحكام ، وأن يجمع الضرائب وينفق على الولاية ما يتطلبه الوضع فيها ويرسل الرصيد إلى الحكومة المركزية .

٢ - **الجيش**: وقد اهتم به الآشوريون لدرجة أن البلاد كانت عبارة عن ثكنة عسكرية . فالجيش الآشورى المتسلح بالقوس والنشاب والرمح والترس والمنجنيق وأدوات الحصار كان أقوى جيوش عصره ومجرد ذكره كان يلقى الرعب والخوف فى قلوب أعداء البلاد .

٣ - **الدين**: كان الآشوريون شديدى التمسك بإله القبيلة القديم «آشور» . أما أشهر آلهتهم العظيمة فهى «عشتاروت» التى كانت منتشرة فى بابل .

كما لم يعتقد الآشوريون بالحياة بعد الموت .

٤ - **العلوم والفنون**: اهتم الآشوريون بالعلم والثقافة فأنشأوا المدارس والمكتبات،وكان لدى آشور بانيبال مكتبة تضم ثلاثة وثلاثين ألف آجُرَة تحتوي على مختلف العلوم والآداب فى ذلك العصر .

كما اهتم الآشوريون بفن المعمار فبنوا القصور الفخمة الأنيقة وأخذوا عن البابليين فن بناء القناطر ، وزين الآشوريون داخل القصور بالنقوش والرسوم التى تمثل مناظر لملوكهم وهم فى ساحات الوغى أو القنص .

اشتهر الآشوريون كذلك بالزخرفة وتلوين الطوب وبناء الأبراج فى زوايا القصور .

٥ ــ **النشاط الاقتصادي**: في مجال الاهتمام بالزراعة أدخل الآشوريون زراعة القطن إلى البلاد ، أما الصناعة الآشورية فكانت على نطاق محدود ، وأما التجارة فكانت بيد الآراميين الذين غزت متاجرهم أسواق آشور .

نهاية الدولة الأشورية :

أخذت آشور تضعف تدريجيا حتى تمكن نبوخذنصر (بختنصر) ملك الكلدانيين الساميين (بابل الثانية) من القضاءِ عليها فى سنة ٦١٢ ق.م.

الفصل الثالث

الكلدانيون (دولة بابل الثانية)

٦١٢ -٥٣٩ ق.م

الكلدانيون هم آخر موجة من الموجات السامية البائدة التى سكنت العراق . استقرت هذه الموجة فى منطقة الفرات الأوسط ودعوها باسمهم فأصبحت تسمى «كلدية» ، وقد قويت شوكة هؤلاءِ المستوطنين تدريجياً حتى شملت جميع أراضى الهلال الخصيب بجزءيه الشرقى والغربى .

كان أشهر ملوك الكلدانيين نبوخذنصر (بُخْتُنَصَّر) الذى حكم ما بين سنة ٦٠٤ - ٥٦١ ق.م . وهو الذى نفى اليهود إلى بابل بعد أن دمر أورشليم «القدس» سنة ٥٨٦ ق.م .

مظاهر الحضارة الكلدانية : وتتمثل فيما يلى :

١ - البناء : وسع الكلدانيون عاصمتهم بابل وحصنوها بالأسوار خشية غارات الأعداء عليها ، وبنوا داخلها القصور والهياكل والحدائق وأشهرها الحدائق المعلقة التى نظمها نبوخذنصر لزوجته ، وتعتبر هذه الحدائق من عجائب الدنيا .

٢ - العلوم والدين : اشتهر الكلدانيون بعلم الفلك والتنجيم . وكانوا مولعين بكشف الأسرار والتنبؤ بالمستقبل عن طريق مراقبة الأجرام السماوية ورصدها فنتج عن ذلك معرفتهم لعلم الفلك .

قسموا دائرة خط الاستواء إلى ٣٦٠° ورتبوا الكواكب إلى (١٢) اثنتى عشرة مجموعة دعوا كل مجموعة فيها برجاً . واعتبر الكلدانيون الكواكب الخمسة السيارة (عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل) اعتبروها قوات ذات سلطة خاصة على أحوال البشر فحسبوها آلهتهم الخمسة .

لخص

الفصل الرابع

سيرة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام

تمهيد :

نقص عليك فيما يلى سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ المعروف بأبى الأنبياء ـ بشكل يعطيك صورة واضحة عن تاريخ هذا النبى الكريم ، وما لقيه فى سبيل نشر ديانة التوحيد وهى عبادة الله وحده . وإننا نقسم هذه السيرة إلى المراحل الآتية :

المرحلة الأولى ـ نشأته وحياته فى العراق :

ولد عليه السلام ببلدة أور فى قبيلته الأكادية الساميَّة،ووالده آزر وهو من أحفاد سام بن نوح عليه السلام .

وكان آزر والد إبراهيم عليه السلام ممن احترفوا صناعة الأصنام،وكان ملك القوم آنذاك يدعى النمرود بن كنعان وبلغ درجة كبيرة فى الاستبداد ، إلى الحد الذى طلب فيه إلى الناس أن يعبدوه ويعظموه .

رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام فى عبادة الأصنام شيئاً منكـراً فهـى لا تضـر ولا تنفع فـآمن بالله وحـده ، وبعثه الله تعـالى ليهدى النـاس إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام .

بدأ إبراهيم يدعو والده لترك عبادة الأوثان وبالتالى صناعتها(١) ، إلا أن والده أصر على البقاء على ما هو عليه(٢) .

(١) راجع سورة الأنعام، الآية ٧٣

(٢) راجع سورة مريم الآيات ٤٥،٤٧

هنا وجد إبراهيم أنه لا بد من الانصراف عن والده حتى لا يشايعه فى الشرك ، وأخذ ينشر رسالته بين قومه موضحاً لهم وبأسلوب لبق أن عبادة الأصنام لا تضر ولا تنفع .

لما رأى إبراهيم عليه السلام إصرار القوم على تمسكهم بما لديهم تألم كثيراً ، وفكر فى الإقدام على عمل جرىء ينفذه أثناء خروج القوم إلى خارج البلدة فى يوم عيد من أعيادهم(١) .

إذ تخلف عنهم وذهب إلى معبدهم الذى تستقر به الأصنام وحطمها جميعاً إلاّ كبيرهم «أكبر صنم» .

ولما عاد القوم إلى المدينة وشاهدوا أصنامهم على هذا الوضع ، تأكدوا أن إبراهيم هو الذى قام بعملية التحطيم . وحدث نقاش طويل بينهم وبينه ، ولما لم يسفر هذا النقاش عن نتيجة يرضى بها الطرفان ، إذ طلب منهم إبراهيم أن يسألوا كبيرهم إن كان ينطق أو يجيب . ولما وصل النقاش نهايته صمم القوم على إحراق إبراهيم عقاباً له على ما ارتكب فى حق آلهتهم .

جمعوا كميات ضخمة من الحطب وأوقدوا فيها النار حتى صارت جمراً ، وقيدوا إبراهيم عليه السلام وألقوه فى النار إلاّ أنها كانت برداً وسلاماً على إبراهيم بأمر الله(٢).

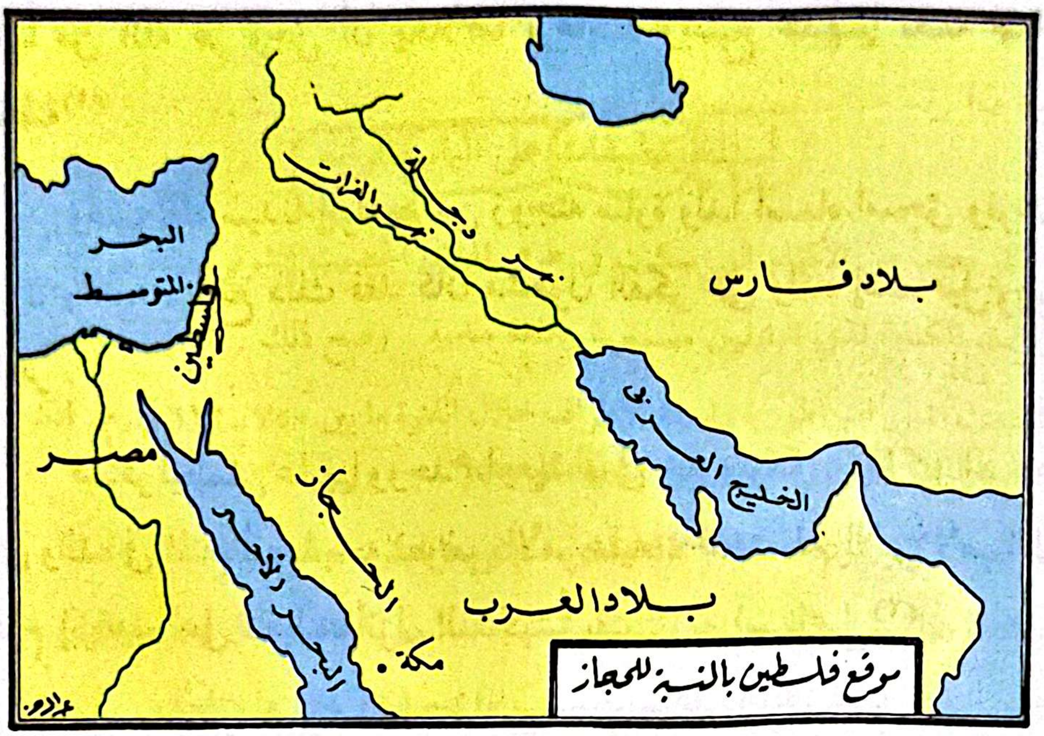
المرحلة الثانية : بين فلسطين ومصر :

ضاق إبراهيم عليه السلام ذرعاً بموقف قومه إزاء دعوته فاتجه إلى فلسطين حيث مكث فيها مدة يدعو الناس لعبادة الله ، وصادف أثناء وجوده هناك أن عم القحط بلاد الشام فرحل مع زوجته «سارة» إلى مصر .

---

(١) راجع سورة الصافات،الآيات ٨٤، ٩٨

(٢) راجع سورة العنكبوت، الآية ٢٣



خريطة رقم (١٠)

نمت ثروة إبراهيم عليه السلام فى مصر وكثرت أنعامه ، وكرمه ملك مصر وأعطاه جارية تدعى هاجر لتقوم على خدمته وخدمة زوجته سارة . وهنا حسده القوم وسولت لهم نفوسهم بإيقاع الأذى به،فرحل عائداً إلى فلسطين ومعه أنعامه وزوجته سارة وجاريته هاجر ، واستقر فى المدينة المعروفة الآن باسم «الخليل» حيث الطائفة التى آمنت به .

لم تنجب زوجته سارة فى بادئ الأمر ، وقد حزنت كثيراً لما كبر سنها ولم ترزق ولداً ، فوهبته جاريتها هاجر ليتزوجها،وفعلاً تم ذلك وأنجبت هاجر منه غلاماً ذكياً هو إسماعيل .

المرحلة الثالثة : بين فلسطين ومكة المكرمة :

جاءَ إبراهيم عليه السلام هو وابنه إسماعيل وزوجته هاجر إلى وادى مكة الذى لم يكن به زرع ، وفى موقع البيت العتيق . تركهما هناك وعاد إلى فلسطين

طالباً من الله عز وجل أن يكلأهما برعايته ويسبغ عليهما نعمه ظاهرة وباطنة[1] .

وهب الله سيدنا إبراهيم من زوجته سارة ولداً أسماه اسحق وقرت به عيون والديه ، ومع ذلك فقد كان مشغول الفكر على ولده إسماعيل وزوجته هاجر .

فسافر ليطمئن عليهما ووجدهما يعيشان فى خير وبركة . ولما كبر إسماعيل رأى والده فى المنام أنه يذبحه فعرض الأمر عليه ، فاستسلم الابن لأمر الله ، وعزم إبراهيم على تنفيذه،فأنزل الله كبشاً يفتدى به إسماعيل[2] .

وعندما انتهت الرؤيا بهذه النهاية السعيدة الخيِّرة عاد إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين وهو في غاية الرضا والاطمئنان . ومرَّت السنون ومرة أخرى سافر إبراهيم علية السلام إلى مكة لزيارة ولده ووجد أن زوجته هاجر قد توفيت فتألَّم ، ولكن خف ألمه لما رأى أن ولده قد أصبح له بيت ، وأنه يشعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه في مجال الأسرة ، وفي نشر دعوة والده ـــ دعوة الحق والإيمان ـــ بين القبائل المجاورة .

جاءَ إبراهيم عليه السلام فى هذه المرة إلى مكة بأمر ربهُ لبناءِ الكعبة ، فالتقى بابنه إسماعيل وأخذا معاً فى التخطيط للبناء والبدء فى العمل[3] .

ولما انتهى إبراهيم عليه السلام من بناء البيت كر راجعاً إلى فلسطين حيث توفي فيها ، تاركاً ولده إسماعيل بجوار البيت العتيق .

---

(١) راجع سورة ابراهيم،الآية ٣٧ .
(٢) راجع سورة الصافات،الآيات ١٠٠ ـ ١٠٨
(٣) راجع سورة البقرة، الآية ١٢٦

أسئلة وتطبيقات على الباب الرابع

١ - اذكر بعضاً من الأقوام التى سكنت فى طرفى الهلال الخصيب الشرقى والغربى .

٢ - كانت الكتابة لدى البابليين مسمارية واللغة سامية . وضح ذلك .

٣ - أسست آشور امبراطورية واسعة الأطراف خلال الفترة ما بين ٧٥٠ - ٦١٢ ق.م. اذكر أهم ملوك تلك الفترة والبلدان التى فتحها كل منهم .

٤ - لم يعن الآشوريون بالنشاط الاقتصادى عنايتهم بالجيش. وضح ذلك .

٥ - جاءت دولة بابل الثانية (الدولة الكلدانية) بعد آشور . اذكر أعمال أهم ملوكها

٦ - اشتهر الكلدانيون بالفلك والتنجيم. وضح ما توصلوا إليه فى هذا المجال .

٧ - صف المرحلة الأولى من حياة إبراهيم عليه السلام . واجبا

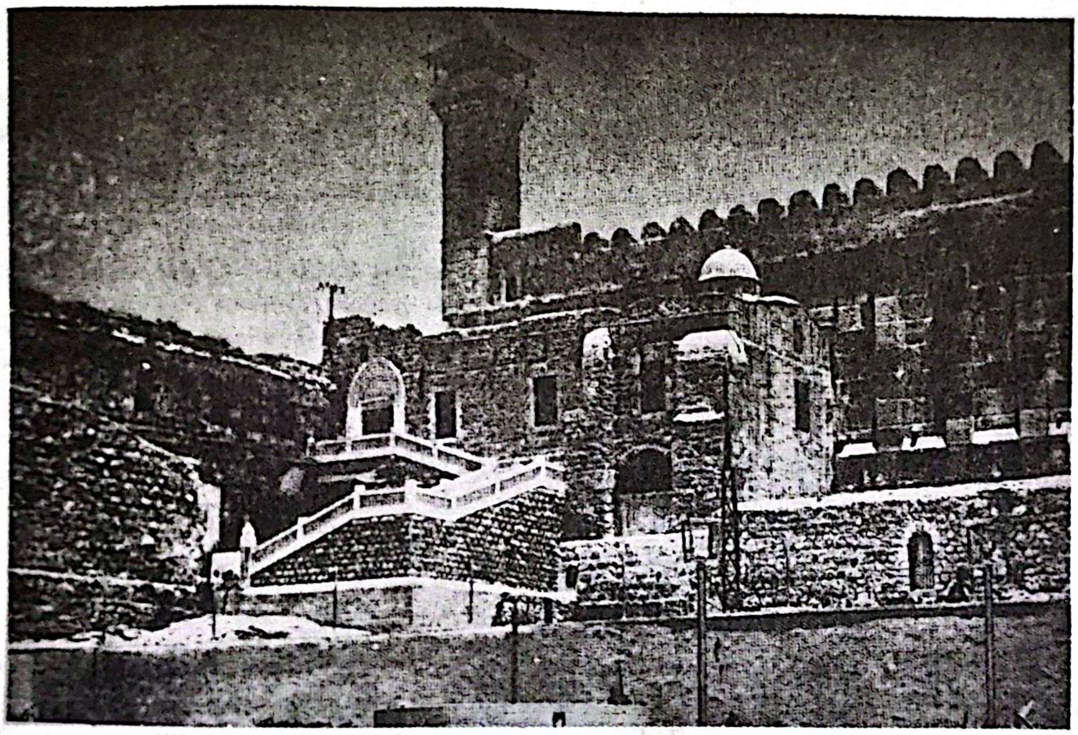
٨ - ذهب إبراهيم الخليل عليه السلام إلى مصر، تحدث عن هذه المرحلة من حياته عليه السلام .

٩ - خرج إبراهيم عليه السلام من مصر عائداً إلى فلسطين ثم تركها . إلى أين ؟ ومن ذهب معه فى هذه الهجرة ؟

١٠ - اذكر قصة افتداء إسماعيل من الذبح . واجبا

١١ ــ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :
(أ) سرجون الأول .
(ب) حمورابي وشرائعه .
(ج) نبوخذنصر
(د) العلوم والدين عند الكلدانيين .

١٢ ــ علل لما يأتي :
(أ) تحطيم سيدنا إبراهيم الخليل للأصنام جميعاً إلا كبيرهم .
(ب) حرص المسلمين على الذبح في عيد الأضحى .
(ج) وضع الآشوريين على كل ولاية تابعة لهم أميرا من أهلها .



الحرم الابراهيمي بمدينة الخليل (بفلسطين)

الباب الخامس

حضارة وادى النيل

وقصتا النبيين يوسف وموسى عليهما السلام

أولا ـ حضارة وادى النيل :

لقد تهيأت أسباب الحضارة القديمة فى وادى النيل كما تهيأت تلك الأسباب فى العراق والشام واليمن ، ففي وادي النيل وجدت التربة الخصبة التى ألقت بها مياه النيل فى موسم الفيضان ، وتوافرت المياه والمناخ الجاف،كما أن موقع هـذا الوادى المتوسط بين قارتي آسيا وأفريقيا مكن سكانه من الاتصال المباشر مع الأقوام المجاورة فى هاتين القارتين .

هـذه العوامل دعت أقواماً حامية المنشأ وأقواماً ساميـة آسيوية المنشأ (الجزيرة العربية) ، دعتها للنزوح إلى ذلك الوادى والاستقرار فيه . وتَكَوّن من أخلاط هذين النوعين من الأقوام ما يعرف بالمصريين القدماء .

بدأ المصريـون القدمـاءُ حياتهم بشكـل بدائى بسيط إذ سكنـوا دساكـر (عشش) بنوها من جذوع الأشجار وأغصانها ، وانتشرت على ضفاف وادى النيل الذى تضيق أراضيه الخصبة فى الجنوب (مصر العليا) وتتسع فى الشمال (مصر السفلى) حيث الدلتا المتاخمة للبحر المتوسط .

وينقسم تاريخ مصر القديم إلى ثلاثة عصور مميزه بعضهـا عن بعض فى مظاهر الحضارة وأساليب الحكم والنشاط الاقتصادي للسكان ، هي عصر بناة الأهرام «القديم» وعصر الإقطاع «الوسيط» وعصر الامبراطورية «الحديث».وقد حكم مصر فترة من الزمن كل من «الهكسوس» «والليبيين» «والنوبيين» إلا أنها كانت تعود إلى الحكم بواسطة أبنائها حتى دخلت فى النهاية فى حكم الأشوريين ومن بعدهم الكلدانيين ثم دخلها الفرس ، ولكنها خضعت أخيراً لحكم الرومان . وظلت مصر مستعمرة رومانية تذوق الأمرين من ظلم الرومان إلى أن أتاها العرب

المسلمون فرحبت بهم حيث دخلت في حظيرة الدولة الإسلامية في أواخر سنة ٢٠ هـ (أواخر سن ٦٤١ م) .

مظاهر حضارة وادى النيل :

تدرج المصريون القدماء فى سلم الحضارة حتى وصلوا إلى أرقى مستوى حضاري . ومن أهم مظاهر هذه الحضارة ما يلي :

١ ـ البناء وفن المعمار :

ومن الأمثلة على ذلك ، الأهرامات والقصور الفخمة وأعمدتها الحجرية والنقوش والزخرفة التى تمثل المظاهر الطبيعية ونحت التماثيل ، وإقامة المعابد والمسلات الحجرية وعليها كتابات تمثل ما قام به الملوك من الأعمال .

٢ ـ النواحى الاقتصاديه : وتشمل مايلى :

أ ـ الزراعة : اهتم المصريون القدماء بالزراعة وطرق الرىّ فأقاموا السدود وعملوا الخزانات لتفادى خطر الفيضانات ولتنظيم الرى ، وكان الفلاح المصرى أول من استعمل الفأس لحفر الأرض واستخدم الأبقار لحرثها .

ب ـ الصناعة : ومن بينها المنسوجات الحريرية والكتانية ، وصناعة الأواني الذهبية والفضية والآلات النحاسية والأثاث المنزلي ومنها كراسي الأبنوس المطعمة بالذهب والفضة .

ج ـ التجارة : استفاد المصريون من نهر النيل في الانتقال من مكان إلى آخر ، وكانت الأسواق تعقد في المدن والقرى،وكان المزارعون يشترون ما يلزمهم بالمبادلة بمنتجاتهم الزراعية . ولقد تبادل المصريون التجارة مع البلاد المحيطة بهم كبلاد النوبة وبلاد بنط (الصومال) وبلاد الشام وجزر البحر المتوسط ، كما شقوا قناة «سيزوستريس » التي تصل النيل بالبحر الأحمر، فكانوا بذلك أول من فكر في الطريق العالمي الذي يربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر .

٣ـ الكتابة والعلوم : ـ

المصريون أول من عرف فن الكتابة واستعملوا صور الحيوانات والطيور وغيرها لتدل على الكلمات وتعرف كتابتهم باسم « الهيروغليفية » واستعملوا الحبر الأسود وقلم البوص وكانوا يكتبون على ورق البردي . وقد اهتم المصريون اهتماماً بالغاً بالتعليم وإنشاء المدارس ، لذا فقد برعوا في الطب والجراحة والهندسة وألفوا الكتب التي تحث على العدل والتحلي بالأخلاق الكريمة .

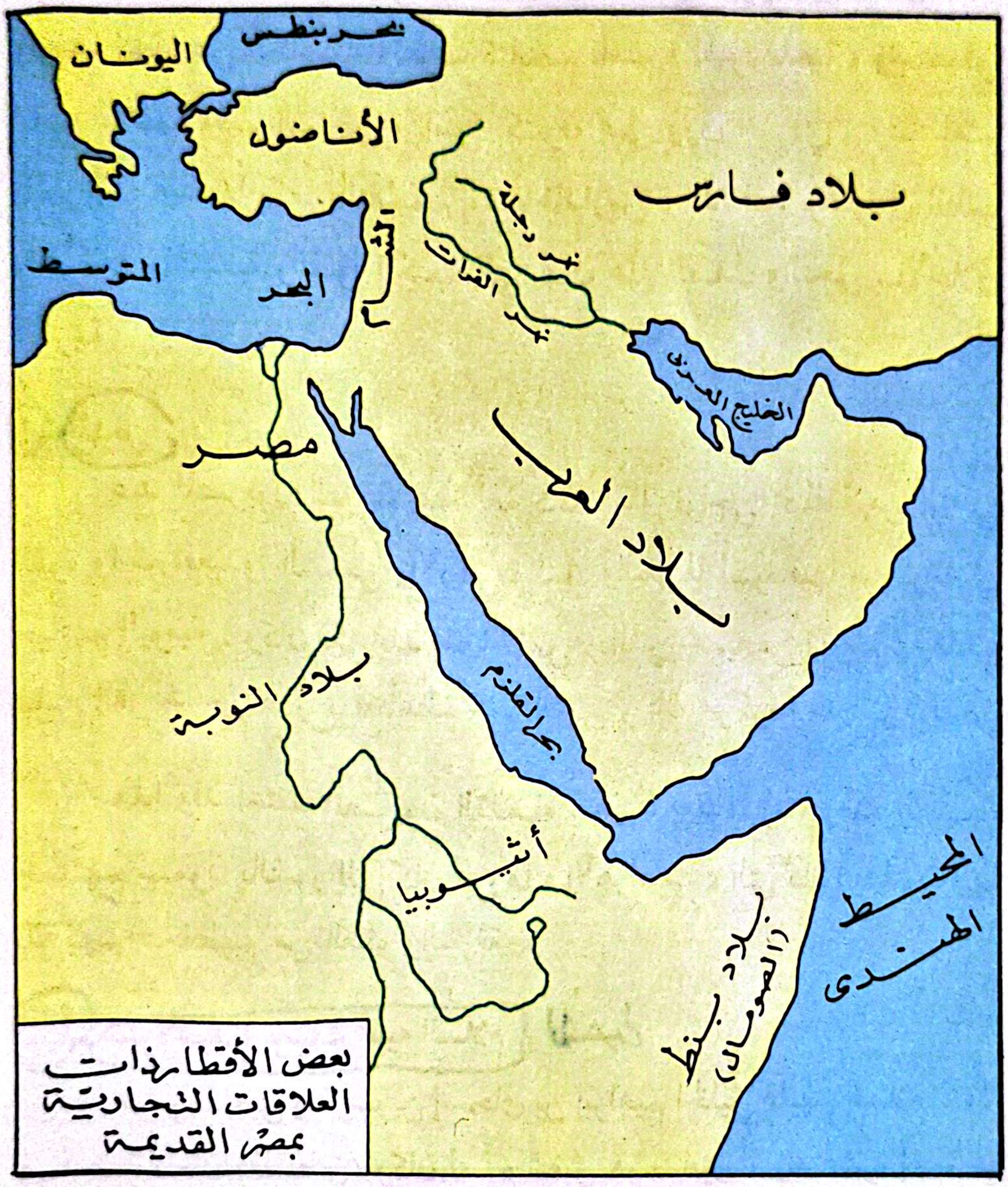
٤ـ الدين : ـ

عبد المصريون القدماء عدة آلهة كانت تمثل نواحى مختلفة من نواحى القوة والخير،فعبدوا الشمس والأرض والنيل والبقر لما لمسوه فيها من فوائد في حياتهم اليومية . وكان لكل بلد إلهه الخاص ، الذي يحميه من كل شر، وكانت عبادة إلۤه الشمس « رع » أعظم العبادات ، وكان مركزها مدينة آمون .

هذا وقد اعتقد المصريون القدماء بالحياة بعد الموت،وهذه العقيدة جعلتهم يهتمون بالقبور التي كان أبرزها « الأهرامات » التي كانوا يدفنون فيها ملوكهم لتحفظهم من الفناء والسرقة .

ثانياً ـ سيرة سيدنا يوسف عليه السلام : للأصل

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام . ولد فى أرض كنعان (فلسطين) وكان له أخ شقيق هو بنيامين ، وله عشرة إخوة غير أشقاء . وكان يوسف وأخوه محبوبين من والدهم يعقوب . وهنا تأثر الإخوة الباقون وأخذوا يكيدون لهما مبتدئين بالكيد ليوسف . ذلك بأن أقنعوا والدهم بأن يأخذوه معهم للعب خارج البلدة،وهناك ألقوا به في بئر مهجورة وعادوا إلى والدهم يدّعون أن الذئب خطفه وأكله ، وللتدليل على صحة قولهم أخذوا قميصه ولوثوه بدم شاة .


بحر بنطس
اليونان
الأناضول
بلاد فارس
نهر دجلة
نهر الفرات
الشام
البحر
المتوسط
الخليج العربي
مصر
بلاد العرب
بلاد النوبة
بحر القلزم
أثيوبيا
المحيط
الهندى
بلاد بنط
(الصومال)
بعض الأقطار ذات
العلاقات التجارية
بمصر القديمة

خريطة رقم (١١)

حزن يعقوب لذلك كثيراً حتى ابيضت عيناه من شدة الحزن ، وقد مرت قافلة متجهة إلى مصر من أجل التجارة بتلك البئر ، فـأدلى أحدهم دلـوه وإذا بيوسف يتعلق به .

صاح صاحب الدلو بالبشرى : هذا غلام ! فأخذوه مع القافلة وباعوه فى مصر بسوق الرقيق،فاشتراه عزيز مصر أى رئيس وزراء الملك المصرى ، وأعطاه لزوجته للعناية به لعلهما يتخذانه ولداً .

شب سيدنا يوسف عليه السلام فى بيت عزيز مصر[1]،وكان جميل الخَلق والخُلق ذكياً ، فقربه العزيز منه ومنحه ثقته ، ومرت بيوسف بعض المشكلات إلا أن الله نصره ، وأخيراً أصبح يوسف عليه السلام الوزير الأكبر والمشرف على خزائن الأرض ، فخزن الحبوب فى سنوات الخير للاستعانة بها إبآن سني القحط التى جاءت بعدها وعم معظم البلدان .

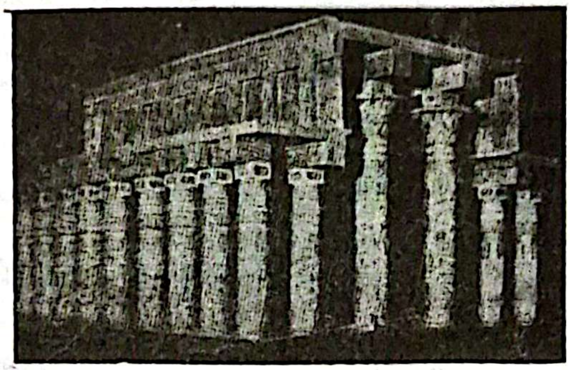
أرسل يعقوب عليه السلام أولاده إلى مصر لشراءِ الغلال من وزيرها الذى اشتهر أمره ، وأبقى بنيامين شقيق يوسف عنده . ولما دخل أولاد يعقـوب على الوزير يوسف عرفهم إلا أنهم لم يعرفوه ، وأكرمهم يوسف وأحسن استقبـالهم وأوفى لهم الكيل ووضع بضـاعتهم فى رحالهم ، وطلب إليهم إحضـار أخيهم بنيامين فى المرة القادمة .

عاد الأولاد إلى أبيهم بأرض كنعان وأخبروه بالأمر ، فتألم جداً وخشي أن يصيب بنيامين ما أصاب أخاه يوسف ، إلا أنه أذعن لطلب الوزير وبعثه مع إخوته إلى مصر لشراء الحبوب .

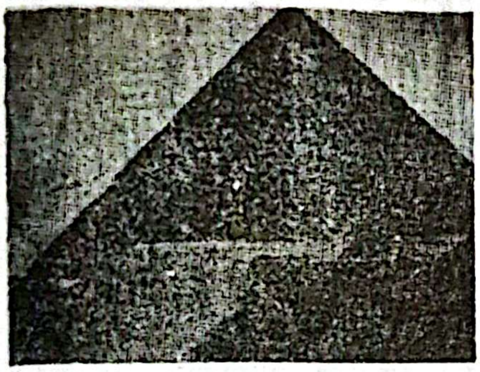
عاد الإخوة للمرة الثانية إلى مصر ومعهم أخوهم الذى عرفه يوسف أيضاً واختلى به على انفراد ، وأطلعه على حقيقة أمره . وبعد أن أوفى يوسف الكيل لإخوته أمر الغلمان الذين يقومون بعملية الكيل أن يضعوا المكيال فى رحل بنيامين دون علم أحد فنفذوا طلبه .

---

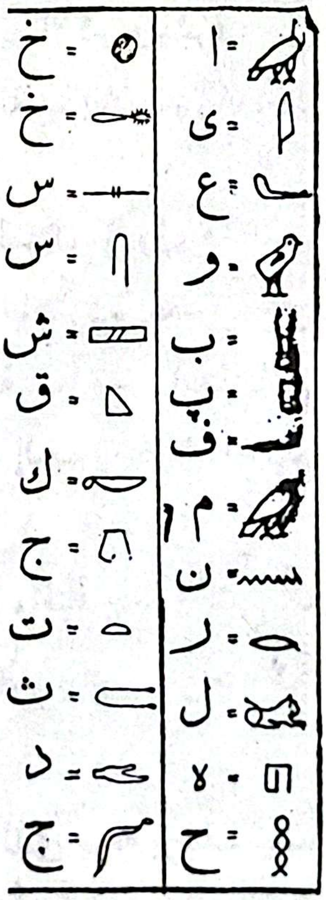
(١) اقرأ سورة يوسف بتمعن لتتعرف على تفاصيل قصته



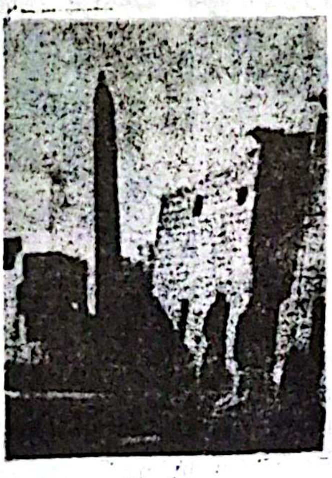
معبد الكرنك



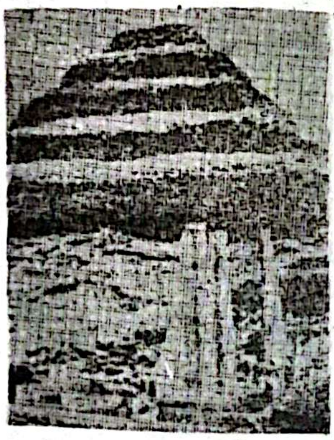
الهرم الأكبر



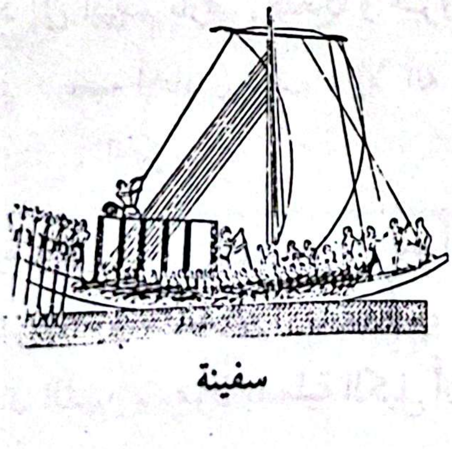
الحروف الهجائية المصرية



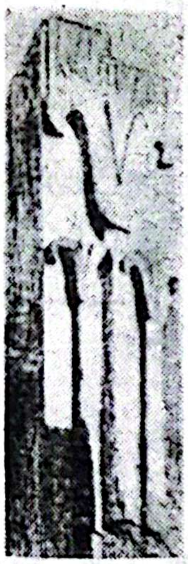
المسلة



الهرم المدرج



سفينة



نموذج من الاعمدة

ولدى مغادرة الإخوة مكان الاكتيال ، وقبل أن يقطعوا مسافة طويلة نادى المنادى بأن المكيال قد فقد وأن من وجد فى رحله سيؤخذ للوزير .

وُجد المكيال فى رحل بنيامين وأُخذ إلى أخيه يوسف فاحتجزه عنده وحاول الإخوة تخليصه دون جدوى . وعادوا إلى أبيهم وأخبروه بما حدث،فازداد حزنه وألمه وتذكر ما فعلوا بيوسف ولم يصدق قولهم .

أعاد يعقوب عليه السلام أولاده إلى مصر للمرة الثالثة ، ولما مثلوا أمام يوسف عزيز مصر رجوه أن يسلمهم أخاهم بنيامين شفقة بوالدهم الذى أتعبه فقدان ولديه يوسف وبنيامين . عندئذ أطلعهم يوسف عليه السلام على حقيقة الأمر قائلاً : «أنا يُوسفُ وهذا أخى قد مَنَّ اللهُ علينَا» ، فامتقعت وجوههم وتمنوا أن لو ابتلعتهم الأرض ولم يقفوا مثل هذا الموقف المؤلم بالنسبة لما فعلوه بيوسف ، إلاَّ أن يوسف عفا عنهم وأعطاهم قميصه ليسلموه إلى والده إشعاراً له بوجوده على قيد الحياة .

تم ذلك واشتم يعقوب عليه السلام ريح يوسف وارتد إليه بصره عندما تأكد من أن يوسف وبنيامين أحياء . جاء يعقوب وعائلته إلى مصر حوالى سنة ١٦٥٦ ق.م وعاشوا ردحاً من الزمن فى بحبوحة من العيش تكاثروا خلالها ولكن يعقوب نفسه عاد إلى أرض كنعان حيث توفى .

أما سيدنا يوسف فبقي في مصر حتى توفي ودفن في الفيوم ثم نقل جثمانه فيما بعد سيدنا موسى عليه السلام إلى مدينة الخليل ليدفن بها إلى جوار إبراهيم عليه السلام .

ولا بد لك أيها الطالب من قراءة سورة يوسف لتقف على تفاصيل سيرة هذا النبى الكريم عليه السلام .

لخص

ثالثاً : سيرة سيدنا موسى

هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام .

ولد في مصر إبان عصر الأباطرة[1] الذين كانوا يذبحون أبناء بني إسرائيل ويستحيون نساءهم ليتخلصوا منهم ، خشية أن يظهر منهم شخص يسلبهم السلطة . أخفت أم موسى ولادته خوفاً من افتضاح أمرها ، ووضعته فى تابوت وألقته فى نهر النيل «اليم» فالتقطه رجال فرعون من النهر وحملوه إلى فرعون الذى إراد قتله لولا شفاعة زوجته التى أحبت أن تتخذ منه ولداً ، وقد أمر فرعون بالبحث عن مرضعة لإرضاع موسى فدلتهم أخته مريم على أمه لإرضاعه ، وهكذا نجى الله موسى من الذبح وأعاده إلى والدته [2] .

نشأ سيدنا موسى في قصر فرعون ولما شب رأى ما يقاسيه قومه بنو إسرائيل منالعذاب على يد فرعون مصر فوقف إلى جانبهم بما أتاه الله من قوة ، ثم اضطر إلى الهرب من مصر بعد ما علم أن القوم يسعون للقصاص منه نتيجة قتله لمصري كان يتشاجر مع رجل من بني إسرائيل ، حتى وصل مدين . وهناك التقى بسيدنا شعيب عليه السلام الذي عرض عليه أن يزوجه إحدى بناته على أن يأجره ثماني حجج أو عشر ، فلبث موسى سنين في أهل مدين[3] .

بعث الله موسى رسولاً ، فعاد إلى مصر ، وأخذ يدعو فرعون إلى عبادة الله وحده ، والعدول عن تعذيبه لبني إسرائيل . وقد ساعد موسى فى مهمته أخوه هارون إذ أرسله الله تعالى معه وزيراً لأنه كان أفصح لساناً من موسى [4] .

سخر فرعون وقومه منهما واتهمهما بالسحر . وجمع فرعون سحرته لمباراة موسى بما عندهم ، وألقى موسى بعصاه فكان نصر الله المبين ، وآمن السحرة بموسى وبما جاء به من تعاليم سماوية ولم يخشوا تهديد فرعون لهم [5] . تآمر فرعون

---

(١) عصر الأباطرة : عصر الامبراطورية الحديثة من ١٥٨٠ ق.م — ١١٥٠ ق.م .

(٢) راجع سورة القصص ، الآيات من ٦ — ١٣ .

(٣) راجع سورة طه ، الآية ٤٠ .

(٤) راجع سورة طه ، الآيات من ٢٣ — ٣٥ .

(٥) راجع سورة طه ، الآيات من ٥٥ — ٦٩ .

على قتل موسى وزاد فى إذلاله لبنى إسرائيل والتنكيل بهم فأمرهم موسى بالصبر[١] .

غير أن فرعون زاد فى طغيانه وتهديده وظل يسوم بنى إسرائيل سوء العذاب فالتفوا حول موسى وطلبوا منه أن يخرجهم من مصر. وقادهم موسى في طريقه إلى فلسطين عن طريق سيناء فلحق بهم فرعون إلى البحر ، فضرب موسى فى البحر فشق فيه طريقاً يبسا وعبر موسى ومن معه وعندما أراد فرعون أن يعبر مع قومه فى أعقاب موسى أغرقه الله مع قومه[٢] .

بنو إسرائيل فى الصحراء :

لما وصل بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام إلى صحراء سيناء ووجدوا الفرق الشاسع بينها وبين أرض النيل الخصبة الكثيرة الخيرات الوفيرة المياه ، أخذوا فى تقديم الطلبات إلى موسى عليه السلام . طلبوا منه الماء ففجره لهم بإذن الله ، وطلبوا منه المأكل فأرسل الله لهم أطيبه[٣] .

ولما رأوا قوماً يعبدون الأصنام طلبوا من موسى أن يعمل لهم صنماً ليعبدوه ، ذلك لِلصُوقِ الوثنية بهم ، وما كان منه إلا أن وبَّخهم على هذا الطلب توبيخاً شديداً[٤] .

كان سيدنا موسى عليه السلام قد تلقى التوراة وفيها الشرائع السماوية ، لدى مناجاة رب العزة والتضرع إليه ليهدى بنى إسرائيل مما هم فيه من ضلال[٥] . وفى فترة غيابه عبد بنو إسرائيل العِجْلَ ، ولما عاد موسى عليه السلام استاء لتحولهم عن عبادة الرحمن إلى عبادة العجل[٦] ، وأخذ يهديهم وهم معرضون

(١) راجع سورة الأعراف،الآيات ١٢٦-١٢٩ .
(٢) راجع سورة طه، الآيات ٧٦-٧٨ .
(٣) راجع سورة البقرة،الآية ٦٠ .
(٤) راجع سورة الأعراف،الآيات ١٣٧-١٤٢ .
(٥) راجع سورة الأعراف،الآيات ١٤٣-١٤٩ .
(٦) راجع سورة الأعراف الآيات،١٤٩ — ١٥٢ .

يجادلون ، وموسى يتذرع بالصبر ، ويطالبهم أن يعتصموا بحبل الله ، ويكونوا يدأ واحدة على الخير لتكون لهم الغلبة على الكنعانيين فى فلسطين ، ولكن دون جدوى .

فى تلك الأثناء توفى هارون ولحق به موسى عليهما السلام . وبعد وفاة موسى عليه السلام شعر بنو اسرائيل بسوءِ أعمالهم وسخف تصرفاتهم مع نبيهم ، ونَصّبوا يوشع بن نون ملكاً عليهم . وهو الذى عبر بهم نهر الأردن إلى أريحا حيث أقاموا وبعد ذلك أُطلق عليهم اسم العبرانيين .

أسئلة وتطبيقات على الباب الخامس

١ـ اذكر عوامل قيام الحضارة في وادي النيل

٢ـ اذكر أهم مظاهر الحضارة لدى المصريين القدماء .

٣ـ قص علينا قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، ثم اذكر موقفه من اخوته .

٤ ـ أصبح لبنى اسرائيل سلطان في مصر منذ ظهور سيدنا يوسف عليه السلام . ماذا حدث لهم بعد ذلك ؟

٥ ـ لاقى بنو إسرائيل اضطهاداً فى مصر كيف كان ذلك ؟

٦ـ اذكر ما تعرفه عن قصة سيدنا موسى عليه السلام وموقفه من فرعون مصر .

٧ ـ خرج موسى عليه السلام يقود بنى اسرائيل فى صحراء سيناء وعانى منهم الشىء الكثير. اذكر بعضاً من مواقف بنى اسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام .

٨ ـ إلى أى شىء انتهى الأمر ببنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام ؟

٩ ــ علل لما يأتي :

(أ) اهتمام المصريين ببناء الأهرامات .

(ب) ترحيب المصريين القدماء بدخول المسلمين مصر .

(جـ) حرص فرعون مصر على ذبح الذكور من بني إسرائيل .

١٠ ــ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :

الزراعة في مصر القديمة ــ قناة سيزوستريس ــ يوشع بن نون .

الباب السادس
دول شمال الجزيرة العربية والعبرانيون
الفصل الأول : دول شمال الجزيرة العربية

تمهيد :-

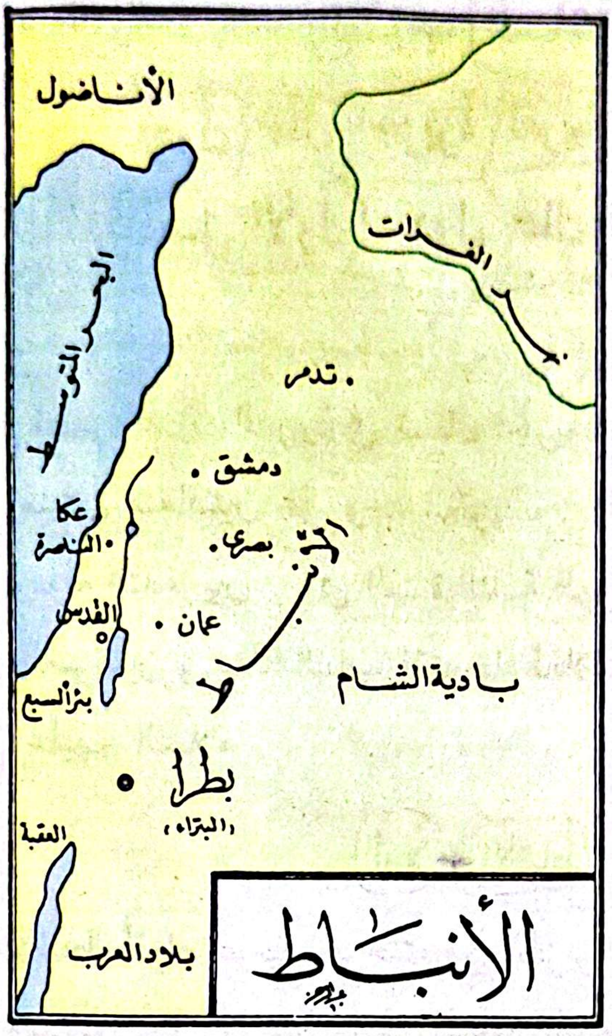
لم تظهر الدول العربية فى شمال الجزيرة فى وقت واحد وإنما برزت فى فترتين زمنيتين متعاقبتين على وجه التقريب : ففى الفترة الأولى ظهرت دولة الأنباط ودولة التدمريين . وفى الفترة الثانية ظهرت دولتا الغساسنة والمناذرة . أما ذكر العبرانيين فى هذا البـاب فقد جاءَ لعلاقتهم بالأنبياء : داود وسليمان وعيسى عليهم السلام .

أولاً - الأنباط

الأنباط أقوام عربية خرجت من الجزيرة العربية كما خرج غيرها من قبل ، وسكنوا أول ما سكنوا فى المنطقة الصخرية الـواقعة جنـوب شرق فلسطين .

أسس الأنباط دولة عربية فى المنطقة التى استولوا عليها وذلك فى أوائل القرن الرابع ق. م، واتخذوا من البتراء عاصمة لهم،ولقد ازدهرت تلك الدولة وتوسّعت حدودها حتى شملت دمشق ومدائن صالح.وقد أنشا الأنباط فيها دولة منظمة بحكم ملكى ووزراء ، وكان ملوكهم غالباً ما يسمون باسم «الحارث أو عبادة» ومن أشهر ملوكهم «الحارث الرابع» الذى انتصر على القائد الرومانى «هيرودس» .

وقد ظلت دولتهم قائمة حتى استولى عليها الرومان على يد الامبراطور «تراجان» سنة ١٠٦ م .



خريطة رقم (١٢)

حضارة الأنباط:

من أبرز جوانب حضارة الأنباط ما يلي :

١- اللغة والكتابة: الأنباط من العرب وكانت لغة التخاطب بينهم اللغة العربية، إلا أنهم استعملوا الكتابة الآرامية واللغة الآرامية فى العلوم والمعاملات شأنهم فى ذلك شأن الدول الموجودة آنذاك والتى تأثرت بالآرامية.

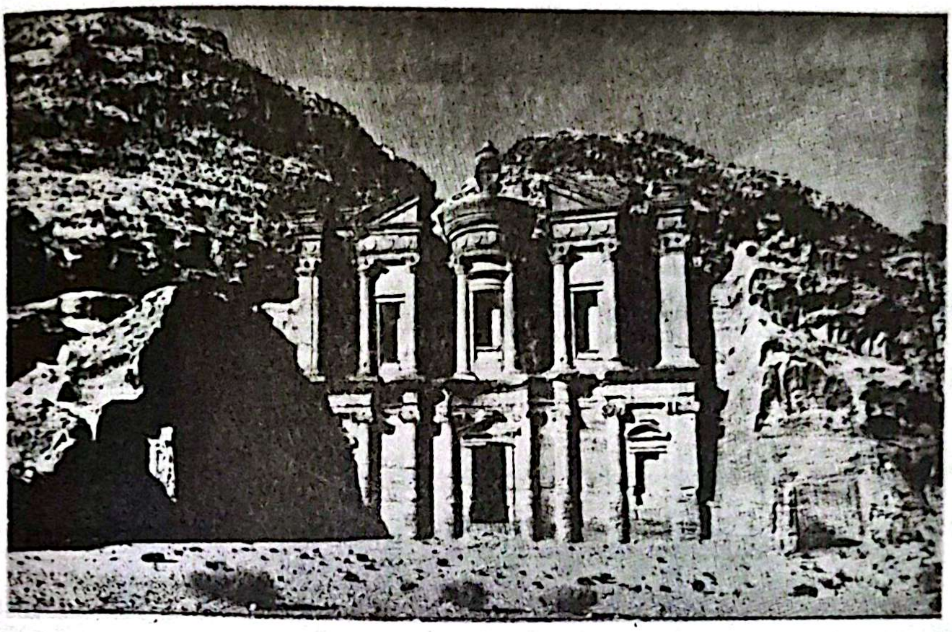
حول الأنباط الخط الآرامى إلى الخط النبطي الذى استعمله عرب الحجاز وأدخلوا عليه تحسينات،فأصبح خط النسخ الذى كتب به القرآن الكريم. وتغلب على هذه الحروف الاستدارة، بينما تغلب على حروف الخط الكوفى الزوايا.

٢ـ **الديانة:** كانت ديانة الأنباط وثنية،إلا أن المسيحية دخلت إلى بلادهم .

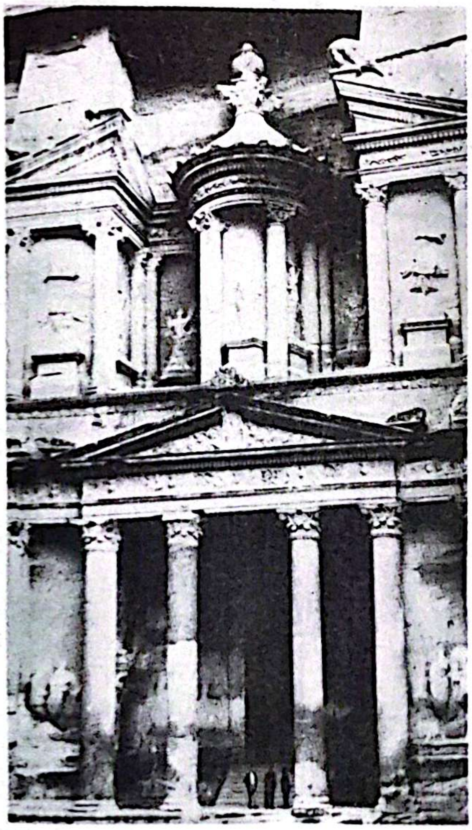
٣ـ **الحياة الاجتماعية والاقتصادية:** سكن الكثير من الأنباط فى البادية واشتغلوا بالرعي ، وكانوا يعيشون على لحوم الإبل والماشية والأغنام وألبانها، كما احترف قسم منهم التجارة، وقد ساعدهم على ذلك وقوع بلادهم على الطريق التجارى البرى الرئيسي الواصل بين جنوب الجزيرة العربية وبلاد الشام ولوقوعها عند ملتقى الطريق بين بلاد الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط. وقد أثرى الأنباط بسبب التجارة فتمكنوا من القيام بأعباءِ الدولة وما تحتاج إليه البلاد .

والأنباط شديدو الحرص على حريتهم،وإذا داهمهم العدو التجئوا إلى الصحراء التى أقاموا فيها صهاريج منحوتة فى داخل الصخر تحت الأرض، يملئونها بماءِ المطر، ولها فوهات صغيرة، وعليها علامات لا يعرفها سواهم، ولذا يموت أعداؤ هم المطاردون من العطش لعدم تمكنهم من الاهتداءِ إلى مصادر الماء فى تلك الصحراءِ .

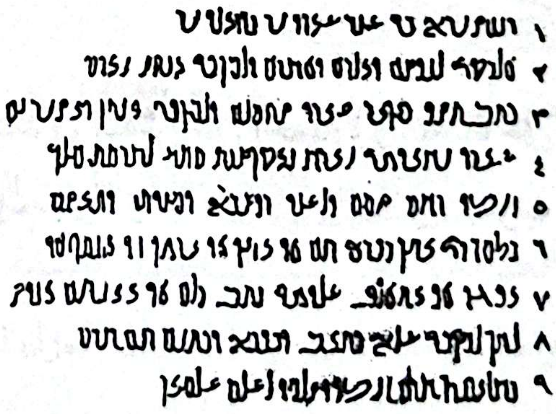
٤ـ **النقش والنحت:** برع الأنباط فى النقش على الحجارة والنحت على الصخور ولا تزال آثارهم فى عاصمتهم بتراء باقية، وهى واقعة فى جنوب الأردن .



من معالم حضارة الانباط



مبنى الدير بمدينة بتراء



كتابة نبطية على أنقاض مدائن صالح

ثانياً: التدمريون

تقع بلدة تدمر فى واحة خصبة ببادية الشام إلى الشمال الشرقى من دمشق وعلى الطريق التجارى بين العراق والبحر المتوسط.

بدأ تأسيس تدمر على شكل محطة للقوافل، تمر بها بضائع الهند والصين كالحرير والمجوهرات والعطور والبخور،ثم اتسعت حتى أصبحت سوقاً كبيرة للتبادل التجاري. وتبعاً لذلك اشتغل التدمريون فى الوساطة التجارية وفى نقل السلع ،مما جعل تدمر تزدهر وتصبح ذات مركز هام فى المنطقة من الناحيتين التجارية والحربية. ومما زاد فى أهمية تدمر سقوط مدينة بتراء عاصمة الأنباط فأخذت بذلك زعامة المدن العربية فى المنطقة.

ومن أشهر ملوك تدمر «أذينه الثاني» الذى انضم إلى الرومان فى حربهم ضدالفرس، وتمكن من التغلب على «سابور الفارسي» فخلع عليه الرومان لقب « نائب امبراطور » وبعد عام واحد من هذا الانتصار قتل أذينه وابنه الأكبر غدراً فخلفه على الحكم ابنه الأصغر تحت وصاية والدته « زنوبيا الزباء » .

تولت زنوبيا (الزباء) الحكم فى بادئ الأمر كوصية على ولدها الصغير، إلا أنها لم تلبث أن نادت بنفسها ملكة للشرق وأخذت توسع رقعة بلادها فاحتلت مصر ونودي بابنها الأصغر ملكاً عليها، كما احتلت جزءاً كبيراً من آسيا الصغرى، وحاولت الوصول إلى البسفور، هذا بالاضافة إلى بلاد العراق التى احتلتها.

لم يطق الرومان صبرا على هذه الإجراءات وصمموا على القضاءِ على زنوبيا، فكان لهم ذلك، إذ تمكن الامبراطور الرومانى أورليان سنة ٢٧٣م من فتح تدمر وتدميرها وأخذ زنوبيا أسيرة إلى روما. وبسقوط تدمر تحوّل الطريق

التجارى نحو الجنوب مارا بالمدن الغسانية،إلا أن تدمر عادت تنتعش قليلا زمن الامبراطور دقلديانوس إذ جعلها محطة حربية،وبقيت على هذا الوضع حتى فتحها خالد بن الوليد فى عهد الخلفاءِ الراشدين.

حضارة تدمر

كانت حضارة تدمر مزيجاً من حضارة عدة أقوام كالفرس واليونان والرومان،وتتجلى فيما يلي :

١ـ اللغة والكتابة: مع أن التدمريين كانوا عرباً بلا جدال إلا أن لغتهم كانت آرامية،ولم يكن خطهم سوى تطور للخط الآرامى القديم.

٢ـ الديانة: ـ لا تختلف فى جوهرها عن ديانة أهل شمال سوريا والقبائل العربية المقيمة فى الصحراء. وأشهر آلهتهم «الشمس» ولاتزال بقايا المعبد الشمسي ماثلة للعيان فى تدمر، كما كان التدمريون يعبدون القمر. أما أشهر الآلهات الإناث فهى «اللات» هذا وقد دخلت الديانة المسيحية إلى تدمر.

٣ـ الحياة الاجتماعية: أصبح التدمريون أغنياء بسبب اشتغالهم بالتجارة فزاد ثراؤهم وبنوا القصور وفرشوها بالأثاث الفاخر.

أَما السكان فكانوا من طبقتين مثل سائر سكان المدن فى ذلك العصر إحداهما «الطبقة الخاصة» وكان عدد أفرادها قليلا وهم أَصحاب النفوذ والثروة، والأخرى هي «الطبقة العامة» وهم العمال.

٤ـ فن المعمار والنحت: اشتهر التدمريون بالنحت وفن البناءِ. ومن آثارهم فى تدمر هيكل الشمس والرواق الأعظم والمدافن. ولا تزال النقود التى سكّتها زنوبيا تسهيلاً للتبادل التجاري موجودة فى كثير من المتاحف.

ثالثاً : المناذرة

المناذرة هم من عرب الجنوب الذين نزحوا من اليمن وسكنوا موقع الحيرة بالقرب من نهر الفرات بالعراق،وتقع الصحراءُ غربها.

والمناذرة من آل نصر الذين هم فرع من آل لخم،ولذا يسمى المناذرة أحياناً باللخميين أو ملوك الحيرة وكلها تسمية لمدلول واحد. وتعنى كلمة الحيرة « الحصن أو الدير » ،وقد بدأت هذه المدينة (الحيرة) بشكل بسيط ثم نمت وازدهرت فى عهد المناذرة آل نصر اللخميين.



خريطة رقم (١٣)

وعندما امتد سلطان أردشير على الحيرة والأنبار،رأى أنه من الحكمة أن يستفيد من العرب اللخميين في الحيرة لمساعدته ضد هجمات العرب القاطنين في الصحراء وليكونوا عوناً له على حروبه مع الروم . .

وهنا قوي مركز الحيرة وظهر فيها عدة ملوك أشهرهم :

النعمان الأول :

ويلقب بالأعور وهو الذي بنى قصري الخورنق والسدير بالحيرة ، واستخدم في بنائهما مهندساً بيزنطياً اسمه « سنمار »(١) وكان القصر يشرف على المناطق الخصبة فيرى الناظر من سطحه ما يقوم به السكان من أعمال زراعية ورعوية وصيد أسماك .

المنذر الثالث :

ويعرف بالمنذر بن ماء السماء،وكان عصره زاهراً ، بالرغم من قيامه بحروب كثيرة مع كندة والروم والغساسنة،كان آخرها حربه مع الغساسنة فى معركة تعرف ب «يوم حليمه» التي خسرها على يد الحارث الثاني الغساني.

النعمان الثالث :

وهو آخر ملوك الحيرة الأقوياء وأكثرهم شهرة فى كتب الأدب ويعرف بأبى قابوس . وقد جاء النعمان فى الوقت الذى برزت فيه سيطرة الفرس على الحيرة . كانت الناحية الأدبية واضحة فى عهده وذلك لرعايته الأدب والشعر وأصحابهما وكان بلاطه يعج بهم، وكان أحب الشعراء إليه النابغة الذبياني.

ولىّ الفرس على الحيرة،بعد مقتل النعمان ، إياس بن قبيصة الطائي الذى طلب منه كسرى أن يجمع كل ما خلفه النعمان وكل ما أودعه عند هانئ بن

---

(١) وقد ألقى به النعمان من رأس القصر حتى لا يبنى مثلهما لغيره ، وبعدها صار « جزاء سنمار » مثلا يضرب لنكران الجميل .

مسعود، إلا أن هانئ رفض الطلب فكانت معركة «ذى قار» التى انتصر فيها العرب على الفرس وعميلهم إياس.

وآخر من تولى ملك الحيرة من قِبَل الفرس المنذر الخامس الملقب بالمغرور . وبعدئذ كان فتح خـالد بن الوليد للحيرة في زمن الخليفة أبي بكـر الصـديق رضى الله عنه .

حضارة المناذرة:

إن سيطرة دولة الحيرة على المناطق الواقعة غرب الفرات الأوسط حتى منتصف ساحل الخليج العربي، واعتماد الفرس عليها فى أُمور دفاعية، جعل هذه الدولة تظهر بمظهر القوة التى تمثلت فى كثير من مظاهر حضارتها، والتى أهمها ما يلى:

١ ـ **نظام الدولة**: ـ كان الملك فيها رأس الدولة وبلاطه يشبه بلاط ملوك الفرس، وللملك وزير كان يسمى «الرديف» وتحت تصرفه قوة عسكرية بعضها نظامي وبعضها الآخر غير نظامى.

٢ ـ **اللغة والكتابة**: كانت لغتهم العربية إلا أَنهم كانوا يكتبون باللغة السريانية، مثلهم فى ذلك مثل الأنباط والتدمريين الذين كانوا يتكلمون العربية ويكتبون بالآرامية. ومع ذلك فقد كان لهذه الدولة فضل كبير فى تعليم الخط العربى وإثراءِ اللغة العربية بالمفردات الفارسية.

٣ ـ **الديانة**: كانوا يدينون فى بادئ الأمر بالوثنية، ولكن النصرانية انتشرت فيها خلال الفترة الأخيرة من عهدها.

وللحيرة أثر كبير فى نقل الحضارة الفارسية إلى بلاد العرب، كما أن لتلك الحضارة أثرا فى القصور التى بناها ملوك الحيرة والتى أهمها الخورنق والسدير.

آخر درس الغساسنة

رابعاً : الغساسنة

إلى هنا الترم الأول

الغساسنة هم من قبائل الأزد العربية اليمنية الأصل التي أقامت في تهامة عند ماء يسمى غسان ، ومن هنا عرفوا بأزد غسان ، ثم نزحوا إلى شرق الأردن ، وقد جعلهم الروم عمالاً لهم في المنطقة فصارت لهم الرئاسة .

اتفق الروم والغساسنة على تجهيز الجيوش لمحاربة فارس إذا هى اعتدت عليهم.

أول ملوك هذه الدولة جفنة بن عمرو جد الغساسنة وقد حكم مدة ٤٥ سنة وتلاه عدة ملوك، أشهرهم.

الحارث الثاني بن جبلة :

ويلقب بالأعرج وقد تصادم الروم والفرس فى عهده، وكانت الغلبة للفرس حتى اضطر الروم إلى المهادنة، علماً بأن المناذرة حاربوا مع الفرس، والغساسنة حاربوا مع الروم. ثم عادت الحرب بين المناذرة والغساسنة فى عهد الحارث، وكانت الغلبة للحارث فى «يوم حليمة».

جبلة بن الأيهم :

غزا الفرس الروم واستولوا على دمشق والقدس فكانت الضربة القاضية على نفوذ الغساسنة فى المنطقة. وعندما استرد هرقل الرومانى بلاد الشام، ظهر أحد الغساسنة وهو جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة الذى استرد شيئاً من نفوذ قومه فى المنطقة، وقد دخل المسلمون فى عهده بلاد الشام إثر انتصارهم فى

معركة اليرموك. أسلم جبلة زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه،إلا انه عاد فتنصر مرة ثانية[1] وذهب إلى القسطنطينية ومات فيها.

حضارة الغساسنة:

كانت حضارة الغساسنة أعلى مستوى من حضارة المناذرة إذ أن حضارتهم امتزجت بالحضارتين اليونانية والرومانية. وكان من أبرز مظاهر الحضارة عندهم ما يلى:

١- فن البناء: شيدوا المدن والقصور والقلاع مثل القصر الأبيض وقلعة الزرقاء وقصر المشتى، كما أقاموا أقواس النصر والحمامات العامة وفناطيس المياه والمسارح والكنائس.

٢- الأدب والشعر: اهتم ملوك الغساسنة بالجواري والمغنين والموسيقيين، كما اهتموا بالأدباء والشعراء،وجاءَ إليهم النابغة الذبيانى، وحارب الشاعر لبيد (صاحب إحدى المعلقات) إلى جانبهم فى « يوم حليمة » كما اتصل بهم حسان بن ثابت.

٣- الديانة: اعتنق الغساسنة الديانة النصرانية وتحدثوا باللغة العربية،إلاَّ أنهم اتخذوا من اللغة الآرامية لغة ثانية

---

(١) أسلم جبلة بن الأيهم وجاء إلى المدينة فاستقبله الخليفة عمر أحسن استقبال،وذهب جبلة إلى مكة وبينما هو يطوف بالبيت وطىء أعرابي إزاره فلطمه جبله. شكا الأعرابي إلى الخليفة عمر فخير جبلة بين استرضاء خصمه أو القصاص، ورفض الأعرابي الاسترضاء وأصر على القصاص، فأنف جبلة أن يعامل هذه المعاملة وتنصر وهرب إلى القسطنطينية وندم على تنصره وقال:

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

أسئلة وتطبيقات على الباب السادس

١ ـــ ارسم خريطة توضح عليها كل من الأنباط والتدمريين والمناذرة والغساسنة وبيِّن عاصمة كل منهم .

٢ ـــ تكلم عن دولة الأنباط من حيث نشأتها وحدودها وأهم مظاهر حضارتها .

٣ ـــ قارن بين حضارة كل من : دولة تدمر ، ودولة المناذرة .

٤ ـــ اشرح كيف اتسعت أملاك التدمريين ، وكيف قضي على دولتهم .

٥ ـــ « كان للبيئة الطبيعية والموقع أثر في حضارة الأنباط » وضِّح هذا القول .

٦ ـــ اذكر اسم ملك واحد لكل من الدول الآتية : الأنباط ، تدمر ، المناذرة ، الغساسنة .

٧ ـــ ما الذي ساعد على ثراء كل من دولتي تدمر والأنباط ؟.

٨ ـــ تكلم باختصار عن حضارة الغساسنة .

٩ ـــ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :

(أ) خط النسخ .

(ب) مدينة تدمر .

(جـ) معركة ذي قار .

(د) النعمان الأول .

١٠ ـــ علل لما يأتي : واجب

(أ) ازدهار البتراء .

(ب) نحت الأنباط صهاريج للمياه داخل الصخور .

(ج) اطلاق زنوبيا على نفسها « ملكة الشرق » .

(د) زيادة أهمية مركز الحيرة في عهد اللخميين .

الى هنا الترم الثاني

الفصــل الثاني

العبرانيون وسير أنبيائهم

العبرانيون من الأقوام السامية التى وجدت فى فلسطين عندما كان يسيطر عليها الكنعانيون وهم أيضاً من الأقوام السامية.

ظهر فى العبرانيين عدة أنبياء ليرشدوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان الشائعة فى تلك الأزمان والتي كانت ترمز لعدة آلهة. ومن هؤلاءِ الأنبياء من درسنا مثل يوسف وموسى عليهما السلام ومن سندرس سيرهم مثل داود وسليمان وعيسى عليهم السلام. ومن خلال دراستك لسير هؤلاءِ الأنبياء تقف على تاريخ العبرانيين القديم.

كان طالوت (شاول) أول ملك فى اليهود وقد خصه الله فيهم بالملك. وكانت مدة حكمه ما بين ١٠٢٠ ق.م. ـــ و ١٠٠٤ ق.م.

سيدنا داود عليه السلام:

جاءَ سيدنا داود عليه السلام بعد طالوت. وقد حكم داود عليه السلام ما بين ١٠٠٤ ق.م و ٩٦٣ ق.م. وكان قوياً شديد البأس آتاه الله الملك والنبوة معاً، وقد جعل من بلدة جدِّهِ الأول سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ـ مدينة الخليل عاصمة له، ولقد ذاع صيت داود عليه السلام عندما التحم جيش طالوت بجيش جالوت ملك الكنعانيين فى القدس، إذ تمكن داود من قتل جالوت ذلك الطاغية الجبار ولما رأى طالوت بطولة داود وشجاعته قربه إليه وزوجه ابنته، إلاَّ أن طالوت شعر بميل الناس نحو داود والتفافهم حوله فحاول القضاء عليه لكنه لم يتمكن. وقد ندم طالوت على عمله هذا وترك الحكم وهام على وجهه يستغفر الله من سوءِ عمله حتى وافاه الأجل المحتوم.

التف العبرانيون حول داود عليه السلام وبايعوه ملكاً عليهم[1] وكان عليه أن يحارب ويكافح من أجل إعلاء كلمة الله ونشرها بين الأقوام الكنعانية القريبة ومن أجل إقامة دولة قوية يسودها العدل والنظام. هذا وقد نقل دواد عاصمة ملكه من مدينة الخليل إلى القدس بعد مقتل ملكها جالوت والاستيلاء عليها.

واجه داود عليه السلام صعوبات كثيرة ومشكلات عديدة من قومه، ولكن الله تعالى شد ملكه وقوَّاه على أعدائه وأورث الملك والنبوة لابنه سليمان عليه السـلام.

سيدنا سليمان عليه السلام:
(٩٦٣ ق.م - ٩٢٣ ق.م)

سليمان هو ابن داود عليه السلام. منحه الله الذكاء وأصالة الرأى فى الحكم. وسخر الله له قوى كثيرة لخدمته ليتمكن من إنجاز الأعمال التى خطط لها، وهذه الأعمال دينية ودنيوية. فالدينية منها: هى الاستمرار فى نشر عبادة الله وحده بين قومه والأقوام المجاورة له وغيرهم، ومراقبة قومه خشية أن ينحرفوا عن الدين. أما الدنيوية منها: فهى أن يتولى مكان الصدارة السياسية ومركز القوة التى تتمثل مظاهرها فى الجنود وبناءِ الحصون والقصور والهياكل وغير ذلك. وقد استعان فى إنجاز هذه الأعمال العمرانية بالصناع والبنائين المهرة من مصر وفينيقيا (لبنان).

ولقد برزت قوة سيدنا سليمان عليه السلام وسيطرته على مخلوقات الله. ففى قصة بلقيس ملكة سبأ التى سبق أن ذكرناها، تمكن من إحضارها أمامه لتشاهد بنفسها عظمة نبوته وملكه[2].

---

(١) راجع سورة ص،الآية ٢٥

(٢) راجع سورة النمل، الآيات ٤٢-٤٤

أخذ سليمان الملك عن والده ووسع رقعة البلاد التابعة لنفوذه فاستسلمت له كل بلاد الشام. وبعثه الله نبياً بعد والده ليتابع نشر عبادة التوحيد وهى شريعة سيدنا موسى عليه السلام.

طمع يَرُبْعَام فى ملك سليمان وقاد اليهود ضده وفشلت ثورته فالتجأ إلى فرعون مصر وبوفاة سليمان خلفه ابنه رحُبعام الذى ثار عليه اليهود واستدعوا يربعام وملكوه عليهم. شطر يَرُبْعام شمال البلاد وكون مملكة الشمال وجعل عاصمتها شكيم(١) أما رحبعام فاستمر ملكاً على جنوب البلاد.

اليهود بعد وفاة سليمان:

دب الخلاف والنزاع بين مملكتي اليهود سريعاً بعد وفاة سليمان عليه السلام مما كان سبباً في ضعفهما، ومما أتاح الفرصة أمام « الدولة الآشورية » لمهاجمتهما والاستيلاء عليهما سنة ٧٢٢ ق.م.

لم يتمكن اليهود خلال فترة حكم الآشوريين لهم من الإتيان بحركات مناوئة للحكم الآشورى خوفا من وسائل البطش والقمع التي اتبعها الآشوريون مع كل من تسول له نفسه أن يتمرد عليهم.

وبعد سقوط دولة آشور على يد نبوخذ نصر ملك الكلدانيين سنة ٦١٢ ق.م تنفس اليهود الصعداء وعملوا على مقاومة الدولة الكلدانية التى حلت محل الدولة الآشورية. فما كان من نبوخذ نصر إلاّ أن دمر القدس وسبى اليهود إلى بابل سنة ٥٨٦ ق.م. ليكونوا تحت مراقبته وبذلك يأمن مكرهم وشرهم فى الجزءِ الغربي من بلاده.

---

(١) شكيم: هي مدينة نابلس.

ولما عاد اليهود إلى بلادهم فى عهد كورش الفارسي أخذوا فى لم شعثهم محاولين بذلك انتهاز فرصة مواتية لتكوين دولة من جديد. وما كادوا يدبرون محاولاتهم ومؤامراتهم فى آخر أيام الدولة الفارسية حتى جاءَ الاسكندر الكبير اليونانى واستولى على بلدان شرق البحر المتوسط وعلى مصر وذلك بانتصاره على الفرس سنة ٣٣٣ ق.م.

وظل الوضع على هذا النحو حتى استيلاء الرومان على فلسطين سنة ٦٣ ق.م. وحتى ظهور سيدنا عيسى عليه السلام.

سيرة سيدنا عيسى عليه السلام :

ولد سيدنا عيسى عليه السلام أيام حكم الامبراطور الرومانى أغسطس قيصر الذى حكم ما بين ٢٧ ق.م - ١٤ م ووالدته مريم بنة عمران وكان والدها من أحبار اليهود. كانت مريم صغيرة عندما مات والدها فكفلها زكريا والد يحيى عليهما السلام. نشأت مريم على الطهر والعفاف والبعد عن كل دنس(١).

وضعت مريم الطاهرة عيسى عليه السلام بعد أن حملت به بنفخة من روح الله. ولد عليه السلام فى الوقت الذى كان يحكم فيه البلاد هيرودس الذى نصبه الرومان ملكاً على فلسطين. علم اليهود من التوراة أنه سيخرج من بينهم منافس لهم يولد في بلدة بيت لحم ـ حيث كنيسة المهد لـذا عمل هيرودس على قتل كل طفل يولد في تلك البلدة ، فأخفته مريم عن أعين الناس وارتحلت به إلى بيت المقدس ، ثم ذهبت به إلى الناصرة (بلدة في شمال فلسطين) حيث أمضى عيسى عليه السلام فيها أكثر عمره ، وهبط الوحي عليه وعمره ٣٠ عاماً ، وأخذ يدعو الناس للإيمان ، وكان اليهود قد انحرفوا عن شريعة موسى عليه السلام وانغمسوا في الشرك وانصرفوا إلى مباهج الحياة الدنيا .

---

(١) راجع سورة آل عمران، الآية ٤١


فلسطين
دمشق
عكا
طبرية
مجدو
قيسارية
بيسان
درعا
بصرى
نابلس
يافا
اللد
الزرقاء
عمان
أريحا
القدس
الأزرق
عسقلان
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
الحفير
بتراء
معان
عين غضبان
العقبة

خريطة رقم (١٤)

جاءَ عيسى عليه السلام إلى بيت المقدس فى يوم عيد اليهود لنشر دعوته ، وأخذ الناس يدخلون فيها ، فتآمر أحبار اليهود عليه . والتف الحواريون حوله وأخذوا يجادلونه فى كثير من المسائل ليتأكدوا من صدق ما جاءَ به . وطالبوه بأشياء كثيرة تثبت ذلك . ولما أثبت لهم صدق دعوته بما جاءَ به من معجزات آمنوا به وزاد عدد المؤمنين .

لم يجد الأحبار سبيلاً للمقاومة غير العمل على قتله ليضمنوا الإبقاء على مكانتهم فأَوغروا صدر بلاطس النبطى الذى تولى الملك بعد هيرودس زاعمين أن عيسى يعمل للاستيلاءِ على الحكم . تألبت هذه القوى ضد عيسى عليه السلام فأَخذ يتنقل من مكان لآخر مع أتباعه خشية البطش بهم . وكان يهوذا الأسخريوطى من حواريى عيسى عليه السلام ولكنه دل مطارديه على مكـانه هو ومن معه من المؤمنين ، وأشعر بلاطس بذلك فأَرسل جنوده والأسخريوطى يقودهم للقبض على المسيح عيسى بن مريم وجماعته ، ولكن الله جلت قدرته نجى عيسى عليه السلام من انتقام اليهود وملكهم بلاطس . فقد جعل الله سبحانه وتعالى يهوذا الاسخريوطى شبيهاً شبهاً تاماً بعيسى عليه السلام فأَلقى الجنود القبض على يهوذا وساقوه إلى بلاطس وصلبوه وقتلوه وهكذا نجا عيسى عليه السلام من كيدهم ووقع يهوذا فى الحفرة التى حفرها .

أيام اليهود فى العهد الرومانى :

بعد أَن ادعى اليهود قتل سيدنا عيسى عليه السلام كذباً ، وبعد انتشار الديانة المسيحية واعتناق الدولة الرومانية الحاكمة للمسيحية ، قام اليهـود بثورات ضد الحكم الرومانى ، وكان لا بد من إجراءٍ حاسم ضد اليهود ، فجاءَ تيطس[1] القائد الرومانى إلى القدس سنة ٧٠ م وضربها وشتت شمل اليهود .

---

(١) تيطس ، وتكتب «طيطوس»

ومع ذلك عادوا فلموا شملهم وقاموا بالثورات حتى سنة ١٣٥ م حيث دمرهم الإمبراطور هدريان وشتتهم فى أقطار العالم.

بقى اليهود مشتتين على هذا النحو حتى جاءَ الإسلام، وفتحت القدس فى زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وانضوى من بقي فيها من اليهود تحت لواءِ الدولة الإسلامية التى سارت على مبادئ الدين الإسلامى الحق الذى يقوم على العدل والمساواة.

أسئلة وتطبيقات

١ ـ يعرف العبرانيون بالاسرائيليين واليهود . فلم أطلقت عليهم هذه الأسماء؟

٢ ـ اشتهر داود عليه السلام بشجاعته وقوته الحربية . وضح ذلك ذاكراً صلته بطالوت

٣ ـ وهب الله سيدنا سليمان الملك والنبوة وآتاه فضلاً كثيراً. وضح ذلك.

٤ ـ وضح ما آلت إليه مملكة سليمان عقب وفاته

٥ ـ اذكر ما تعرفه عن حمل وولادة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

٦ ـ ما هى الأسباب التى جعلت الأحبار وعلماء اليهود يناصبون عيسى عليه السلام العداء؟ ووضح كيف تآمروا على قتله.

٧ ـ وضح باختصار حالة اليهود منذ ادعائهم قتل عيسى عليه السلام كذباً حتى دخول المسلمين فى فلسطين

٨ ـ من خلال دراستك عرفت كثيراً من الرذائل التى اتصف بها اليهود. عدد بعض تلك الصفات وأعط أمثلة توضح ذلك.

٩ ـ علل لما يأتي :

(أ) محاولة طالوت الغدر بسيدنا داود رغم شجاعته وزواجه بابنته .

(ب) سبي بنو خذ نصر لليهود ونفيهم إلى بابل .

(جـ) قتل هيرودس لكل طفل ذكر يولد في بيت لحم .

١٠ ـ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :

(أ) طـالوت .

(ب) يربعـام .

(ج) يهوذا الأسخريوطي .

(د) اليهود في العهد الروماني .

القسم الثانى

السيرة النبوية

موجز عن حالة العرب قبل الاسلام

الباب الأول
حالة العرب قبل الاسلام

تمهيد :

تناولت دراستنا السابقة الأدوار الإنسانية والكفاح البطولى الذى قام به الأنبياء والمرسلون من أجل نشر عبادة التوحيد وإشاعة المساواة والتعاون والخلق الحسن بين بنى البشر. وقبل أن نأتي على الدور الهام الذى قام به الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام فى نشر الإسلام، نستعرض النواحى السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية والخلقية والاقتصادية التى كانت سائدة فى الوطن العربي قبَيْلَ ظهور الإسلام :

أولا ـ الناحية السياسية :

لقد كان الوضع فى المنطقة العربية على النحو الآتى :

(أ) جنوب الجزيرة العربية :

عند مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان الأَحباش المسيحيون (النصارى) قد استولوا على اليمن، وانتهى الصراع السياسى بينهم وبين التبابعة بانتصار الأحباش. وظهرت حركات المقاومة للحكم الحبشى. وتولاها فى النهاية سيف بن ذى يزن الذى ناصره الفرس على الأحباش، وقد حكم الفرس البلاد حكماً مباشراً بعد مقتل ابن ذى يزن،وبقوا فى البلاد حتى ظهور الإسلام ودخول هذا الجزء من الجزيرة العربية فى حظيرة الدولة الاسلامية.

(ب) فى نجد :

كان الحكم بيد ملوك كندة، وقد ضعف شأنهم وتضاءل نفوذهم بسبب عداءِ الفرس والمناذرة لهم. ولم يتمكن الكنديون من توحيد بلادهم تحت زعامة

(١) التبابعة : حكام اليمن .

رجل واحد وبقوا هكذا حتى ظهور الإسلام ودخولهم فى الدين الإسلامى فأصبحت بلادهم جزءًا من الدولة الإسلامية.

(جـ) في الحجـاز:

كانت تحكمه قبائله العدنانية ومن أبرزها قريش صاحبة السلطة الزمنية فى مكة، وثقيف فى الطائف، والقحطانية كالأوس والخزرج فى المدينة، وهذا يعنى أن هذا الجزء من الجزيرة العربية لم يدخل تحت سيطرة أجنبية.

ثانياً ـ الناحية الدينية:

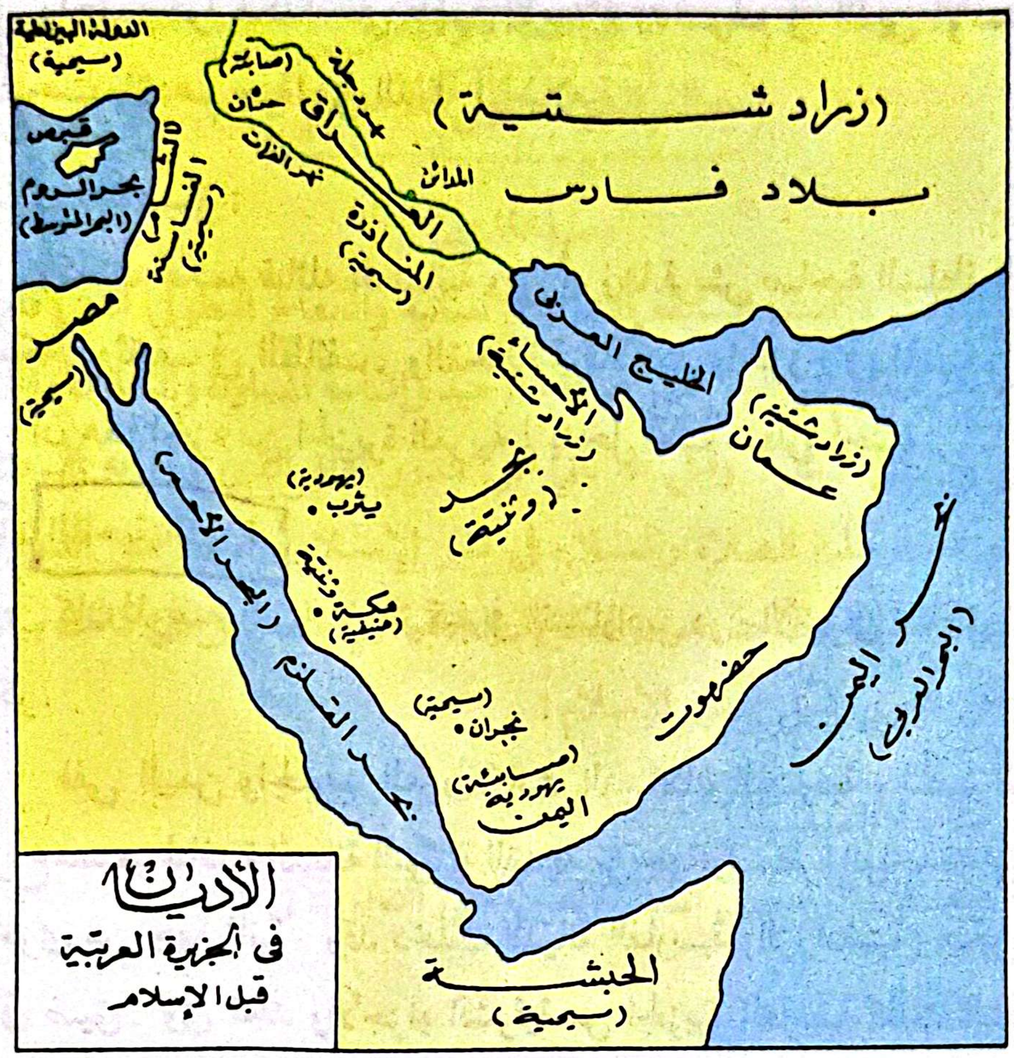
كان للوضع السياسي أثر كبير فى انتشار دين دون الآخر فى المناطق الآنفة الذكر.

ففى اليمن والجنوب العربى كانت الديانتان اليهودية والنصرانية فى صراع مستمر لمنافسة الديانة الوثنية القديمة من جهة،ولسيطرة الواحدة منهما على الأخرى من جهة ثانية، وقد دخلت الديانة الفارسية (الزرادشتية) ولكن على نطاق ضيق. وفى نجد والأجزاءِ الشرقية من الجزيرة العربية كانت الديانة الفارسية منتشرة بالاضافة إلى الوثنية.

أما فى الحجاز فكانت الديانة الوثنية هى الغالبة مع وجود الديانة اليهودية فى منطقة المدينة، ووجود بعض الذين ما زالوا على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وهى الديانة الحنيفية.

ثالثاً ـ الناحية الفكرية:

وتتجلى هذه الناحية فى اللغات وآدابها وفى العلوم والفنون المختلفة التى فى مجموعها تكوّن جوانب هامة من الحضارة القديمة. ومع أن هذه الناحية امتزجت وكانت مشتركة بين العرب فى شتى أقطارهم،إلا أنه يمكن تخصيص تلك الأقطار بنواح بارزة منها:



خريطة رقم (١٥)

ففى الجنوب العربى : برزت هذه الناحية فى اللغـة الحميرية وآدابها، وكذلك اللغة الحبشية، واشتهر هذا الجزء بفن المعمار والنقش وبناءِ السدود.

وفى نجد : كانت اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر من أبرز مظاهر الناحية الفكرية بالإضافة إلى معرفة حركات النجوم والكواكب، والاستدلال بها على التقلبات الجوية.

أما فى الحجاز : فقد كانت اللغة العربية بآدابها من شعر ونثر هى أبرز مظهر من مظاهر الناحية الفكرية ، وقد عرفت مكـانة مكـة وقريش فى هـذا المجال. هذا بالاضافة إلى معرفة النجوم والكواكب ومبادئ الطب القديم

والصيدلة والكهانة والعرافة والفراسة والمعرفة باللغات .

رابعاً ـ الناحية الاجتماعية ونوع الحكم :

عندما جاء الإسلام كانت الأوضاع بالنسبة لهذه الناحية فى الأقطار العربية على النحو الآتى :

(أ) طراز المعيشة :

انقسم الناس إلى قسمين : حضر وبدو، وإن وجد هذان القسمان فى كل البلدان، إلا إنه يمكن تغليب قسم على الآخر فى مناطق معينة .



خريطة رقم (١٦)

ففى اليمن تغلب القسم الحضري على البدوى بشكل واضح.

أما فى نجد والحجاز فقد تغلب القسم البدوي باستثناءِ مكة والطائف والمدينة التى كان القسم الحضري فيها أكثر بروزاً.

(ب) الفروق الطبقية في المجتمع:

كانت الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع بارزة فى الأقاليم الحضرية أكثر منها فى الأقاليم البدوية. وعندما جاء الإسلام وجد التمييز بين الطبقات فعمل على إزالة الفروق بينها وقال صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى» والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»(١).

(جـ) الأخلاق والعادات:

تميّزت الأقوام البدوية بالتعصب للقبيلة وبالكرم والشجاعة والوفاء بالعهد وسرعة الانفعال بالإضافة إلى عادة وأْد البنات.

أما الأقوام الحضرية فقد غلب على سادتهم الترف بمظاهره المتنوعة كالغناء والموسيقى والرقص والعناية بالمظهر الخارجى كالملبس، كما غلبت عليهم الناحية المادية التى توفر لهم ما يريدون.

(د) الأسرة:

كانت تتكون من الأب والأم والأولاد عند كل من الأقوام البدوية والحضرية وكان لكل من أفراد الأسرة مكانته الخاصة به. أما الترابط بين أفراد الأسرة والعشيرة والقبيلة فكان فى الأقوام البدوية أكثر وضوحاً منه لدى الأقوام الحضرية. وبلا شك فإن للبيئة أثرها فى هذه الظاهرة.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

هـ) الحكم :

كان النظام الملكى الوراثى وحكم الطبقة الغنية (الأقلية) هو السائد بين الأقوام الحضرية، فى حين أن النظام القبلي العشائرى كان هو السائد بين الأقوام البدوية .

خامساً - الناحية الاقتصادية :

إن ظروف البيئة ومتطلبات المجتمع حتّمت وجود ألوان معينة من النشاط الاقتصادى لدى كل من الأقوام البدوية والحضرية.

فالتجارة والصناعة، مارسها سكان الأقاليم المتحضرة فى اليمن والحجاز .

وكان من المسببات الرئيسية لذلك مرور الطرق التجارية القديمة التى تربط بين أجزاءِ العالم القديم، وحاجات الناس للبضائع والسلع المختلفة التى أخذت تبرز الضرورة إليها من سنة إلى أُخرى.

أما الزراعة فكانت منتشرة بشكل بارز تماماً فى الأماكن التى تتوافر فيها شروط إنبات المزروعات: كالماءِ والمناخ الملائم والأرض الخصبة، ولذا كثرت الزراعة فى اليمن وأجزاء من الحجاز.

أما حرفة الرعى فقد انتشرت بين الأقوام البدوية فى نجد والحجاز أَكثر من أى نشاط اقتصادى آخر.

وخلاصة القول إنه عندما ظهرت الشريعة الإسلامية الغراءُ فى الحجاز، وقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بنشرها بأمر الله عز وجل، كان الوضع الدينى والاجتماعى والفكرى والاقتصادي والسياسى على النحو الذى لخصناه لك هنا. وبناءً عليه يتضح مقدار الجهد العظيم والتضحية، والكفاح الذى قام

به الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم، فى قلب مفاهيم راسخة فى النفوس، وإزالة عادات وأخلاق متأصلة لدى الناس، وتغيير أوضاع اعتادوا عليها منذ مئات السنين، وطراز معيشة أَلِفُوه منذ أمد طويل، وفوق هذا وذاك

قلب معتقداتهم الدينية الباطلة وحملهم على عبادة الله وحده ، والسير بموجب تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وترك ما اعتاد عليه الناس من عبادات باطلة توارثوها عن آبائهم ، ونقلهم مما اعتادوا عليه للسير على هدى الإسلام في شتى المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والخلقية .

أسئلة وتطبيقات على الباب الأول
من القسم الثانى

١ ـ كانت تتنازع أجزاء الوطن العربى عند ظهور الإسلام قوى متعددة . اذكر تلك القوى فى كل من : الحجاز، واليمن .

٢ ـ ارسم خريطة توضح عليها الأقسام السياسية للجزيرة العربية .

٣ ـ اكتب موضوعاً تاريخياً عن الأديان فى البلاد العربية قبل ظهور الإسلام .

٤ ـ اذكر ما امتاز به الحجاز من مظاهر فى مجال الناحية الفكرية . واجب

٥ ـ شاعت عادات كثيرة بين القبائل البدوية . عدد بعضاً منها .

٦ ـ ما هى طريقة الحكم لدى كل من المجتمعات الحضرية والمجتمعات البدوية . ؟

٧ ـ اذكر أهم ألوان النشاط الاقتصادى فى كل من الحجاز ونجد .

٩ ـ فى ضوء دراستك لهذا الباب صف عظم وخطورة المهمة التى قام بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

١٠ ــ قارن بين جنوب الجزيرة العربية والحجاز قبل الإسلام في النواحي الآتية :
الوضع السياسي ــ الدين ــ الحضارة الفكرية .

١١ ــ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي :
(أ) أخلاق العرب وعاداتهم قبل الإسلام .
(ب) نظام المجتمع قبل الإسلام في الجزيرة العربية .

الباب الثانى
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة فى فجر يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول الموافق ٢٠ نيسان (إبريل) ٥٧١ م وتعرف سنة مولده بعام الفيل، وهو العام الذى غزا فيه أبرهة الحبشى مكة المكرمة قادماً من اليمن لهدم الكعبة.

نسبه الشريف :

ولد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من أبوين كريمين هما عبد الله بن عبد المطلب سيد بنى هاشم، وآمنه بنت وهب سيد بنى زهرة. وكلا الأبوين من قريش أشرف القبائل العدنانية،والتى تعتبر الوارثة الحقيقية لإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. وإذا نظرت إلى الشجرة التى تفرعت منها قبيلة قريش والشجرة التى تفرعت منها القبائل العدنانية تجد أن نسبه عليه الصلاة والسلام من جهة والده كما يأتى :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

أما نسبه عليه الصلاة والسلام من جهة والدته فهو:

والدته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، وفي قصي يلتقي نسب والده ووالدته.

نشأته :

ولد الرسول عليه الصلاة والسلام يتيماً فكفلته أُمه ، إلا أنه كان من عادة قريش أن يؤتى بمراضع من البادية ليعيش الطفل معهن في هـــواء البادية الصحي الجاف بعيداً عن مناخ مكة ، وحتى يتغذى من حليب مرضعات سليمات الأجسام ، وليتعلم اللغة العربية الفصحى في أول عهده بالكلام والنطق .

نالت شرف إرضاعه صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية، وتفصيل الأمر أنه بعد ولادة محمد صلى الله عليه وسلم بأيام حضر إلى مكة عشر نساء من بنى سعد يلتمسن إرضاع الأطفال من عند الأشراف وكانت حليمة السعدية بينهن. وحدث أن سبقت النساءُ حليمة وأخذن الرضعاء.

ولم يبق سوى محمد عليه الصلاة والسلام. ولما وصلت حليمة السعدية مكة ورأت ذلك الطفل اليتيم، أعـرضت عن أخذه لأن أهله ليسـوا أغنياء وكادت أن تعود إلى البادية دون طفل، إلا أن قلبها رق له وصممت على أخذه خشية أن تعيرها النساءُ الأخريات.

أخذته حليمة السعدية فعلاً، وها هى تروى قصته فى الرضاع : - « لما أخذت محمداً وضعْتُه على حجري وضممته إلى صدرى وكلي حنان ومحبة إليه

ففاض ثدياي بالحليب بعد أن كادا يجفان من قلة الزاد وشدة التعب. وبدأت أرضعه من أحد الثديين،ولما أردت إعطاءه الثدي الآخر أبى،فكأنه يشير بذلك إلى

إعطائه إلى أخيه فى الرضاع أى ابنى. وعدنا إلى مرابعنا فإذا بناقتنا التى أنهكها الجوع والتعب فى المجيء إلى مكة قد أصبحت على أحسن ما تكون عليه الصحة، كما أن مرابعنا ملأها العشب لترعاه أغنامنا التى سمنت وأعطت وافراً من الحليب». وتستطرد حليمة قائلة: «شب محمد بشكل أسرع بكثير من غيره من الأطفال. ولم يبلغ التسعة أشهر من العمر حتى كان يتكلم بلهجة واضحة محببة للقلوب. كان بعيداً عن الأقذار. كان لا يبكي ولا يصرخ قط إلا إذا ترك عارياً فتعرض للأنظار. وإذا قلق أخرجته خارج الخيمة فلا يلبث أن يمعن نظره فى النجوم بإعجاب وتأمل ويظل على هذه الحالة حتى يأخذه النوم فينام».

ثم تستطرد حليمة:

«ولما انقضت السنتان ـ مدة الرضاعة ـ أخذته إلى والدته فى مكة لا لأسلمها إياه ولكن لأرجوها إبقاءه عندى. وكم كان سرورى عظيماً عندما وافقت أمه على عودته، وعدت به فعلاً إلى مرابعنا يتغذى بحليب الألبان ولحومها ويستنشق هواء البادية اللطيف،فأصبحت صحته على أحسن ما تكون الصحة».

ولقد ظلَّت ذكريات البادية عالقة في ذهن الرسول الكريم يرددها بقوله: «إن من نعم الله عليَّ التي لا تقدر: أنني ولدت في قريش أشرف القبائل، وأنني نشأت في بادية بني سعد أصلح المواطن في الحجاز».

قصة الانشراح وعودته إلى أمه:

تروي القصة حليمة السعدية فتقول: «كان محمد يحب العزلة والهدوء ويبتعد عن كل خلق ذميم. كان يرافق أخاه فى الرضاعة إلى المرعى. وذات يوم

جاء رجلان بثيابهما البيض فأخذا محمداً وأخرجا من صدره(1) شيئاً أسود. فخاف أخوه من هذه الحادثة وأخبرني بالأمر فخشيت على محمد من اعتداء قد يطرأ عليه فأخذته إلى أمه وكان عمره أربع سنوات».

وهنا احتضنته أمه حتى بلغ السادسة من العمر إذ توفيت وهي في طريق عودتها من يثرب إلى مكة وكانت معها جاريتها أم أيمن التي كانت تحب محمداً حباً جماً. وعادت أم أيمن به عليه الصلاة والسلام إلى مكة ومعها خمسة من الابل وهذا كل ما كان له من ميراث أمه. وأصبح عليه الصلاة والسلام بعد وفاة أمه يتيم الأبوين فكفله جده عبد المطلب.

كفالة جده له:

كان عبد المطلب جد الرسول عليه الصلاة والسلام يحب حفيده محمداً حباً جماً وصار حبه له يزداد يوماً بعد يوم. وحدث ذات يوم وبعد أن هيأ الخدم الفراش - كعادتهم - في ظل الكعبة لجلوس عبد المطلب، وكان لا يجرؤ أحد أن يجلس على ذلك الفراش حتى أبنائه، فإذا بمحمد يجيء إلى المكان ويجلس في منتصف الفراش، فمنعه الخدم، وإذا بعبد المطلب قادم إلى مجلسه، فصاح بالخدم قائلاً: «ارجعوا ابني إلى حيث كان يجلس. إنه قرة عيني في شيخوختي وسيبلغ مكانة لم يبلغها عربي قط».

لم يستمر هذا الحنان طويلاً إذ توفي عبد المطلب وعمره خمس وتسعون سنة، وعمر محمد آنذاك ثماني سنوات، فكفله عمه أبو طالب.

(1) قوله تعالى في سورة الانشراح: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ». والشيء الأسود هو إثم الجاهلية الذي أخرجه الله من صدره منذ طفولته.

كفالة عمه له

أبو طالب هو الشقيق الوحيد لعبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم. قد أوصى عبد المطلب ابنه أبا طالب بهذه الكفالة قبل وفاته لما يعلم من عطف أبي طالب وحنوه على ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم. ورث أبو طالب سدانة الكعبة، ومع ذلك كان قليل الثراء فاشتغل بالتجارة، وساهم محمد مع عمه فى هذا العمل إذ رافقه فى سفرته التجارية إلى بلاد الشام. وفى هذه السفرة لقيت القافلة كل راحة، كما استضاف أفرادها الراهب المسيحى بحيرا فى بلدة بصرى ببلاد الشام، وهى على طريق القوافل. وتفرس بحيرا فى الرسول عليه الصلاة والسلام فوجد فيه العلامات التى تنطبق على ذلك الرسول الذى سيكون خاتم الأنبياء والمرسلين، والتى ورد ذكرها فى الكتب السماوية. وهنا أوصى هذا الراهب أبا طالب أن يعود بمحمد إلى مكة وأن يحرص عليه من غدر اليهود، وفعلاً اشتد حرص أبي طالب على ابن أخيه.

اخلاقه قبل البعثه

شب عليه الصلاة والسلام وكبر وهو شديد الحياء، وكان أحسن أقرانه خَلْقاً، وأَحسنهم خُلُقاً، وأكرمهم وأحسنهم عشرة، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم عن الفحش، وعن كل ما يدنس الرجل. وكان يحافظ على الصداقة ومحبة الناس. ولما اتصف به عليه الصلاة والسلام من حميد المزايا وكريم الشمائل سماه قومه «الأمين».

لم يعبد الأصنام قط،ولم يتبع دين قومه، بل كان على دين جده إبراهيم الخليل عليه السلام. كان باستمرار يتأمل فى مخلوقات الله عز وجل، وكل أعماله تدل على رجولته الحقة وذكائه وأمانته وإخلاصة وصدقه. كان ذا رأي سديد، وحكم عادل.

رحلته الثانية إلى بلاد الشام :

كان من عادة النساء الثريات فى مكة مشاركة الرجال فى الأعمال التجارية، ومنهن خديجة بنت خويلد التى علمت الشيء الكثير عن أمانة محمد عليه الصلاة والسلام وصدقه وإخلاصه، فعهدت إليه بأموالها ليتاجر فيها. وعرضت عليه أجراً كبيراً وهو ضعف ما كانت تدفعه للآخرين عندما يتاجرون لها.

قبل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا العرض، وذهب على رأس قافلة السيدة خديجة إلى بلاد الشام، وقد أوصى عمه أبو طالب رجال القافلة به خيراً، وعلى الأخص ميسرة خادم خديجة الذى رافق محمداً فى تلك الرحلة.

سارت القافلة بكل هدوء واطمئنان وراحة ولم يشهد ميسرة رحلة أفضل منها وأكثر راحة وأرباحاً. باع محمد عليه الصلاة والسلام بضاعته فى بصرى بأسعار جيدة واشترى سلعاً أخرى بأسعار معتدلة. وقد التقى محمد بعدد من الرهبان والكل يوصى ميسرة بأن يحافظ عليه من مكر اليهود.

عادت القافلة موفقة وعرفت خديجة المزيد من أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته فضاعفت له الأجر كما وعدت.

زواجه بالسيدة خديجة :

رأت السيدة خديجة أن تجعل من الرسول عليه الصلاة والسلام ـ المشرف الأعلى على ثروتها، وأفضل وسيلة لذلك هى الزواج منه على الرغم من فارق السن بينهما، إذ كان عليه الصلاة والسلام فى الخامسة والعشرين من عمره، وكانت هى فى الأربعين من عمرها وسبق لها أن تزوجت مرتين.

كانت السيدة خديجة بالاضافة إلى ثرائها تتحلى بصفات حميدة قل أن يجدها المرءُ في غيرها ، فهي ذات شخصية جذابة وذات حسب ونسب وهي

ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي ، وقصي الجد الرابع للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا طمع الكثيرون في الزواج منها .

أرسلت السيدة خديجة خادمها ميسرة ليستطلع رأى الرسول فى الزواج منها فأبدى رغبة فى ذلك وقام أبـو طالب بإجراءات الزواج. كانت السيـدة خديجة أولى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ولدت له من الأولاد: القاسم والطيب (عبد الله).

ومن البنات : رقية وزينب وأُم كلثـوم وفاطمـة. وكان عليـه الصلاة والسلام يكنى بأبى القاسم.

وقد أسهمت السيدة خديجة رضى الله عنهـا بكل قـواها فى مسـاعدة زوجها فى مهمته التى بعثه الله بها.

أصالة رأيه عليه الصلاة والسلام وحادثة الحجر الأسود :

· لما تداعت جوانب الكعبة رأت قريش هدمها وبناءها من جديد، واستمر البناءُ حتى بلغ موقع الحجر الأسود ، فاختلفت العشائر فيـمن يتـولى وضع الحجر الأسود في مكانه. وكاد الخلاف يؤدى إلى نزاع دموي . واتفقوا على الاحتكام لأول من يدخل عليهم وكان محمد عليه الصلاة والسلام أول داخل ، فرضى الكل به حكماً بينهم . فض الرسول عليه الصلاة والسلام الخلاف بأن وضع ثوباً ووضع الحجر في وسطه وكلف مندوبين عن العشائر لحمله بأطراف الثوب ، ووضع هو بيده الشريفة الحجر في مكانه .

تعبده وانفراده فى غار حراء :

لما رأى ما عليه الناس من انحراف عن الدين الحنيـف ،وحب للدنيا وانغماس فى الملاهى، مال إلى الوحدة إذ غرس الله فى قلبه حب التأمل فى مخلوقات الله وفى فضائه الواسع.وكان هذا التأمل يستغرق الساعات الطوال

من وقته يقضيها فى عزلة بغار حراء على سفح جبل النور، وهو على بعد خمسة كيلومترات من مكة شمال جبل عرفات.

كان يسأل الله فى عزلته أن يهدي الناس إلى سواءِ السبيل. وجعل الله هداية الناس إلى سبيل الحق وطريق الرشاد على يده،فنزل عليه الوحي وكلفه الله بحمل الرسالة السماوية رسالة الدعوة إلى الاسلام.

واجب

أسئلة وتطبيقات على الباب الثانى

١ - اذكر نسب الرسول عليه الصلاة والسلام حتى قصي.

٢ - اسرد قصة رضاع حليمة السعدية له صلى الله عليه وسلم.

٣ - ما هى الصفات التى امتاز بها محمد صلى الله عليه وسلم فى طفولته على غيره من الأطفال؟

٤ - اسرد حادثة تدل على محبة عبد المطلب لحفيده محمد عليه الصلاة والسلام.

٥ - كفل أبو طالب محمداً بعد وفاة جده عبد المطلب. لماذا؟

٦ - اذكر حادثة الراهب بحيرا مع محمد صلى الله عليه وسلم.

٧ - ما هى صفاته عليه السلام في وقت شبابه؟

٨ - أصبح محمد صلى الله عليه وسلم رب أسرة. كيف تم ذلك؟

٩ - حادثة الحجر الأسود تدل بوضوح على أصالة رأيه صلى الله عليه وسلم. اذكر تلك الحادثة

١٠ ــ علل لما يأتي:

(أ) حرص حليمة السعدية على إبقاء سيدنا محمد ﷺ لديها بعد أن بلغ الثانية من عمره.

(ب) إعادة حليمة السعدية سيدنا محمد ﷺ إلى أمه وهو في الرابعة من عمره.

(جـ) تسمية سيدنا محمد ﷺ قبل بعثته « بالأمين ».

(د) عرض السيدة خديجة الزواج على سيدنا محمد ﷺ.

١١ ــ اكتب مذكرات تاريخية فيما يأتي:

بصرى ــ إعادة بناء الكعبة ــ غار حراء.

الباب الثالث

العهد المكي

الفصل الأول : بعثة الرسول ﷺ

كان الرسول عليه الصلاة والسلام ينعزل فى غار حراء متعبداً على دين جده إبراهيم الخليل عليه السلام قبل أن يبعث .

وهنا فى غار حراء، فى اليوم الخامس والعشرين أو السابع والعشرين أو التاسع والعشرين من شهر رمضان الموافق ١٥ أو ١٧ أو ١٩ يناير (كانون الثانى) نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : «اقرأ» ويجيبه محمد عليه الصلاة والسلام : «ما أنا بقارىء» وسيدنا جبريل عليه السلام «حامل الوحي » يكرر ذلك ثلاثاً ويتلقى الإجابة نفسها ، وأخيراً قال جبريل عليه السلام :

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (١)

وهنا قرأ الرسول عليه الصلاة والسلام ما قرأه عليه جبريل عليه السلام . فكانت هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت الليلة التى نزلت فيها هى ليلة القدر التى فضلها الله على سائر الليالى فقال جل من قائل:

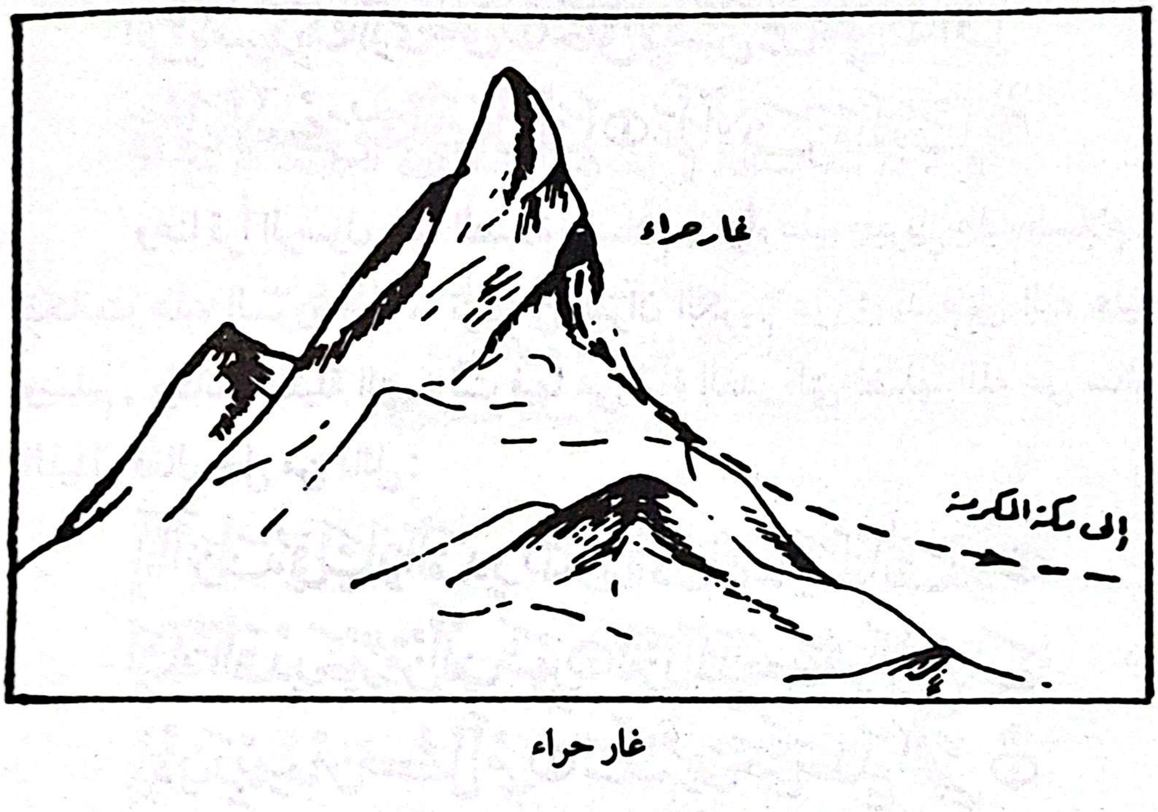
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ (٢)

---

(١) سورة العلق، الآيات ١ ـ ٥ .

(٢) سورة القدر.

لقد أخذ الخوف والرعب من سيدنا محمد عليه الصلاة كل مأخذ من رهبة الموقف وما كاد يصل إلى بيته حتى قال لأهله: «دثروني. دثروني» ولما هدأ روعه سألته زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها - وقد تملكها الفزع - عما جرى له، فقص عليها الأمر، فقالت له «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر» ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وأشعرته بالأمر، وكان ملماً بالنصرانية وعالماً بالنصوص المقدسة السابقة فقال ورقة: « هذا الناموس الذي جاء موسى بن عمران »(١).



غار حراء

(١) كما جاء في الصحيحين.

الفصل الثاني
الدعوة إلى الاسلام

شهدت الدعوة إلى الاسلام، عهدين رئيسيين هما :

العهد المكي، وهى المدة التى قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى نشر الدعوة بمكة مستعملا كل وسائل الإقناع ومتحملاً الأذى فى سبيلها.

والعهد المدنى، وهى المدة التى قضاها عليه الصلاة والسلام فى المدينة، وتسلم فيها زمام المبادرة والقوة عندما فرض الله الجهاد فى سبيل الدعوة إلى الإسلام.

مرت الدعوة إلى الإسلام فى العهد المكى بالمراحل الآتية:

أولا ـ الدعوة سراً :

لما عاد عليه الصلاة والسلام من الغار إلى بيته، بعد أن تلقى أمر الله عز وجل، أخبر زوجته بالأمر ودعاها إلى ما أُمر به فكانت أول من أسلم بدعوته. وأخذت تخفف عنه كل كرب وشدة،فكان من موقفها هذا ما قوّى فى نفسه عليه الصلاة والسلام الثقة والعزيمة، كما أسلمت معها بناته.

هكذا بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام دعوته على نطاق أهل بيته بادئ ذي بدء، وعلم أن دعوته ستلقى معارضة شديدة من أهل مكة لما اعتادوا عليه من عادات وتقاليد موروثة،ولما ساروا عليه من ديانات آبائهم وأجدادهم. لذا صمم على مواصلة السير بالدعوة سرًّا،فدعا المقربين إليه من أقاربه وأصدقائه. أسلم ابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعمره آنذاك عشر سنوات، فكان أول من أسلم من الأولاد. كما آمن به أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وهو من زعماء قريش ، فكان أول من أسلم من الرجال ، وآمن به مولاه زيد بن حارثة ، فكان أول من أسلم من الموالى ، وأسلمت جاريته أم أيمن فكانت أول من أسلم من الجواري . ثم توسع نطاق نشر الدعوة وبشكل سرّي، وكان لأبي بكر رضي الله عنه أثر في ذلك لمساندته للرسول عليه الصلاة والسلام . أسلم من أشراف قريش خمسة عشر رجلاً من بينهم : عثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير ابن العوام ، وجعفر بن أبي طالب ، وأبو عبيدة عامر الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم الذي اتخذ بيته مقراً للدعوة السرية إلى الإسلام . تم كل هذا ولا تزال الدعوة سرّية،ولما سمعت حليمة السعدية وزوجها بالأمر جاءا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلما . وكامتداد لهذه الدعوة امتثل الرسول عليه الصلاة والسلام لأمر ربه :

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾(1)

وهنا تبدأ المرحلةَ الثانيةَ من الدعوة

ثانياً ـ الدعوة جهراً :

بدأت هذه المرحلة الجهريّة في شكل دعوة عامة عندما نزل قوله تعالى :

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾(2)

فانطلق الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو للإسلام جهراً جميع طبقات الناس : يدعو السادة والعبيد، ويدعو الأقربين والغرباء. وكان أول عمل قام به أن خرج وصعد إلى جبل «الصفا» ونادى بأعلى صوته «ياصباحاه» فتجمع الناس حوله فقال صلى الله عليه وسلم «يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر يا بنى كعب

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤

أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا نعم، قال صلى الله عليه وسلم «فإني نذيـر لكم بين يدي عذاب شديد». فسكت القوم ولكن أبا لهب قال «تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا»

إيذاء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم ومقاومته لهم :

بدأت مقاومة قريش لهذا الدين للأسباب الآتية فى اعتقادهم :

١ ـ اعتقاد رجالات قريش أن هذا الدين سيفقدهم زعامتهم ويحصرها فى بنى عبد المطلب.

٢ ـ إن هذا الدين ساوى بين السادة والعبيد وهذا ما لا يرضون عنه.

٣ ـ شعورهم بالفزع من البعث فى الآخرة والذى فيه يعاقب الكافرون على ما اكتسبوا.

٤ ـ رسوخ عبادة الأصنام لديهم، فأى تغيير يُضِرُّ بِهِم ـ على حد زعمهم ـ كما يقلل من أرباحهم التي كانوا يجنونها من وراء بيعهم الأَصنام .

من أجل هذا كانت مقاومة قريش للدين الإسلامي ، وإيذاؤُهم للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحبه. ونستعرض معك مراحل هذا المقاومة، وكيف جابهها الرسول عليه الصلاة والسلام هو وصحبه:

المرحلة الأولى :

أخذ المشركون يسخرون من الرسول عليه الصلاة والسلام، ويتهمونه بالسحر، ويشيعون ذلك بين السكان والحجاج، والرسول يدحض أقوالهم ويسفه آراءهم. لما رأى المشركون استمرار الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته، عرضوا على عمّه أبي طالب أن يحمل ابن أخيه على ترك ما جاءَ به، وإن

لم يفلح فالحرب واقعة بينهم وبين بنى عبد المطلب. لكن هذا العرض لم يثمر إذ استمر الرسول عليه صلوات الله وسلامه في دعوته للإسلام ، واستمر في ذهابه إلى الكعبة والطواف حولها، والصلاة فيها، والدعوة إلى الاسلام بين الناس بمختلف طبقاتهم.

المرحلة الثانية :

تجاوز إيذاء قريش للرسول عليه الصلاة والسلام في هذه المرحلة طور الكلام والمفاوضة، فألقوا عليه الأذى وهو يصلي، وألقى أبو لهب وزوجته الشوك في طريقه ، وألقى آخرون الأوساخ على بيته . كل هذا يحدث والرسول ﷺ على ما هو عليه من صبر وتحمل واستمرار في نشر الدعوة التي آمن بها الكثيرون من العبيد،لأنهم رأوا فى هذا الدين ما يعتقهم من عبوديتهم وما يساويهم بأسيادهم: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

إسلام حمزة :

أسلم حمزة عم النبى ،وبإسلامه تطور الموقف فقد كان حمزة رضى الله عنه من أشد رجالات قريش وأقواهم شخصية وشكيمة ،وبإسلامه دب اليأس فى قلوب المشركين.

المرحلة الثالثة :

وهى أكثر المراحل أحداثاً، وفيها عمدت قريش بعد إسلام حمزة إلى تقديم العروض للرسول عليه الصلاة والسلام بالكف عن الدعوة، ولكن كل عروضهم باءت بالفشل. حينئذ اشتد إيذاء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم ولصحبه الكرام . وكادت تقع معركة بين الطرفين عندما ضرب حمزة عم النبى أبا جهل لما أخذ يكيل الشتائم للرسول عليه الصلاة والسلام.

صب المشركون جام غضبهم وصنوف التعذيب على عبيدهم الذين إعتنقوا الإسلام،وتفننوا في إيذائهم لما لهم من سيادة عليهم،ومن هؤلاء بلال بن رباح، وعمار بن ياسر، ولم ينقذ بلالاً من تعذيب سيده - أمية بن خلف - إلا أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذ أنه اشتراه من أمية وخلّصه مما كان يلاقى من تعذيب وأعتقه لوجه الله تعالى. ولقد لقى الكثيرون من المسلمين غير هؤلاءِ الأذى من المشركين.

لما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما حل بالمسلمين من أذى يوقعه بهم المشركون من قريش أراد أن ينقذهم مما يلاقون فنصحهم بالهجرة إلى الحبشة

الهجرة إلى الحبشة :

فضل الرسول صلى الله عليه وسلم هجرة المسلمين إلى الحبشة دون غيرها من البلدان، لأن سكانها يدينون بالمسيحية، وفيها ملك عرف عنه التسامح وأنه لا يظلم أحداً. لم ينصحهم بالهجرة إلى اليمن حيث كانت خاضعة للفرس الذين لا يعتنقون ديناً سماوياً، ولم ينصح بالهجرة إلي الشام لأن لقريش علاقات تجارية متينة معها

هاجر إلى الحبشة فى بادئ الأمر ركب يضم ستة عشر مسلماً من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم لحق بهم عدد آخر من المهاجرين حتى بلغوا جميعاً (٨٣) ثلاثة وثمانين مهاجراً منهم (١٨) ثماني عشرة امرأة، ومن بين هؤلاء المهاجرين الزبير بن العوَّام، وعبد الرحمن بن عوف، وجعفر بن أبي طالب وغيرهم.

رحّب النجاشى ملك الحبشة بالمهاجرين المسلمين جميعاً وأكرم مثواهم، وهنا ثارت ثائرة المشركين فأرسلوا وفداً يحمل الهدايا إلى النجاشى ليطلب إليه رد المهاجرين إلى ديارهم بحجة أن هؤلاءِ - على حد زعمهم - سيثيرون الفتن

والقلاقل في الحبشة كما أثاروها في الحجاز . ولكن النجاشي رد وفد قريش بهداياه على أعقابه خائباً لمَّا تأكد من نوايا المهاجرين وما هم عليه من طيب الخلق والتسامح ، وأن ما آمنوا به هو الحق الذي بشَّر به عيسى عليه السلام .

إسلام عمر :

زاد سخط مشركى قريش على المسلمين وأمعنوا فى إيذائهم، ولكن فى تلك الأثناء أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وجاهر بعبادة الله إذ أخذ يصلي بين الحجر الأسود والركن اليمانى، فتبعه عدد من المسلمين . وبإسلام عمر قَوِىَ مركز المسلمين[1] وعاد كثير من المهاجرين من الحبشة إلى موطنهم مكة . وهنا وقعت قريش فى حيرة من أمرها لمجاهرة كثير من المسلمين بإسلامهم، فاجتمع زعماؤها ووقعوا بينهم وثيقة تنص على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب وعلَّقوها فى الكعبة .

الحصار فى الشِّعْب :

تم الاتفاق الآنف الذكر وحوصر بنو هاشم وبنو المطلب فى شعب أبى طالب خارج مكة وقاطعهم المشركون: فلا يتصلون بهم، ولا يبيعونهم شيئاً، ولا يشترون منهم شيئاً، وأُغلقت أبواب الأسواق فى وجوههم. تضايق المحاصرون فى الشعب كثيراً ونفدت مؤنهم حتى أكلوا ورق الشجر، ولو لا ما كان يمدهم به بعض الناس سراً من زاد لمات منهم خلق كثير جوعاً. ولكن العقلاء من المشركين والذين لم يكونوا راضين عن هذا التصرف أخذوا يتشاورون فيما بينهم لفك الحصار، الذي استمر مدة ثلاث سنوات، لا سيما لما رأوا أن الديدان «الأَرَضَة» قد أكلت الوثيقة وألحقت بها التلف إلا باسمك اللهم، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر عمه أبا طالب بذلك،

---

(١) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين يعنى عمرو ابن هشام «أبا جهل» وعمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ومزقت الصحيفة وبطل ما فيها وفك الحصار وعاد المحاصرون إلى بيوتهم بعد فترة طويلة من هجرهم لها.

وفاة السيدة خديجة ووفاة أبى طالب:

فى تلك الفترة، وهى فترة الانتعاش تأثر المسلمون وعلى رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم لوفاة السيدة خديجة رضى الله عنها، فقد كانت لها مكانة عالية فى نفس الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن وفاة أبي طالب قبل ذلك بثلاثة أيام، وهو الذى كان يدافع عن ابن أخيه فى كل مناسبة، حزت فى نفس الرسول عليه الصلاة والسلام كثيراً لأنه كان يدعوه باستمرار للإيمان ولكن أبا طالب مع رغبته فى الإيمان، كان يتردد خشية أن يُعَيِّره كفار قريش، فمات على الكفر . وقد سمي العام الذي توفيت فيه السيدة خديجة رضي الله عنها وأبو طالب عم النبي ﷺ بعام الحزن ، فقد حزن صلوات الله عليه لموتهما حزناً شديداً .

على إثر موتهما وجد الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه فى موقف يتطلب منه نشر الدعوة الإسلامية فى بلد آخر غير مكة فخرج إلى الطائف.

خروج الرسول إلى الطائف وما لاقاه فيها من أذى:

ذهب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، وفور وصولهما إليها عمدا إلى حيث كان يجتمع سادة ثقيف، فجلس إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأَخذ يخاطبهم فى الأمر الذى جاءَ من أَجله، وهو دعوتهم إلى الإسلام والوقوف إلى جانبه، ولكن تصدى له ثلاثة إخوة من أَشرافهم وقاطعوه وهو يتحدث، وكذَّبوه وأثاروا الحاضرين ضد دعوته.

واندفع الدهماءُ الذين كانوا يحيطون بمكان الاجتماع فى الصراخ والسب. فما كان من الرسول ﷺ إلّا أن عزم على الرجوع إلى مكة ، ولكن ثقيفاً لم تتركه وشأنه إذ أوعزت إلى الصبية والعبيد والسفهاء أن يلحقوا به وبزيد ويؤذوهما وهما فى طريق العودة إلى مكة، فضربوهما بالحجارة فى أقدامهما حتى سال منها

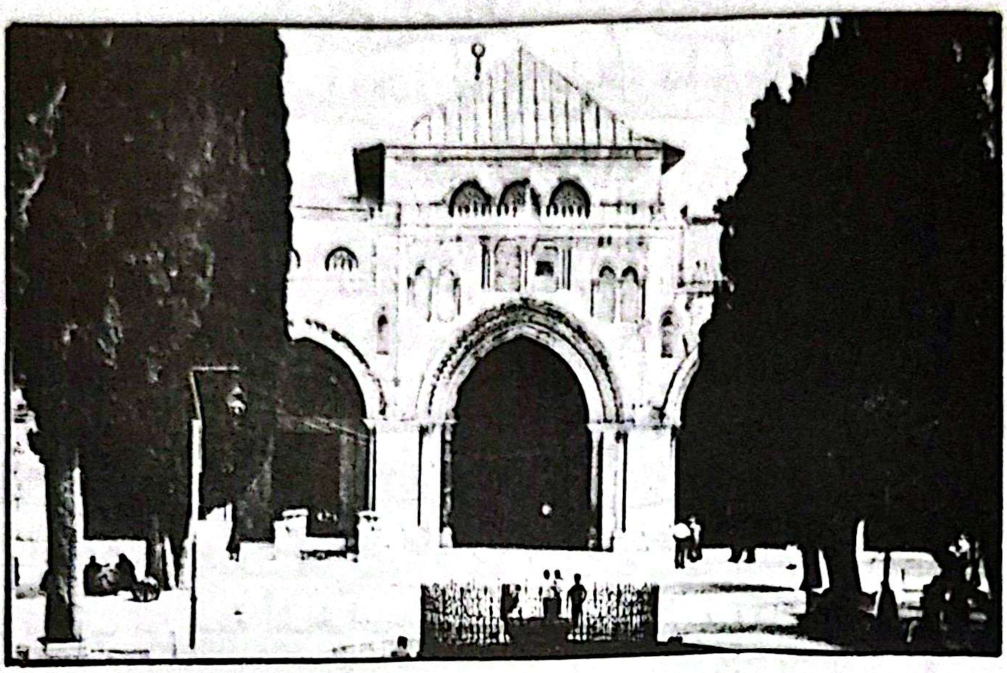
الدم، ولم ينجهما من هذا الموقف إلاَّ وصولهما إلى بستان له سور ودخولهما فيه حيث سقطا تحت شجرة مغمًى عليهما من شدة الإعياءِ. لما رأى صاحب البستان ذلك الموقف أمر عبيده أن يردوا الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم، وعن زيد بن حارثة وأطعمهما من عنب البستان ونالا قسطاً من الراحة ثمّ واصلا سيرهما إلى مكة.

وفى الطريق أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر فى صعوبة موقفه لدى وصوله إلى مكة، فبعث زيد إلى مكة ليستنجد ببعض ذوى النفوذ ليحولوا دون مهاجمة قريش له عند وصوله. لبى الطلب المطعم بن عدى وخرج مسلحاً هو وأهل بيته والتقوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وأتوا معه إلى الكعبة حيث طاف بها سبعاً وعاد إلى بيته.

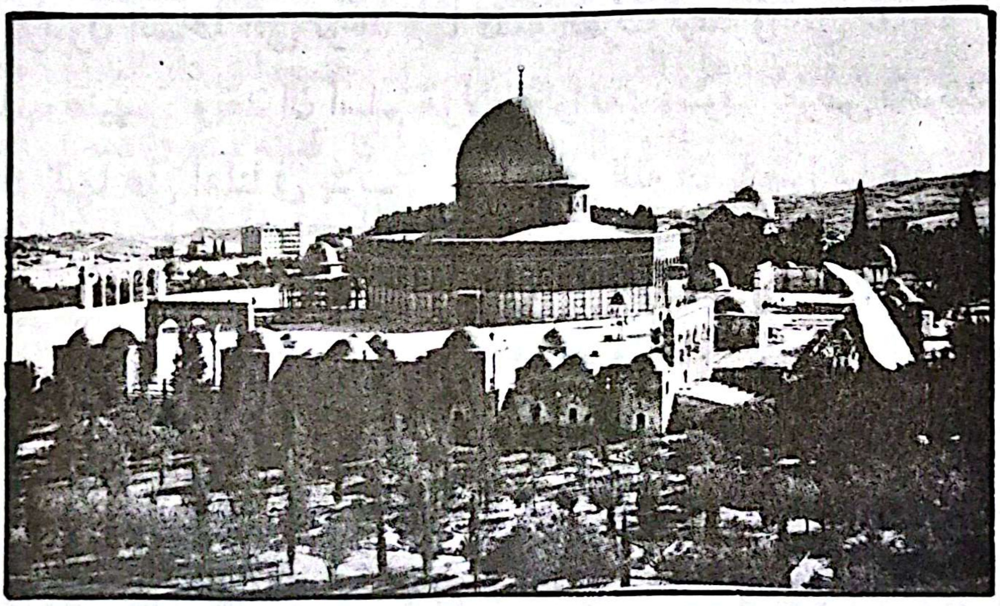
حادث الإسراء والمعراج

بعد هذه الفترة الحرجة العصيبة كانت حادثتا الإسراء والمعراج، إذ أُسْرِىَ به صلى الله عليه وسلم ليلاً من المسجد الحرام فى مكة إلى المسجد الأقصى بالقدس، ومن هناك عرج إلى السماءِ حتى أصبح قاب قوسين أو أدنى من الحضرة الإلهية.

أَخذ أَبو جهل وغيره من المشركين يندِدون بالرسول صلى الله عليه وسلم ويكذبونه لما قصَّ عليهم نبأَ الإسراء والمعراج، وأَن الله فرض على الناس الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة. ولكن أَبا بكر الصديق رضى الله عنه تصدى لأبي جهل ومن معه،وأَيَّد بكل قوة رواية الرسول صلى الله عليه وسلم فى الإسراءِ والمعراج.



المسجد الاقصى



مسجد الصخرة

الفصـل الثالث

اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبائل

قرّر الرسول صلى الله عليه وسلم عرض الدعوة إلى الاسلام على حجاج القبائل العربية القادمين إلى مكة فى موسم الحج. وفعلاً نفذ قراره هذا وكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية.

بيعتا العقبة الأولى والثانية وانتشار الإسلام في المدينة:

اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء دعوته للقبائل الوافدة إلى مكة برهط مؤلف من ستة أشخـاص عند العقبـة الأولى، وكان هؤلاء من أهـل يثرب، فجلسوا إلى جانبه وأخذ يتحدث إليهم عن الاسـلام. وحدَّثـوه عن الأوضاع فى بلدتهم يثرب، وشرحوا له النزاع القائم بين الأوس والخزرج، كما شرحوا له أوضاع اليهود، وما يقومون به من تفرقة بين السكان. وأوضحوا له أنهم يترقبون الساعة التى توحّد فيها كلمة العرب ليقدروا على مقاومة اليهود والتغلب عليهم. وبعد أن أَسلم هؤلاءِ قالوا له: «سوف نعرض دعوتك التى أجبناك إليها على أهلنا فى يثرب، وإننا لنرجو الله أن يؤمنوا بها فتكـون أعز الناس عندهم».

برّ المسلمون من أهـل يثرب بـوعدهم وأخـذوا يبشرون للإسلام فى بلدهم، حتى إذا كان العام التالي وكان العام الثاني عشر للبعثة جاءَ إلى الحج اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، عشرة منهم من الخزرج واثنان من الأوس والتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة وأسلموا معه وبايعوه بألّا يشركوا بالله شيئاً وأن يأتمروا بما أمر الله، وأن ينتهوا عما نهى عنه. فكانت هذه هى بيعة العقبة الأولى سنة ٦٢١ م. وقد أرسل عليـه الصلاة والسـلام مع المبـايعين

مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن وليفقههم فى الدين.

ولما كانت السنة التالية لبيعة العقبة الأولى وهي السنة الثالثة عشرة للبعثة، جاء خمسة وسبعون شخصاً من أهل يثرب إلى مكة واجتمعوا بالرسول ﷺ وبايعوه بأنه نبيهم، ودعوه للهجرة إلى يثرب، ووعدوه بأنهم سينصرونه نصراً مؤزراً، وأنهم سيسيرون فى الطريق التى يرسمها لهم مضحين بكل غال ورخيص من أجل نصرته (وقد حضر العباس عم النبى - ولم يكن أعلن إسلامه آنذاك - هذا العرض من الأوس والخزرج). ولما تمت بيعة العقبة الثانية أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل على تنفيذها، فأمر أتباعه بالهجرة إلى يثرب على دفعات حتى لا يشعر بهم المشركون فيكيدوا لهم. امتثل المسلمون لأمر النبى عليه الصلاة والسلام ولم يبق معه منهم فى مكة سوى أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وقليلين غيرهما.

مؤامرة دار الندوة وهجرة الرسول إلى يثرب:

لما شعرت قريش بهجرة المسلمين إلى يثرب تملكهم الغضب، واستولى عليهم القلق، فعزموا على القيام بأمر حاسم إذ اجتمعوا فى دار الندوة، وقرروا قتل الرسول على أن يشترك فى القتل شاب من كل قبيلة فيتفرق دمه فى القبائل جميعها، ولا يقوى بنو هاشم على قتال تلك القبائل مجتمعة فلا يكون أمامهم غير قبول الدية. قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾(١)

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠

ولما أوحى الله عز وجل إلى رسوله الكريم أن القوم قد أجمعوا له الكيد، وأنهم يتربصون به، وأن الله سيحفظه من مكرهم، توجه عليه الصلاة والسلام فوراً إلى أبي بكر الصديق وقال له: «يا أبا بكر إن الله قد أذن لي فى الخروج والهجرة». وابتهج أبو بكر وطلب من الرسول الصحبة فوافق عليه الصلاة والسلام وتواعدا على الخروج عند الثلث الأول من الليل وازداد فرح الصديق رضى الله عنه وراح يهيىء الراحلتين.

عاد الرسول الكريم إلى داره وهو يعلم أن المشركين يتربصون به وينتظرون ساعة خروجه. أمر عليه الصلاة والسلام عَلِيَّ بن أبى طالب أن ينام فى فراشه ففعل على، وخرج الرسول الأمين من بيته والمتآمرون يحيطون بداره ويطوقونها انتظاراً لساعة خروجه ولكن الله أعمى أبصارهم فلم يروه(١) وتوجه إلى دار أبى بكر الصديق وخرجا معاً إلى غار ثور - وهو غار فى جبل ثور القريب من مكة - وهناك كمنا فيه.

أصبح الصبح واكتشف المشركون أنهم كانوا يحرسون عليًّا الذى نام فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم وطار لبهم وضل تدبيرهم وفشلت مؤامراتهم. لم يقدروا على أن يمسوا عليًّا بسوءٍ، وأسرعوا يقتفون آثار النبى حتى غار ثور، ولما بان لهم أن الغار مهجور تركوه وباءت جهودهم بالفشل.

مكث الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام، وجاءهما عبد الله بن الأريقط بالراحلتين فتوجها إلى يثرب.

أما المشركون فقد عادوا إلى مكة وأعلنوا عن جائزة قدرها مائة ناقة لمن يعثر على الرسول وصاحبه، فتقدم سراقة بن مالك وركب فرسه وسار فى أثرهما على الطريق الساحلى.

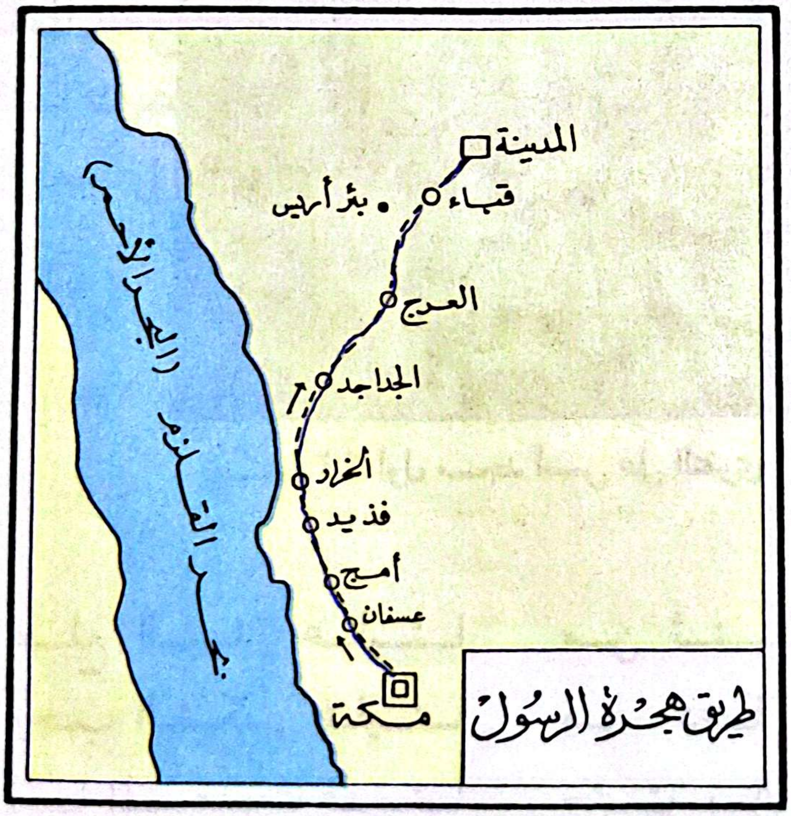
---

(١) خرج الرسول ﷺ من بيته وألقى على المتآمرين حفنة من التراب وتلا قوله تعالى « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ».

ولما كاد يلحق بهما دعا محمد عليه الصلاة والسلام على سراقة ، فغاصت قوائم فرسه فى الأرض وأدرك أنه لا محالة هالك ، فاستغاث بالرسول واستنصر ، على ألا يخبر المشركين بما رأى . ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم وتخلصت قوائم فرسه ، فأسلم وعاد إلى مكة وأشعر الكفار بأنه لم يجد أثراً للرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه .

وصول الرسول إلى يثرب :

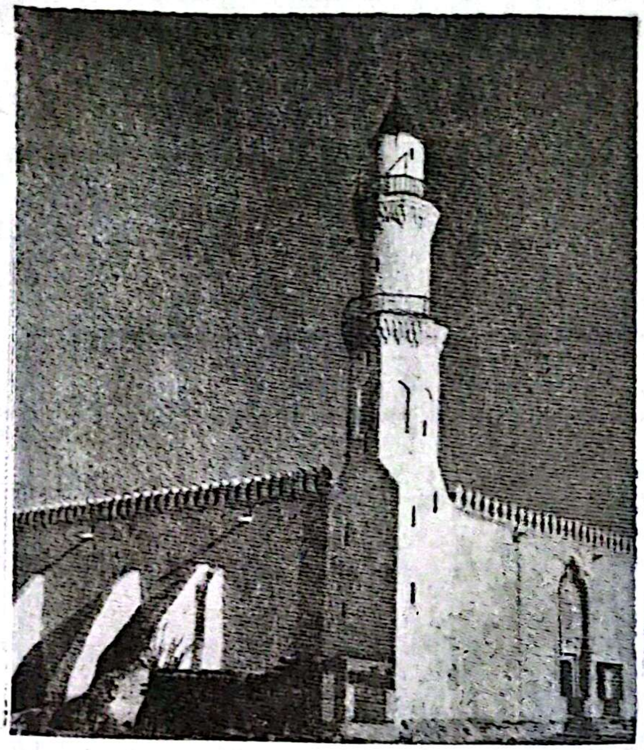
واصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق سيرهما حتى وصلا قباء فى ٢٨ يونيو (حزيران) سنة ٦٢٢ م فاستقبله الناس هناك بالترحاب والسرور ومكث فى قباء ثلاثة أيام ، ووضع خلالها أساس أول مسجد فى الإسلام .



خريطة رقم (١٧)

لحق عليٌ بن أبي طالب بالرسول صلى الله عليه وسلم فى قباء بعد أن قام بالمهمة التى كلفه بها فى مكة ، وهى توزيع الأمانات التى كانت عند الرسول صلى الله عليه وسلم وردها إلى أصحابها المشركين الذين كانوا يودعونها عنده لأمانته رغم عدم إيمانهم بدعوة الإسلام .

تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه نحو يثرب في صباح الجمعة ، ووصلها في اليوم نفسه الذي خرجت فيه يثرب رجالاً ونساءً لاستقباله عليه الصلاة والسلام بالبهجة وهم ينشدون :



مسجد قباء أول مسجد أسس على التقوى

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

وبركت ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام فى قطعة أرض لبنى النجار، فنزل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين». وبنى فى تلك البقعة مسجده ومنزله وقد سمى عليه الصلاة والسلام من جاء من مكة من المسلمين «المهاجرين»، وسمى من أسلم من أهل المدينة «الأنصار». كما أطلق على يثرب اسم «مدينة الرسول» ونعتت بالمنورة لأنها أنارت بالإسلام وبمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم.

هكذا انتقل الرسول عليه الصلاة والسلام من مسقط رأسه فى مكة إلى مقره الجديد فى المدينة المنورة، وانطلق منها مجاهداً فى سبيل الله وبدأ العهد المدني، عهد الكفاح المسلح امتثالاً لأمر الله تعالى.

وقد بدأ التنظيم السياسى للدولة الإسلامية فى هذا العهد، فأرسى قواعدها ومبادئها الرسول عليه الصلاة والسلام. ولما للهجرة من أهمية فى التاريخ الإسلامي السياسى والحضارى فقد اعتبرت مبدأ تأريخ عند المسلمين، فمنذ هجرة الرسول أخذوا يؤرخون بالتاريخ الهجرى إذ اعتبرت السنة التى وصل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة السنة الأولى للهجرة.

الرهنا

أسئلة وتطبيقات على الباب الثالث

١ ــ ما أول سورة نزلت من القرآن الكريم ؟ وفي أي ليلة كان نزولها ؟
٢ ــ كيف هدأ روع السيدة خديجة لما عاد الرسول ﷺ مرتعشاً من نزول الوحي ؟ .
٣ ــ شهدت الدعوة إلى الإسلام عهدين رئيسيين ــ هما : . . . . . و . . . . . .
٤ ــ بدأ الرسول بدعوة أهل بيته وأصحابه إلى الإسلام . اذكر أسماء الذين آمنوا به منذ البداية
٥ ــ لماذا بدأ النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام سراً ؟ .
٦ ــ اذكر الآية الكريمة التي نصتّ على بدء الجهر بالدعوة . وكيف بدأ الرسول ﷺ دعوته الجهرية ؟ .
٧ ــ لاقى العبيد أذى بالغاً على أيدي كفّار قريش . اذكر أمثلة لذلك .
٨ ــ إلى أي بلد كانت الهجرة الأولى للمسلمين ؟ وما هو الأثر الذي تركته تلك الهجرة في المشركين ؟ .
٩ ــ كيف تمّت محاصرة بني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب ؟ وكيف انتهت ؟
١٠ ــ ما موقف قبيلة ثقيف من الرسول ﷺ ؟ .
١١ ــ استغل الكفّار الإسراء والمعراج للتنديد بأقوال الرسول . كيف كان ذلك ؟
١٢ ــ تحدث عن بيعتي العقبة .
١٣ ــ كيف خططت مؤامرة دار الندوة ؟ وكيف فشلت ؟ .
١٤ ــ صف رحلة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يثرب ، وموقف أهل المدينة من الرسول لدى وصوله إليهم .
١٥ ــ علل لما يأتي :

(أ) تفضيل الرسول علية الصلاة والسلام الحبشة على غيرها لهجرة المسلمين إليها .
(ب) مقاومة قريش لدعوة الإسلام .
(جـ) عودة بعض المهاجرين من الحبشة .
(د) قيام المشركين بحصار ومقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب.

١٦ ــ اكتب مذكرات تاريخية موجزة فيما يأتي :
الأرقم ــ المطعم بن عدي ــ عام الحزن ــ غار ثور ــ سراقة بن مالك .

واجب واجب

الباب الرابع
العهـــد المـدني

الفصل الأول : انتشار الإسلام وتحويل القبلة

وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من أجل مواصلة العمل لنشر الدعوة إلى الإسلام ، وكان الإسلام قد بدأ فى الانتشار على يد أُولئك النفر الذين التقوا بالرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة عندما تمت بيعتا العقبة الأولى والثانية قبل هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.

وأول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة هو أنه جمع المسلمين فى مكان واحد وتحت سقف واحد ليؤدوا شعائرهم الدينية فى جماعة لأن هذا التجمع يقرب بين المسلمين، ويؤلف بين قلوبهم، فهم أحوج ما يكونون إلى هذا التجمع والتآلف والاتحاد لإزالة أسباب الفرقة. وبدأ صلى الله عليه وسلم فى بناءِ المسجد حيث أناخت راحلته ووضع الحجر الأساسى بيده الكريمة، وتلاه أبو بكر وعمر فوضع كل منهم حجراً بجانب حجر الرسول، واقتدى بهم أشراف المسلمين. واستمر البناءُ والرسول عليه الصلاة والسلام يشرف بنفسه عليه ، وتمّ بناء الجدران ، وسقف البناء بجذوع النخل والسعف والجريد وغطى بطبقة من الطين.

هكذا انتهى بناءُ المسجد الذى كان طوله مائة ذراع وعرضه ما يقرب من ذلك وارتفاعه سبعة أذرع. وكان له ثلاثةأبواب عرف أكبرها بباب الرحمة. وأُقيم فى المسجد منبر من جذوع النخل يعتليه محمد صلى الله عليه وسلم وقت الخطبة. وبنى عليه الصلاة والسلام منزله ملاصقاً للمسجد.

بدأ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتآخي الأنصار والمهاجرين فور

وصوله إلى المدينة، إذ سمح للأنصار باستضافة المهاجرين فى بيوتهم، وذلك معنى واضح وطريق صحيح لإيجاد التفاهم والتآخى بين المهاجرين والأنصار.

لقد كان لبناء المسجد والتقاء المسلمين فيه لأداء صلاة الجماعة، ولاستضافة الانصار للمهاجرين، وقيام الرسول بإجراء عملية التآخى بين كل أنصارى ومهاجر - أثر كبير فى ربط أفراد المجتمع الإسلامى فى المدينة بأمتن الروابط وأوثقها وإزالة الفرقة بين الأوس والخزرج.

وحتى يأمن الرسول عليه الصلاة والسلام شر الفئات غير المسلمة، التي تشمل اليهود وغيرهم، عقد معاهدة بين المسلمين وبينهم، أمّنهم فيها على أموالهم ودياناتهم شريطة أن يتعاونوا معه فى الحرب مادياً وأدبياً.

القِبلة :

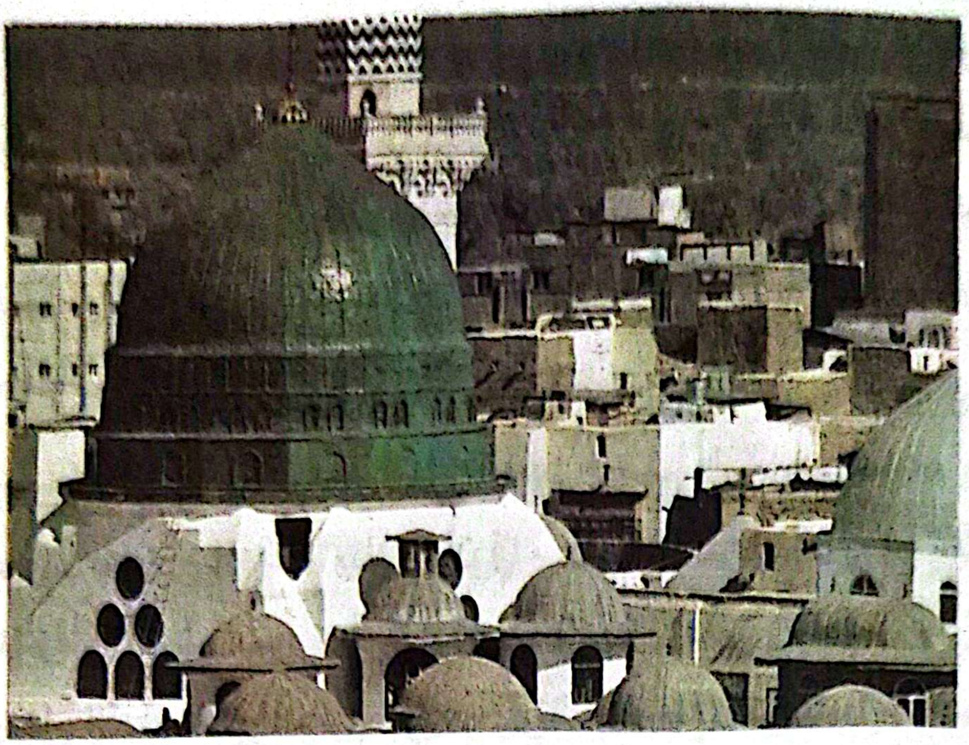
لما بنى الرسول عليه الصلاة والسلام مسجده وجد أنه من دواعى اتحاد القلوب والأهداف، اتجاه الجميع لجهة واحدة معينة عند الصلاة. لذا حدّد مكان الاتجاه فى مسجده عند منتصف جداره الشمالى حيث الاتجاه إلى بيت المقدس الواقع إلى الشمال من المدينة. وأصبحت القدس أول قبلة اتجه المسلمون إليها عند صلاتهم.

استمرت قبلة المسلمين تجاه بيت المقدس حتى نزلت الآية الكريمة:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(1)

---

(1) سورة البقرة، الآية ١٤٤



الحرم النبوى بالمدينة المنورة

وبنزول هذه الآية الكريمة تحولت القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة - إلى المسجد الحرام - إلى الكعبة المشرفة التى صارت قبلة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

بعد هذا أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يعمق جذور الإسلام بتعليم الناس أركان هذا الدين القويم والتي هي: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً». وأخذ فى تبصيرهم بالحلال والحرام والتشريع الإسلامى، وزرع الثقة والعزة فى نفوسهم، وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف. وفى هذا الوقت نزلت آيات الجهاد فى سبيل الله: بسم الله الرحمان الرحيم

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من تهيئة المسلمين لتنفيذ الخطوات التي تلت هجرته إلى المدينة في فترة وجيزة. فأخذ اليهود يحسبون لقوة المسلمين ألف حساب واستعملوا خططهم المعروفة في التفرقة بين صفوف المسلمين، بالرغم من المعاهدة التي بينهم وبين المسلمين، وقد تمكنوا بدهائهم ومكرهم من اجتذاب طائفة إليهم عرف أفرادها بالمنافقين.

وهكذا كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجابه خصومه، وهم اليهود والمنافقون في المدينة، والمشركون في مكة. كما كان عليه أن يعمم الدعوة الإسلامية في داخل الجزيرة العربية وخارجها وأن يؤسس دولة إسلامية قوية تخرج على العالم الذي كانت تتنازعه قوتان رئيسيتان آنذاك وهما الفرس والروم .

الفصـــل الثاني

الجهـــــاد

غزواته صلى الله عليه وسلم

غزوة بدر (السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة):

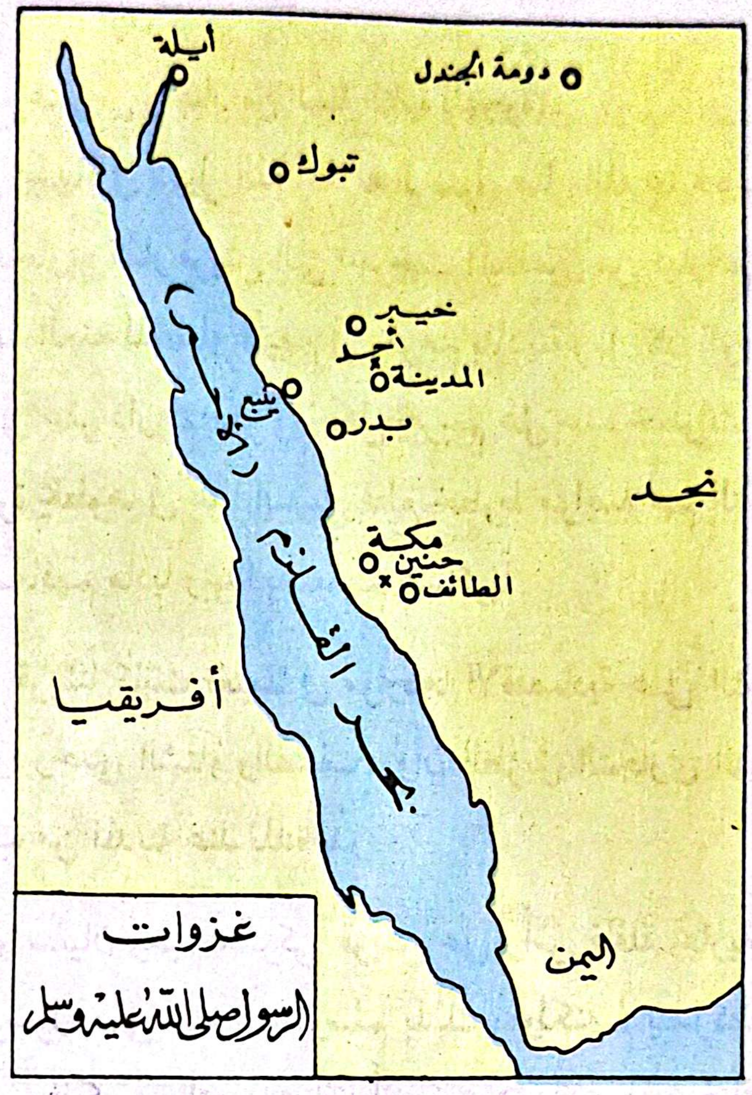
لما فرض الجهاد فى سبيل الله أعد له الرسول صلى الله عليه وسلم عدته ورأى أن يبدأ بمحاربة كفار قريش التى أخرجت المسلمين من ديارهم وأموالهم والتى أخذت تعد العدة للقضاءِ عليهم فى مقرهم بالمدينة ولما كان الوقت لم يحن بعد لمحاربتهم فى عقر دارهم فكر فى جعل حربهم على عدة خطوات ورأى أن تكون أول خطوة يخطوها فى هذا السبيل قطع خطوط مواصلاتهم التجارية مع بلاد الشام وإضعافهم مادياً وبهذا يضعفهم عسكرياً.

تعلم أن قريشاً كانت تعتمد فى مواردها الاقتصادية على التجارة مع اليمن والشام فى رحلتى الشتاءِ والصيف، وأن الطريق التجارى الذاهب إلى الشام يمر بالقرب من المدينة عند بلدة بدر.

ذهب أبو سفيان زعيم مشركى قريش على رأس قافلة تجارية إلى بلاد الشام وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكنه لم يدركها وهى فى طريقها للشام، ففكر فى التصدى لها أثناءَ عودتها محملة بمختلف أنواع البضائع.

خرج صلى الله عليه وسلم على رأس جيش قوامه ٣١٣ رجلاً (٧٣ من المهاجرين، و٢٤٠ من الأنصار) ومعهم سبعون بعيراً وأربعة خيول. ولما أحس اليهود بهذا الاستعداد أرسلوا إلى أبى سفيان من يخبره بعزم الرسول. ولما وصل الخبر إلى أبى سفيان بعث إلى قريش يستنفرها للمحافظة على أموالهم

وإنقاذ رجالها، فأعدت قريش جيشاً من تسعمائة وخمسين رجلاً ومائة فرس وسبعمائة جمل وخرجت لإنقاذ القافلة. ولم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام على علم بهذه الحملة عندما خرج ليتصدى لقافلة أبى سفيان.



خريطة رقم (١٨)

بعث أبو سفيان لقريش يستنفرها وغيّر خط سير القافلة فترك الطريق التجارى المعتاد، وسار بالقرب من الساحل فنجت قافلته. وأرسل إلى قريش يخبرهم بأنه نجا بقافلته ورجاله وأنه لا داعى لحملتهم التى طلبها، إلا أن زعماء قريش لم يرضوا بالرجوع،وصمموا على ملاقاة المسلمين،والاشتباك معهم فى

معركة لإضعافهم ولإظهار قوتهم فى المنطقة، فواصلت حملة قريش سيرها حتى وصلت إلى موقع بدر.

لما علم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالأمر ووجد أن العدو يفوقهم عُدَّة وعدداً، استشار رجاله فى أمر الاشتباك مع العدو أو الرجوع إلى المدينة، فالتهبت حماستهم ونذروا أرواحهم فى سبيل الله فقام المقداد بن عمرو وقال: «يا رسول امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى بِرْكِ الغِماد[1] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه». وقال قائل الأنصار سعد ابن معاذ: فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد... وإنا لصبر فى الحرب، صدق في اللقاء..» وأشرق وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين»[2]، «والله لكأني أنظر مصارع القوم!» وارتحلوا حتى نزلوا فى أرض صلبة يمر بها واد وفيها بئر ماء بدر، وكان المشركون يعسكرون فى أرض سبخة لا ماء فيها. وأمطرت السماءُ فكان ذلك رحمة على المسلمين مكنهم من اتخاذ موقع أدنى ماء من بدر، وكان المطر نقمة على المشركين فعطل سيرهم.

أجمع المسلمون على الثبات فى القتال واتخذوا مواقعهم وسوى الرسول صلى الله عليه وسلم صفوفهم وأمرهم بالبدءِ فى القتال عند سماع إشارته وعاد إلى العريش الذى بنوه له، وتضرع إلى الله واستنصره قائلاً: «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك. اللهم فنصرك الذى

---

(١) برك الغماد: موضع في تهامة

(٢) إحدى الطائفتين: العير أو قريش

وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد». فأوحى الله إليه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ (٦٥) (١)

ثم خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وحرض المؤمنين على القتال وأمرهم أن يشدوا فازدادوا قوة وصاحوا مهللين: أَحَدٌ أَحَدٌ.

بدأت المعركة بين الفريقين بالمبارزة بين ثلاثة من أبطال المسلمين هم : عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وبين ثلاثة من فرسان المشركين هم: عُتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شَيْبَة بن ربيعة، وكَرّ أبطال المسلمين على فرسان المشركين ، فقتل حمزةُ مبارزهُ شيبة فوراً، وقتل عليٌ مبارزه الوليد، أما عبيدة فقد أُصيب بضربة شديدة فى ساقه كما أُصيب مبارزه عُتْبَة فما كان من حمزة وعلي إلا أن أجهزا على عُتبة وحملا عبيدة الذى أَسلم روحه ورأسه على فخذ الرسول عليه الصلاة والسلام.

التحم الجيشان وكان الانتصار الساحق للمسلمين، وانهزم المشركون حيث قتل منهم سبعون من خيرة رجالهم بينهم أبو جهل، وأُمية بن خلف سيد بلال بن رباح بيد بلال.

أما المؤمنون فلم يقتل منهم سوى أَربعة عشر محارباً: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وهؤلاء هم شهداء بدر ــ أول من استشهدوا في الإسلام على أرض المعركة ــ ومكث الرسول ﷺ في بدر مدة لدفن الشهداء ، ثم عاد هو ورجاله إلى المدينة منتصرين ومحمَّلين بالغنائم وهم بنصر الله فرحون .

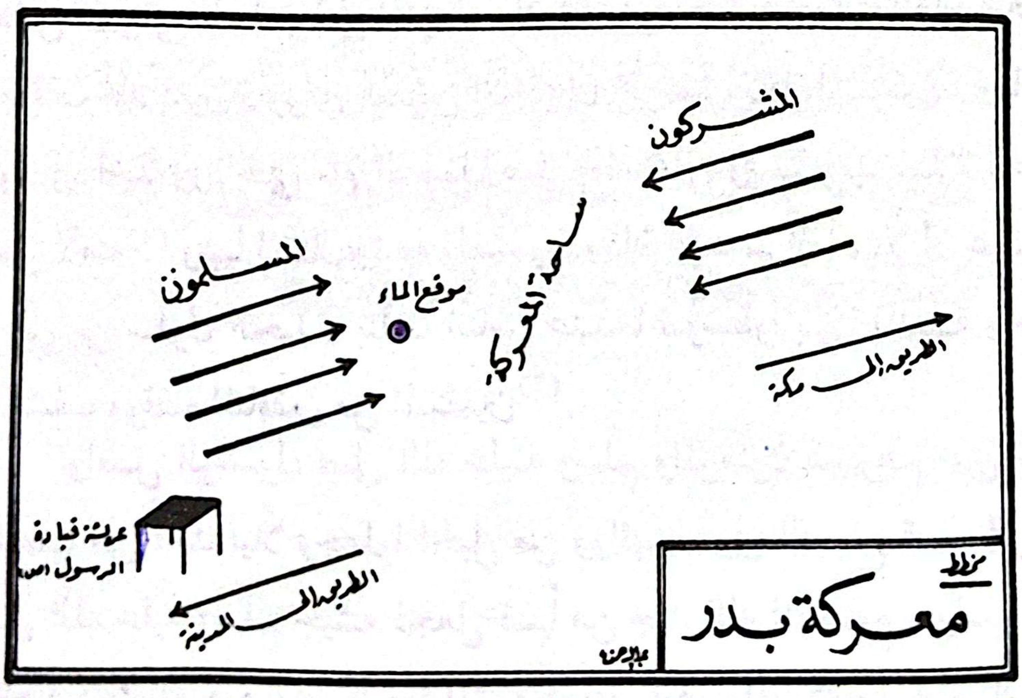
---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٥ .

أما المشركون فقد عادوا إلى مكة وهم يجرون أذيال الهزيمة ويلوكون مرارتها.

كان لهذه المعركة أهمية كبرى فى تاريخ الإسلام فقد ذاق فيها المسلمون طعم الانتصار واتضح لهم أن الله نصرهم رغم قلة عددهم، فارتفعت معنوياتهم وكانت لهم حافزاً على مواصلة الكفاح والجهاد من أجل إعلاءِ كلمة الله.

أما المشركون فقد تلقوا فى هذه المعركة درساً قاسياً، فكسرت شوكتهم، وحطت من كبريائهم، وأظهرت لهم أن المسلمين أصبحوا قوة لا يستهان بها. وبالرغم من ذلك، فقد كانت هذه المعركة حافزاً لهم للقيام بمعركة أُخرى تمحو عنهم عار الهزيمة والفشل.



غزوة أحد (شوال من السنة الثالثة للهجرة)

صمم المشركون أن تكون أرض المعركة فى هذه المرة فى عقر دار المسلمين - بالمدينة المنورة - وجهزوا جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فيهم أبو سفيان وخالد بن الوليد. وعسكر جيش المشركين فى الحقول شمال المدينة وبالقرب من جبل أُحد، وأخذ الجند يتلفون مزروعات المسلمين ويذبحون أغنامهم.

رأى المسلمون من على أسوار مدينتهم هذا الجيش الزاحف وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر. وفي المدينة اليهود والمنافقون الموتورون من انتصار المسلمين فى بدر،وقد ملئت قلوبهم حقداً على قوة المسلمين فأخذوا ينتهزون الفرص لإضعاف المسلمين.

جمع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين وشاورهم فى الأمر، فرأى البعض أن يبقى المسلمون فى المدينة، وأن يحصّنوها ضد هجمات العدو فيكونوا فى موقف المدافعين، ورأى البعض الآخر أن يخرجوا لملاقاة المشركين، وما زال القوم فى أخذ ورد حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة ولبس لأمته[1] وتهيأ للقتال،وتبعه المسلمون وكان عددهم ألفاً. إلاّ أن عبد الله بن أُبي بن سلول انخذل بثلث الناس عندما توسطوا بين المدينة وأُحد، وانكشف موقف المنافقين من المسلمين[2].

واصل الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون سيرهم حتى نزلوا الشعب من أُحُد ليلاً وجعلوا الجبل من ورائهم. وفى الصباح قسم الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه فجعل قسماً من جند الله للهجوم، وقسماً آخر لتغطية ذلك الهجوم وهم الرماة المشرفون على أرض المعركة من جبل الرماة،

---

(١) اللأمة: أداة الحرب من رمح وسيف ودرع. . . الخ

(٢) راجع سورة آل عمران: الأيتان ١٦٦ - ١٦٧ .

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم الرماة من مبارحة مكانهم .

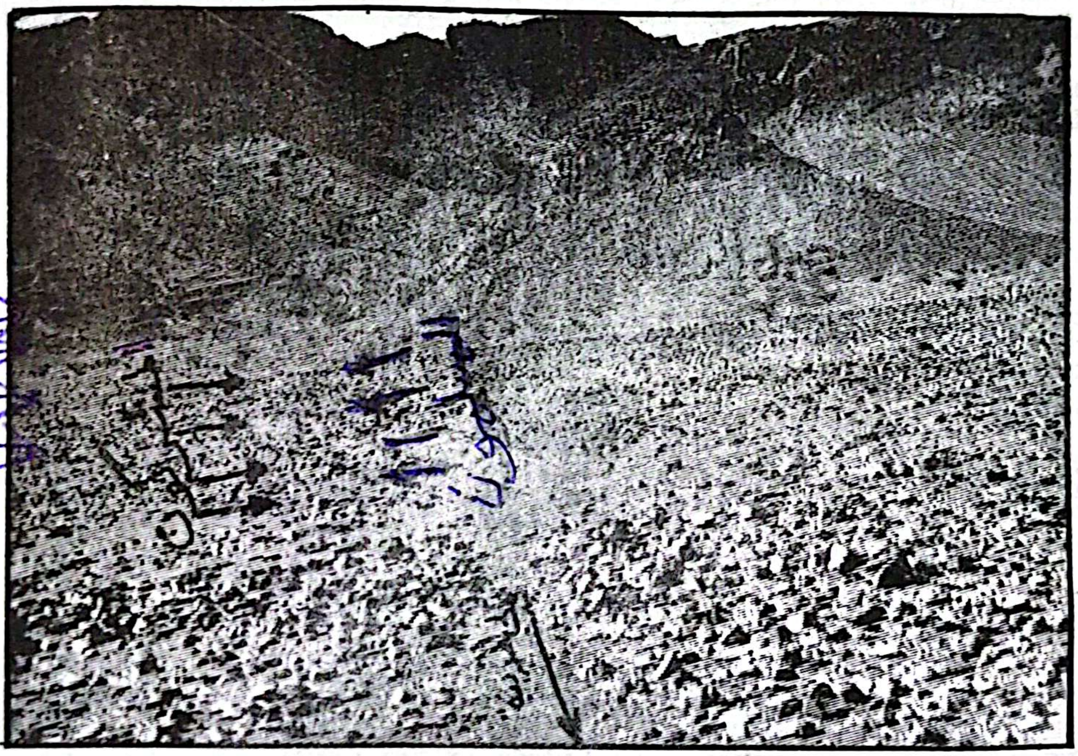
بدأت المعركة بالمبارزة، وكان المسلمون هم المنتصرين فيها ثم تبع ذلك اشتباك جيش المسلمين بجيش المشركين المكون من ثلاثة آلاف رجل ومائتى فارس، ودارت المعركة فى صالح المسلمين وتراجع المشركون وولـوا الأدبار، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم جنده بالمحافظة على مواقعهم خشية أن يكون انسحاب المشركين خدعة، إلا أن الرماة نزلوا إلى موقع المعركة بعد انسحاب المشركين لأخذ الغنائم. والتف المشركون بقيادة خالد بن الوليد حول المسلمين، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين، جرح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل فيها عمه حمزة رضى الله عنه، وأشاع المشركون أن محمداً قد قتل، ولكن خاب فألهم. وهكذا تراجع المسلمون بعد أن كان لواءَ النصر معقوداً لهم، واستشهد فى هذه المعركة سبعون من الصحابة الكرام ويقول الله تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [1]

ومع أن المشركين كسبوا الجولة فى هذه المعركة إلاَّ أنهم رأوا أن يسارعوا

(١) راجع سورة آل عمران الآيات ١٦٩ ـــ ١٧٠ .

بالعودة إلى مكة خوفاً من أن ينزل بهم المسلمون هزيمة تودي بقوتهم . وعادوا إلى مكة وهم مصممون على الاستعداد للهجوم على المسلمين بالمدينة في العام المقبل .



موقع معركة أحد جبل أحد

غزوة الخندق ـ أو الأحزاب

(شوال من السنة الخامسة للهجرة)

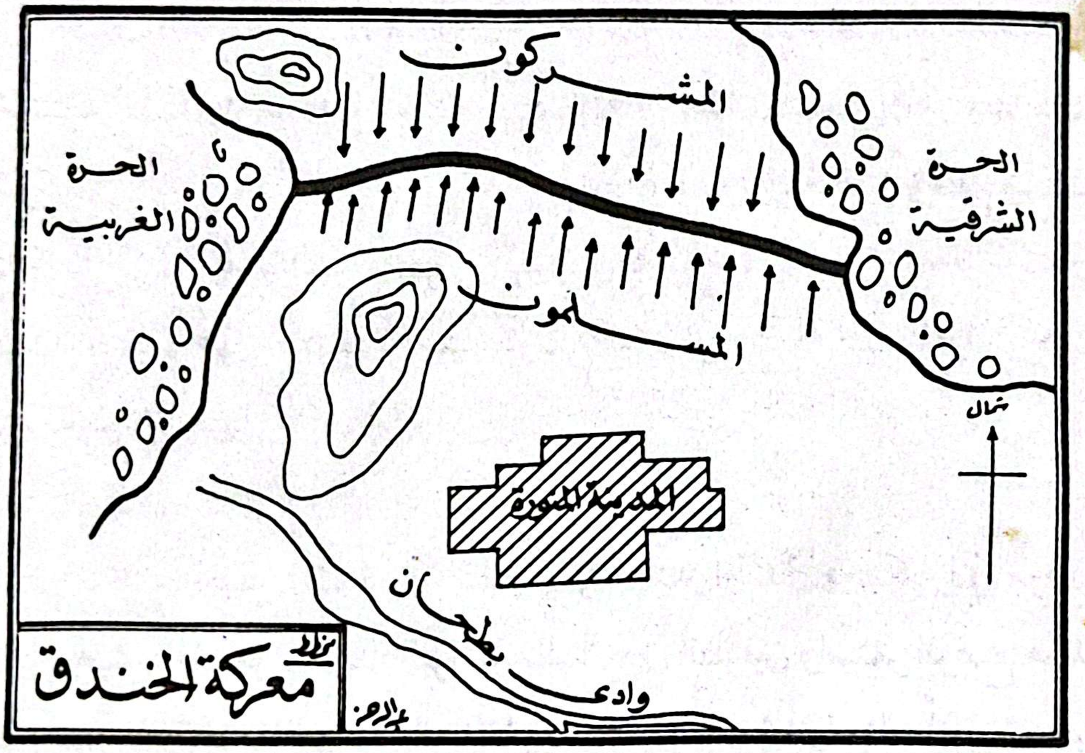
تجمع المشركون فى هذه المرة لمحاربة المسلمين داخل أسوار مدينتهم، ولاشتراك أقوام عديدة من المشركين واليهود سمّيت الأحزاب. ولقد كان ليهود بنى النضير ـ الذين أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة لما تآمروا على قتله ـ دور كبير فى جمع هذه الأحزاب والاتصال بقبائل قريش وأشجع وغطفان وبنى قريظة التى شكلت صفوف المشركين.

كانت المدينة محصنة من جميع الجهات بالسدود والقلاع والبساتين باستثناءِ جهة واحدة هي الجهة الشمالية التى كان ينتظر أن يهاجم منها المشركون. أشار سلمان الفارسي على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر خندق فى ذلك الجزءِ الضعيف من المدينة ليكتمل تحصينها. وتم حفر الخندق بحيث يصعب على المشركين اجتيازه،وبقي المسلمون داخل المدينة،والمشركون ومن معهم خارجها.

لما تقدم جيش المشركين لم يتمكن من اجتياز الخندق فعسكروا فى موضع مقابل لجيش المسلمين، وبدأ التراشق بالنبال بين الطرفين واستمر الوضع هكذا نيفاً وعشرين يوماً بلياليها. طال المقام بالمشركين فلم يجدوا مناصاً من تصعيد القتال، فاقتحم بعض فرسانهم الخندق عند نقطة ضعيفة نسبياً. وخرج إليهم علي كرّم الله وجهه فى نفر من المسلمين، وكان له ولرجاله النصر المؤزر فى هذه المبارزة، حيث قتل من قتل من المشركين وفر الباقون إلى جيشهم مجتازين الخندق. وعاد الوضع على ما كان عليه من التراشق بالنبال. وفى تلك الأثناءِ هطلت الأمطار واشتدت الأعاصير، فاقتلعت خيام المشركين واشتد عليهم

البرد. أما موقف المسلمين فلم يكن بهذه الدرجة إذ كانوا يقيمون فى بيوت ثابتة داخل الأسوار.

زادت حالة المشركين سوءًا وذعروا ولم يجدوا بدأ من فك الحصار والعودة إلى مكة والنجاة بأنفسهم. وهكذا نصر الله المسلمين وخذل المشركين[1] ومن تحزب معهم.



(١) راجع سورة الأحزاب الآيات ٢٤ ـــ ٢٧ .

صلح الحديبية

(في أواخر السنة السادسة للهجرة)

مرّت شهور على معركة الأحزاب، وطال العهد على خروج المهاجرين من ديارهم وازداد شوق الكثيرين منهم إلى مكة، وعـاودهم الحنين للطواف حول الكعبة. كان عليه الصلاة والسلام توّاقًا لما كان يتوق إليه أصحابه،فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وأربعمائة من المسلمين معتمرين يسوقون معهم الهدى متوجهين شطر مكة،ووصلوا إلى الحديبية على بعد بضعة أميال من مكة.

لما رأى المشركون قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى مكة راودتهم خواطر وأفكار كثيرة: هل يمنعون المسلمين من زيارة الكعبة، وهم ما جاءوا إلاّ لهذا الغرض؟ وهل يحاربونهم، وقد دخلت الأشهر الحرم ؟ وهل جاءَ المسلمون فعلاً للزيارة، لا للقتال واستطلاع الأوضاع فى مكة؟ وتحت كل هذه التأثيرات بـدأت الاتصالات الأوليـة بين الـطرفين. كـانت أهم نقطة لـدى المشركين أن يعود المسلمون دون أن يدخلوا مكة فى ذلك العام، حرصاً على كرامتهم وخشية أن تعيّرهم قبائل العرب. ولما كان الرسول صـلى الله عليه وسلم وأصحابه عازمين على دخول مكـة معتمرين، انتقلت المفـاوضات إلى مرحلة أكثر شمولاً لحل الموقف الذى تأزم بين المسلمين والمشركين،بعد ما حدث من حرب وسفك دماء وتبديد أموال وخصومة وغـير ذلك. وانتهت المشكلة بصلح الحديبية وتنص شروطه على ما يأتي:

١ ـ أن تكون هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات لا يجري فيها أي قتال.

٢ـ أن يَرُدَّ المسلمون كل شخص يأتيهم من قريش مسلماً، أو يريد الإسلام إلاّ بإذن من قريش.

٣ - ألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.

٤ - ترك الحرية لمن كانوا من غير قريش فى الالتحاق بالمسلمين أو بقريش على حد سواء

٥ - تأجيل عمرة المسلمين ودخولهم لمكة إلى العام المقبل على أن يأتى المسلمون معتمرين، وليس معهم من السلاح سوى السيوف مغمدة فى القرب، وأن يدخلوا مكة بعد أن تخرج منها قريش، على ألا تزيد مدة إقامتهم فى مكة عن ثلاثة أيام بلياليها.

وتنفيذاً لهذه المعاهدة عاد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه إلى المدينة ولم يدخلوا مكة. ومع أنهم تألموا نفسياً لعدم تنفيذ رغباتهم التى جاءوا إلى مكة من أجلها، إلاّ أنهم مَنّوا أنفسهم بالعودة في العام المقبل.

وبالرغم من أن هذه الشروط كانت فى صالح المشركين ظاهرياً، وأن بعض المسلمين لم يرضوا عنها، إلاّ أن هذه الشروط دلّت على حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد نظره وعبقريته العسكرية الفذة. ومن نتائج تخطيطه السليم أنه أمن بذلك جانب قريش وتفرغ لنشر الدعوة الإسلامية فى نطاق أوسع، وتفرَّغ لوضع حد لشغب اليهود بمنطقة المدينة. كما أن نفس هذه الشروط التى كانت لصالح المشركين فى ظاهرها، اضطرتهم لنقض الصلح من جانبهم، لأن الشروط كانت وبالاً عليهم. وقد حدث نقضهم للصلح فى الوقت المناسب للمسلمين كما ستعرف فى الصفحات التالية.

فتح خيبر (محرم من السنة السابعة للهجرة)

خيبر هى بلدة تقع على الطريق التجارى الرئيسى الذى يربط المدينة ببلاد الشام والذى تمر به قوافل المسلمين التجارية بينهما

كان يقطنها اليهود فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وقد أقاموا فيها عدة قلاع وحصون للدفاع عنها فى حالة تعرضها لهجوم خارجى ، كما زود اليهود تلك القلاع والحصون بالأسلحة والذخائر والمؤ ن.

وقف اليهود مواقف معادية كثيرة ضد المسلمين بالرغم من المعاهدة التى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم معهم ومع غيرهم، فمنها موقفهم المعادى إبان معركة أُحد ومنها الإسهام فى تجميع الأحزاب لحرب الرسول فى معركة الخندق، ومنها دس الفتن والدسائس ضد المسلمين لإضعاف قوتهم وتفريق صفوفهم.

كان الوضع يحتم على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقف منهم موقفا يمكنه من التخلص منهم إذا هو أراد أن يقوى الجبهة الداخلية ويوالي انتصاراته ضد المشركين. ومن أجل هذا، ونظراً لإصرار اليهود على مواقفهم المعادية للمسلمين حاربهم الرسول عليه الصلاة والسلام وانتصر عليهم وأخرجهم من المدينة وضواحيها،ولم يبق من معاقلهم سوى بلدة خيبر التى بقيت شوكة ناخسة فى جسم المسلمين.

بعد صلح الحديبية وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الفرصة مواتية لمهاجمة اليهود فى عقر دارهم لاسيما وأنهم أخذوا يضايقون قوافل المسلمين التجارية، وهى فى طريقها إلى بلاد الشام. ولما علم اليهود بهذه النية أعلموا قبيلة غطفان حليفتهم فهبّت لنجدتهم. حاصر المسلمون خيبر ووقعت حصونها فى أيديهم الواحد تلو الآخر.

هكذا سقطت خيبر فى أيدى المسلمين الذين غنموا منها مغانم كثيرة، وعقدت معاهدة بين الطرفين جعل فيها للمسلمين نصف غلات الأرض على أن يبقى اليهود فى أماكنهم، وبقي اليهود فى خيبر حتى تم جلاؤ هم عنها فى عهد الخلفاء الراشدين.

فتح مكة (رمضان من السنة الثامنة للهجرة)

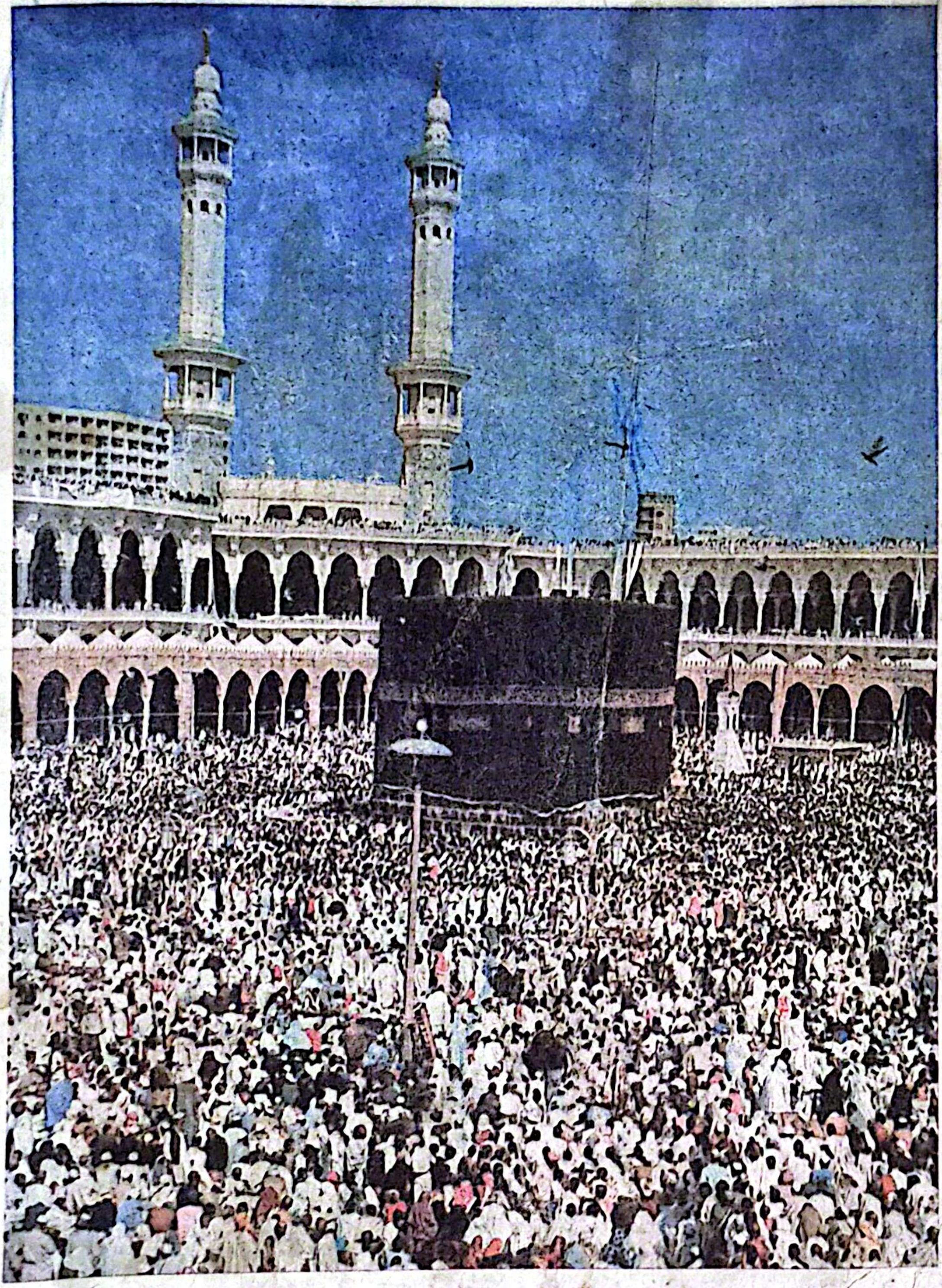
انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم من انتصاراته على اليهود، وانتشر الإسلام فى معظم أجزاء الجزيرة العربية فأصبح المسلمون قوة هائلة تضاءلت أمامها قوة قريش التى فقدت الكثير من أبطالها وحلفائها. ومع هذا فإن هذه القبيلة بقيت على إصرارها فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، فنقضت صلح الحديبية بأن قتلت عشرين رجلا من مسلمى بنى خزاعة.

هنا صمم الرسول صلى الله عليه وسلم على مهاجمة قريش فى مكة، فأعد جيشاً قوامه عشرة آلاف جندى سار به نحو مكة وعسكر بالقرب منها.

ولما رأت قريش هذا العدد الضخم من المقاتلين بعثت بأبى سفيان ليستطلع الخبر،فوجد أنه يستحيل على المشركين مقاومتهم،فأسلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يأذن له الرسول فى العودة إلى مكة قبل أن يشهد عرضاً عسكرياً لجيش المسلمين. وقبل أن يعود أبو سفيان أظهر رغبة فى أن يكون له شأن لدى دخول جيش المسلمين إلى مكة، فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الملأ: «من دخل دار أبي سفيان من مكة فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن».

عاد أبو سفيان إلى مكة يتحدث عن قوة جيش المسلمين وأعلن أهل مكة بأن من دخل داره عند الزحف فهو آمن، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهوا آمن.

نظم الرسول صلى الله عليه وسلم جيشه فى أربع فرق وجعل على رأس كل فرقة قائداً لتدخل كل فرقة منها إلى مكة من جهة معينة. أسند عليه الصلاة والسلام مهمة الدخول إلى مكة من أعلاها إلى الزبير بن العوام، ومهمة



الحرم المكى وجزء من مكة المكرمة

من جيشه وأخذ يشحذ الهمم ويثير الحماسة فى النفوس حتى عاد جيش الإسلام إلى التجمع والاتحاد وكروا على المشركين كرة رجل واحد، ففر هؤلاء المشركون مولين الأدبار حتى احتموا بحصون الطائف تاركين وراءهم الأطفال والنساء وكثيراً من الغنائم[1].

(١) راجع سورة التوبة ، الآيتان ٢٥ ــ ٢٦ .

غزوة الطائف (السنة الثامنة للهجرة)

تعتبر هذه الغزوة امتداداً لغزوة حنين إذ بعد انتصار المسلمين فيها والتجاء المشركين إلى الطائف، زحف المسلمون نحو تلك المدينة فحاصروها عن قرب، واستمر حصارها أمداً طويلاً ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا أمل في فتح تلك المدينة عن طريق حصارها المباشر ، فرأى أن يوسع نطاق الحصار وأن يعود إلى موقع حنين ليأخذ في توزيع الغنائم وكانت كثيرة . طالبت هوازن وزعيمها مالك بن عوف برد أولادها ونسائها إليها فقبل الرسول عليه الصلاة والسلام شريطة أن يدخلوا في الإسلام فقبل مالك بن عوف بهذا الشرط .

انفردت ثقيف بالبقاء على دين الشرك. ولما طال الأمد على حصارها وشعر السكان أن مزارعهم خارج المدينة - وهى مصدر رزقهم - سيصيبها التلف، وأنه لا يمكنهم البقاء على هذا الوضع مدة أطول، وأنه لا أمل لهم فى حرب المسلمين بعد أن انسلخت عنهم هوازن، دخلت ثقيف فى الاسلام.

بذلك عم الدين الإسلامي أجزاءَ الجزيرة العربية كلها.

غزوة تبوك (رجب من السنة التاسعة للهجرة)

كانت الغزوات حتى الآن بإستثناء غزوة مؤتة على نطاق الجزيرة العربية. أما غزوة مؤتة فكانت على نطاق عرب الشام ومن ورائهم الروم. وقد أبلى فيها المسلمون بلاءً حسناً وأظهر فيها خالد بن الوليد شجاعة نادرة.

بعد أن تم للرسول صلى الله عليه وسلم الانتصار على أعدائه فى مكة وحنين والطائف، وجد أنه لا بد أن يعود لمحاربة الأقوام المشركة المتاخمة للجزيرة العربية من الشمال وأخذ يعد العدة لغزوة تبوك.

وجد الرسول عليه الصلاة والسلام تثاقلاً من الكثيرين للاشتراك فى الجيش الذى سيقف وجهاً لوجه مع جيش الروم الكثير العدد والعدة، فنزلت الآيات الكريمة على الرسول صلى الله عليه وسلم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

ومع هذا فكان هناك الكثيرون الذين عمر الإيمان قلوبهم ممن عرضوا أموالهم وأنفسهم لخدمة الإسلام، ومن هؤلاءِ عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى قدم لتجهيز الجيش مئات من الإبل وبعض الخيل وألف دينار،وتكوّن من أمثال هؤلاء الأبطال جيش المسلمين الذى أطلق عليه «جيش العسرة[٢]».

زحف الجيش باتجاه تبوكَ،وكان عدده لا يقل عن أربعين ألفاً فيه من القواد العظام أمثال أسيد بن خضير والحباب بن المنذر وخالد بن الوليد.ولم يكن جيش الروم يتوقع أن يزحف المسلمون بأعداد هائلة كهذه،فانسحب جيشهم

(١) راجع سورة التوبة،الآية ٣٨

(٢) راجع سورة التوبة،الآية ١١٧

إلى الشمال،ودخل جيش المسلمين تبوك واستقر مدة من الزمن، ودخل كثير من عرب المنطقة فى الدين الإسلامي،وتمكن خالد بن الوليد من فتح دومة الجندل.

هكذا تمت الغلبة للمسلمين في هذه الغزوة،وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه إلى المدينة منتصراً. وهنا وجد المنافقون أنفسم فى خزي مما عملوا لعدم اشتراكهم فى جيش العسرة.

هذه المعركة أنهت الغزوات التى قادها الرسول عليه الصلاة والسلام بنفسه. لكنه بعث قواده فى سرايا لإخضاع ما تبقى من بلاد العرب وكلها كللت بالنجاح.

الفصل الثالث
كتبه ورسله صلى الله عليه وسلم
الى ملوك العالم

أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ليدعو الناس كافة إلى الدين الإسلامى، إذ قال عز وجل فى كتابه العزيز: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاس بَشيراً وَنذيراً[1]).

فلما عم الدين الحنيف معظم أجزاء الجزيرة العربية بعد أن تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يتخلص من شر اليهود وفتنهم ومكائدهم، وأن يفتح مكة والطائف، رأى عليه الصلاة والسلام أن الوقت قد حان ليبلغ رسالته وينشر دعوته للناس خارج حدود الجزيرة العربية فبدأ بإرسال رسله إلى أعاظم ملوك المشرق والمغرب، مزودين بكتب يعرض فيها عليهم اعتناق الدين الإسلامي. وكانت تلك الكتب مختومة بخاتم كتب عليه «محمد رسول الله».

تلقى ملك البحرين الرسالة وأسلم، وكذلك عامل كسرى على اليمن. وبعث المقوقس ملك مصر بالهدايا الثمينة إلى محمد عليه الصلاة والسلام ومن جملتها الجارية مارية القبطية التي تزوجها عليه الصلاة والسلام، وأنجبت منه إبراهيم الذي مات ولم يبلغ عامين من عمره.

أما هرقل إمبراطور الروم والنجاشي ملك الحبشة فقد رد كل منهما على الدعوة برسالة فى غاية اللطف والاحترام. غير أن كسرى ملك الفرس رفض الكتاب وأقسم ليعاقبن النبى على جرأته، فنزل عليه غضب الله فى الحال إذ اغتاله ابنه شيرويه وتبوأ عرشه.

---

(١) سورة سبأ، الآية ٢٨.

مزق الحارث بن أبي شمر رسالة النبى عليه الصلاة والسلام وأهان رسوله الحارث بن عمير الأزدي الذي اغتيل عند الكرك بأمر من شرحبيل الغساني حاكم تلك البلاد. وكانت هذه الحادثة السبب المباشر فى غزوة مؤتة والتى تلتها غزوة تبوك التى بها انتهت غزواته صلى الله عليه وسلم.

أسئلة وتطبيقات على الباب الرابع

١ ـــ اذكر الأعمال التى قام بها الرسول ﷺ من أجل تقوية المسلمين في المدينة وجمع كلمتهم.

٢ ـــ كيف تحددت الكعبة كقبلة للمسلمين ؟ .

٣ ـــ صف الوضع الاجتماعي والديني في المدينة عند الفترة التي تلت هجرة الرسول مباشرة .

٤ ـــ كيف حدثت معركة بدر ، وما النتائج التي ترتبت على تلك المعركة ؟ .

٥ ـــ ما المواقف التى اتخذها بعض المسلمين عند السير لملاقاة الكفّار عند جبل أُحد وفي أثناء تلك المعركة ؟

٦ ـــ قصد المشركون في غزوة أحد الانتقام من المسلمين . فهل تحقق لهم هذا القصد ؟ اشرح ذلك .

٧ ـــ اشرح هدف الأحزاب من حربهم للمسلمين ، وموقف المسلمين لملاقاتهم ، وأسباب انتصار المسلمين عليهم .

٨ ـــ اذكر أهم شروط صلح الحديبية ، ثم وضّح كيف دلّت هذه الشروط على حكمة الرسول ﷺ وبعد نظره وعبقريته .

٩ ـــ كانت فترة صلح الحديبية بالنسبة للمسلمين فترة لتجميع القوى والقضاء على عدو مخادع . اذكر أهم أحداث تلك الفترة .

١٠ ـــ نقض المشركون شروط صلح الحديبية ، فكان فتح مكة . وضّح ذلك .

١٢ ـــ قال ﷺ لأهل مكة إثر فتحه لها : « اذهبوا فانتم الطلقاء . اشرح الظروف التي قيل فيها هذا القول .

١٣ ـــ « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ... » اشرح هذه الآية الكريمة تاريخياً .

١٤ ـــ بيّن كيف دخلت قبيلتا ثقيف وهوازن في الدين الإسلامي .

١٥ ـــ ما أسباب غزوة تبوك ؟ وكيف انتهت ؟ .

١٦ ـــ « وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً » . ماذا فعل الرسول عليه الصلاة والسلام استجابة لهذه الآية الكريمة ؟ .

الباب الخامس
اليهود والمسلمون

لقد أحس اليهود منذ اللحظة الأُولى لظهور الإسلام أن هذا الدين سينتزع منهم القيادة الدينية بصفتهم أصحاب كتاب «التوراة». وزاد حقدهم حينما رأوا انتشار الإسلام فى فترة وجيزة، وحينما جاءَ أمر الله بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

لذا عقدوا العزم على مقاومة الإسلام بشتى الطرق.

فكان أولها تشكيك الناس بذلك الدين وردهم عنه. قال تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(١)

ولكنهم فشلوا فى طريقتهم هذه لأنهم لم يردوا مسلماً واحداً عن الدين الاسلامى.

ولما شعر اليهود بقوة المسلمين إثر انتصارهم على المشركين فى غزوة بدر، عمدوا إلى تفرقة الصفوف فكان موقفهم اللئيم فى غزوة أُحد، إذ تمكنوا من الوصول إلى مأربهم بتكوين فئة المنافقين الذين تـزعمهم عبد الله بن أُبى بن سلول، ووجد هؤلاءِ المنافقون مادة لعملهم وكلامهم، فأثاروا الخلاف فى الرأى بين المسلمين فى أن يخرجوا إلى «أُحد» لملاقاة المشركين، أو أن يتحصنوا فى المدينة. لكن هذا لم يشف غليل اليهود بالرغم من الخسائر التى لحقت بالمسلمين

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٩

فى تلك الغزوة، فأخذوا يناصبون المسلمين العداءَ. وكان موقفهم المعادى فى تأليف الأحزاب ضد المسلمين فى غزوة الخندق، وعدم تقديم أى عون مادى لهم وقت الحصار.

وهنا كان لا بد من وقوف المسلمين موقفاً حازماً ضد اليهود، لأنه على الرغم من مواقفهم السابقة كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يقابلهم عليها بالمثل، وكان يكتفى بالحذر من تصرفاتهم. وبعد انتهاء غزوة الأحزاب أخرج صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة وانضم قسم كبير منهم إلى بنى دينهم فى خيبر - أقوى معقل لليهود.

كان لا بد من انتهاز فرصة صلح الحديبية للقضاءِ على شوكة اليهود، إذ أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يوجه همه فى النهاية إلى مكة ومن فيها من المشركين. وكانت غزوة خيبر التى سبق ذكرها، والتى انتصر فيها المسلمون على اليهود نهائياً، وأخرجوهم من الجزيرة العربية. ومن بقى منهم فى خيبر أصبح مشلول القوة وخاضعاً للمسلمين.

بالاضافة إلى كل ما ارتكبه اليهود من الأعمال المنافية للخلق الكريم من غدر بالمسلمين، ونقض للعهود، وتخل عنهم فى ساعات الشدة، فقد كانت لهم محاولات عديدة لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم، كما فعل أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق، ومن هذه المحاولات أنه بعد انتصار المسلمين فى خيبر جاءَت زينب ابنة الحارث اليهودية بشاة ذبحتها وصلتها على النار، وقدمتها للرسول صلى الله عليه وسلم لتظهر مدى التقارب بين من بقى من اليهود فى خيبر والمسلمين. وكانت تلك الشاة مسمومة إذ مات بسببها بعض الذين أكلوا من لحمها. أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تأثرت معدته بسبب السم وقد أشار إلى ذلك عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ترى مدى الغدر الذى عمد إليه اليهود بالرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن دائرة السوءِ دارت عليهم بإجلائهم من الجزيـرة العربيـة. واستمر عداءُ اليهود للمسلمين والاسلام جيلاً بعد جيل حتى يومنا هذا.

أسئلة وتطبيقات

١ - فسر تاريخياً الآية الكريمة : «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به».

٢ - اتبع اليهود خطوات معينة لمقاومة المسلمين . اذكر بعضها

٣ - متى تبين للمسلمين أنه لا بد من إخراج اليهود من المدينة؟

٤ - ما الذى حدث لليهود خلال فترة صلح الحديبية؟

٥ - كانت قصة الشاة المسمومة ذروة الغدر بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . اذكر تلك القصة.

الباب السادس
المراحل الأخيرة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول ـ حجته ووفاته

١ ـ حجة الوداع سنة ١٠ هـ (٦٣٢م) :

من هذه التسمية يتبين لك أن هذه الحجة هى التى ودع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين قبل انتقاله للرفيق الأعلى. ولقد شعر صلى الله عليه وسلم بضرورة القيام بهذه الحجة، وأن يقود الحجيج بنفسه، ويُعلِّم الناس مناسك الحج، ويبلغهم بشكل واضح وجماعي قواعد دينهم، ويؤكد عليهم ضرورة السير بموجبها. أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكمل ذلك للمسلمين قبل أن يوافيه الأجل المحتوم.

قاد الرسول عليه الصلاة والسلام الحجاج القادمين من المدينة المنورة، وبلغ عددهم مائة ألف حاج. وأحرم جميعهم بذى الحليفة، ونادى الرسول صلى الله عليه وسلم ملبياً والحجاج يرددون من بعده بصوت واحد يهز المشاعر: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك». وكان ذلك فى سنة ١٠ هـ

وصل الرسول ﷺ المسجد الحرام وأدَّى مناسك العمرة ، فتوضَّأ وبدأ بالحجر الأسود فقبَّله ثم طاف وسعى . وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجَّه هو ومن معه من الحجاج إلى منى وأدَّى بها الصلوات المكتوبة . وفي فجر

التاسع من ذي الحجة توجَّهوا إلى عرفات ، وهناك انتشر الحجاج في السهل والشعاب المجاورة لجبل الرحمة .

ركب الرسول ﷺ ناقته القصواء وقادها إلى قمَّة الجبل ، ووقف يخطب في الناس ، ومما قال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ...

« أيها الناس : ان كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمنَّ أنفسكم ...

« أيها الناس : إن ربُّكم واحد وأباكم واحد وكلُّكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلَّا بالتقوى » .

وعند نهاية الخطبة نزلت الآية الكريمة على رسول الله ﷺ وبها اختتم كلامه قائلا : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) .

٢ ـ وفاته صلى الله عليه وسلم (إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) : (١)

عَلَّم الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين مناسك الحج ، وأكمل أداء الرسالة ، وعاد من حجة الوداع ، وقد ظَهرت عليه علائم التعب ونحول الوجه والجسم . وبعد فترة وجيزة من عودته إلى المدينة المنورة ، مرض صلى الله عليه وسلم بالحمى ، وأخذ المرض يشتد عليه ، ورغم ذلك كان يُصَرِّف أُمور المسلمين ، ويعمل على إعلاءِ كلمة الله ، فسار قدماً نحو تجهيز الجيوش للجهاد

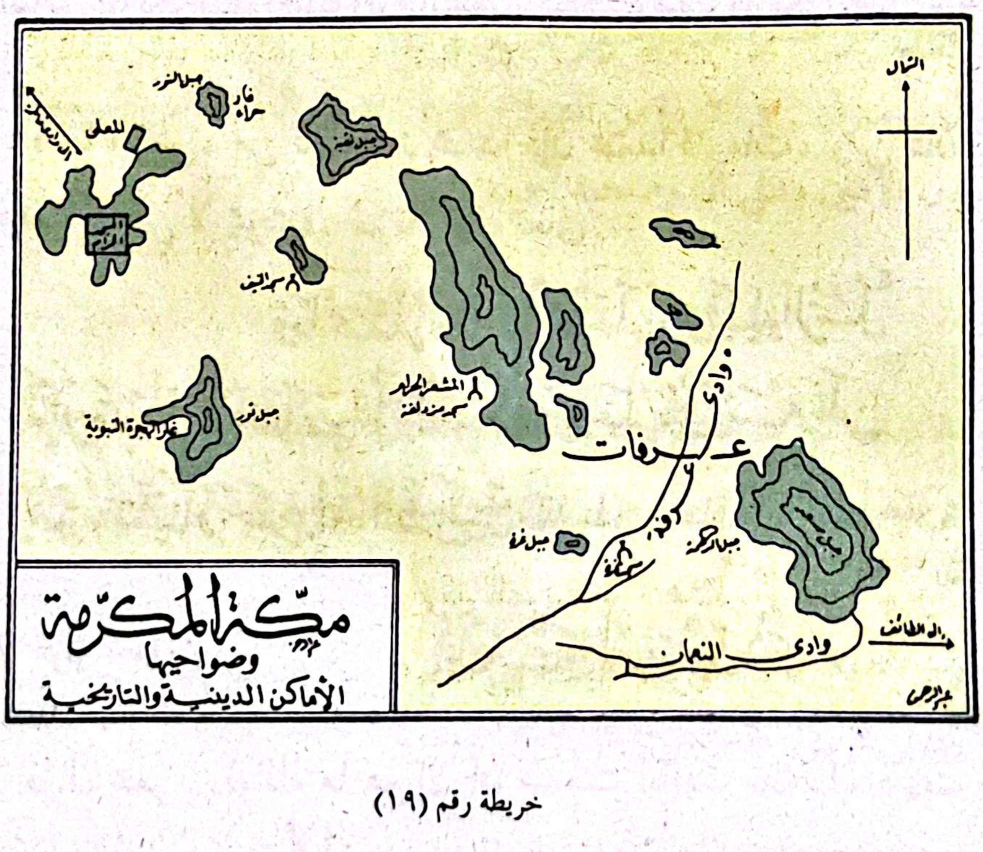
(١) سورة الزمر ، الآية ٣٠

فى سبيل الله. جهز جيشاً بقيادة أُسامة بن زيد لحرب الروم في بلاد الشام، ولكن الأجل المحتوم عاجله قبل أن يسير ذلك الجيش نحو غايته. وقد عمد أبو بكر الصديق رضى الله عنه عند توليه الخلافة، إلى تنفيذ ما أعده الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولما اشتد المرض على الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطع الصلاة بالناس، فبعث إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وطلب منه أن يؤم الناس.

وتوفي محمد خاتم النبيين في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة الهجرية.

ولما سمع المؤمنون ذلك هُرِعُوا إلى المسجد.



خريطة رقم (١٩)

وقد أخذ منهم القلق كل مأخذ، ولم يعترفوا بموت الرسول، وكان على رأسهم عمر بن الخطاب. واعتقد الناس أن أحداً من المنافقين قد أشاع كاذباً خبر وفاة الرسول، ولقد شجعهم عمر على عدم التصديق بوفاة الرسول إذ قال: «إن محمداً لم يمت بل ذهب إلى ربه كما ذهب موسى من قبل، وسيعود بعد أربعين ليلة كما عاد موسى».

فى هذه الأثناء أقبل أبو بكر الصديق على جواده مسرعاً وشق الجموع المحتشدة، ودخل المسجد فحجرة عائشة ليرى الرسول. وكان مسجى فى ناحية بالبيت فأقبل عليه، وكشف وجهه وقبله ثم بكى قائلاً: «بأبي أنت وأمي، أما الموتة التى كتبها الله عليك، فقد ذقتها، ولن تصيبك بعدها موتة أبداً. . .» ثم أعاد الغطاء على وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج إلى القوم وعمر يكلمهم فقال له: «على رسلك يا عمر، أنصت». فأبى عمر إلا أن يتكلم. فلما رأى الناس أبا بكر أقبلوا عليه وتركوا عمر. فخطب فيهم أبو بكر رضى الله عنه قائلاً:

«أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت». ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ (١)

ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (٢)

فقال عمر: «فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فبهتُّ حتى وقعتُ على الأرض وعرفتُ أن رسول الله قد مات».

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤

(٢) سورة الزمر، الآية ٣٠ .

رأى الناس فى أبي بكر خير من يخلف الرسول عليه الصلاة والسلام، وبعدئذ تم غسل الرسول عليه الصلاة والسلام وتكفينه والصلاة عليه، ودفن فى المكان الذى توفى فيه، حيث مرقده داخل المسجد النبوي الشريف.

هكذا انتقل رسول الله إلى الرّفيق الأعلى بعد أن ضرب أروع مثل للتضحية والكفاح فى سبيل الرسالة التى أرسله بها خالق الكون، فأرسى قواعدها على أساس ثابت متين.

يذكر مئات الملايين من المسلمين الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام كل يوم فى مشارق الأرض ومغاربها ويصلون عليه آناءَ الليل وأطراف النهار إذ أن الصلاة على الرسول أمر مطلوب شرعاً لقوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)

ويقول الرسول : « أكثروا من الصلاة عليَّ». فصلى الله وسلم على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أسئلة وتطبيقات

١ ـ ما الأهداف التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرمى إليها من حجة الوداع ؟

٢ ـ اذكر بعضاً من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع. وما هى الآية الكريمة التى اختتم بها الخطبة؟

٣ ـ كيف كان وقع وفاته على المؤمنين؟

٤ ـ أين دفن الرسول عليه الصلاة والسلام؟

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦

الفصل الثانى
مكارم أخلاقه وشمائله

لقد مر بك من خلال دراستك لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الكثير من الصفات والشمائل التى كان يتحلى بها عليه الصلاة والسلام فى مراحل عمره المختلفة، ومنها أنه لم يسجد لصنم قط، وأنه كان بعيداً عن كل مايلهو به الأطفال وعن كل ما يعيب الشباب، وأنه كان راجح العقل أميناً فى كل معاملاته، حتى لقب بالأمين، وقد كانت الودائع تنهال عليه من كل جانب - من المسلمين ومن المشركين على حد سواء. ومن صفاته عليه الصلاة والسلام صبره على الشدائد وشجاعته فى شتى المواقف، ومنها أنه لا يؤثر نفسه على غيره ولا يجادل الناس إلا بالتى هى أحسن، وقد وصفه الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(1)

ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(2)

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة فى حسن الأخلاق، وقد نص الدين الاسلامى على مكارم أخلاقه وحميد شمائله، ذلك ليكون قدوة صالحة ومثلاً حياً يقتدى به المسلمون، إذ يطالبهم الدين الإسلامى بحسن الأخلاق، وكذلك ليزيل ما كان متأصلاً فى النفوس من عادات وأخلاق جاهلية غير مستساغة، وليغرس فى النفوس المنهج الخلقي الإسلامي الذي يقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد وردت آيات كريمة فى القرآن الكريم تنظم صلات الناس بعضهم ببعض، من صدق فى القول والعمل، ووفاء بالوعد، واحترام للعهود والمواثيق، والحقوق والواجبات، والتزام بالحق، والعدل والإخلاص فى

---

(1) سورة القلم، الآية ٤.

(2) سورة آل عمران، الآية ١٥٨.

القول والعمل ، والترفع عن النفاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم ، وحقوق الجار ، وكلها مبنية على تهذيب النفس والسمو بها عن الماديات والشهوات .

ونورد لك فيما يلي بعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ،الجسمية وبعض صفاته الخلقية:

كان صلى الله عليه وسلم وسطاً بين الطول والقصر، قوى الجسم، ضخم الرأس، أبيض الوجه مشرباً بحمرة، أزج الحاجبين، عظيم العينين، أدعج أهدب، كبير الفم كما ينبغى للخطيب المفوه، أسنانه كالبرد، يداه كبيرتان بأصابع طولية ناعمة الملمس، وبين كتفيه خاتم النبوة. كان عليه الصلاة والسلام يمشى بتؤدة ووقار. وكان حاضر البديهة دائماً، إذا أشار إلى شىء أشار إليه بيده كلها لا بإصبعه أو أصابعه، وإذا عجب لشىء حمد الله ورفع كفيه إلى السماء، وإذا غضب احمر وجهه، ومر بيده على لحيته وتنفس الصعداء طويلاً، ثم يقول : « توكلت على الله خير وكيل ».

كان كساؤه عليه الصلاة والسلام بسيطاً جداً، ونظيفاً للغاية، وهو مؤلف عادة من قميص من القطن، ومن بردة وعمامة يتدلى طرفها بين كتفيه، ولقد حرم المغالاة فى الملبس لا سيما لبس الحرير.

كانت حياته عليه الصلاة والسلام بسيطة جداً، فكان يتباعد كل التباعد عن عرض الدنيا وزينتها. وكانت قناعته مضرب الأمثال، وقد روى عنه أنه لم يجمع بين صنفين من الطعام فى أكلة واحدة إلا نادراً، وإذا نال منه الجوع شدَّ على بطنه حجراً. وكان لا ينام إلا على فراش بسيط.

كان يؤدي عليه الصلاة والسلام أعماله الخاصة بنفسه، فهو يطعم الشياه والابل، ويحمل لنفسه ما يشتريه من السوق، حتى إنه حدث يوماً، أن

أراد بعض المؤمنين حمل حاجة له، فقال عليه الصلاة والسلام : «صاحب الشيء أحق بحمله». وكان يحلب شاته ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، وينظف خيمته بنفسه.

ومن شدة زهده فى الدنيا أنه كان يتصدق بكل ما لديه، ولم يبق لنفسه سوى القليل جداً منه، ولما لحق بالرفيق الأعلى، لم يكن فى بيته سوى ثلاثين وزنة من الشعير، كان قد رهن فيها درعه لأحد تجار الحبوب.

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام، أن ألفاظه كانت محكمة موجزة، غزيرة المعاني، تعبر خير تعبير عن مراده، وكانت كلماته عذبة تغزو القلوب وتأسرها، فلا يقوى أحد على مقاومتها.

كان هادىء الخلق، حليم الطبع، لا تَكَبُّرَ فيه ولا خشونة. وكان لا يغرق في الضحك أبداً، وإذا ما اشتد به المرح حجب وجهه بيده. وكان يحب الأطفال ويداعبهم، كما كان يرعى شئون الجميع سواء أكانوا أشرافاً أم عبيداً.

وكان يحترم المرأة فلم يرفع يده يوماً على امرأة أو على عبد، ويرعى شئون أُسرته رعاية طيبة، ويتألم إذا سمع طفلاً يبكى، ويؤكد دائماً أن الجنة تحت أَقدام الأمهات، وفى هذا ما يقوي روابط الأسرة، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». وبهذا حَمَّلَ رب الأسرة مسئولية الحفاظ على أُسرته، وإيجاد الانسجام بين أفرادها.

كان يكره الطلاق الذى يمزق شمل الأسرة، وقال عليه الصلاة والسلام فى هذا المجال : « إن أبغض الحلال عند الله الطلاق». وحتى لا يقوم الزواج على غير وفاق، ولئلا تتكرر حوادث الطلاق، فقد منح الفتاة حق إبداءِ الرأي فى الشخص الذى يتقدم لخطبتها.

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام، أنه كان شديد الحب للصلاة، وقد تورمت قدماه من كثرة الوقوف لأدائها. وكان حريصاً على معاملة الناس معاملة طيبة، يتوخى فيها العدل بينهم. ويقول: «الناس سواسية كأسنان المُشْط». كان سمحاً عَفًّا يعفو عمن أساءَ إليه، وقد عفا - كما علمت - عن كفار قريش بقوله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

من كل ما تقدم تعلم المثل الأعلى الذى ضربه الرسول-صلوات الله وسلامه عليه - فى مكارم الأخلاق وحميد الصفات، ليقتدي بها المسلمون فى تكوين مجتمع إسلامى سليم يتكون من أفراد صالحين سعداء فى الدنيا، سعداءَ فى الآخرة.

أسئلة وتطبيقات على الفصل الثانى

١ - اذكر بعضاً من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم التى سبق أن أحطت بها علماً خلال دراستك للسيرة النبوية.

٢ - تكلم عن تصرفاته عليه الصلاة والسلام نحو الأسرة . ماذاكان الهدف من وراء ذلك ؟

٣ - كيف كان عليه الصلاة والسلام يعامل أفراد المجتمع؟

٤ - اذكر بعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الجسمية.

٥ - ماذا كان يؤدي لنفسه من الأعمال؟

٦ - اذكر أمثلة توضح زهده عليه الصلاة والسلام فى الدنيا.

٧ - اكتب أمام كل صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الآتية، حادثة توضح بها تحليه بالصفة :

الأمانة

العفو عند المقدرة

الصبر والحلم

الفصاحة والبلاغة :

العدل والعفة :

التواضع :

الشجاعة :

رجاحة العقل والذكاء :

الزهد فى الدنيا :

الجود والكرم :

الفصل الثالث
أسس المجتمع الاسلامى

لما جاءَ الاسلام كانت الأوضاع العامة فى الجزيرة العربية على النحو الذى عرفت من تعصب للقبيلة، وتفاخر بالأنساب والأجداد، ووجود سادة وعبيد، وعبادة للأوثان والأصنام، وتناحر بين الأسر المختلفة، وحروب بين العشائر والقبائل، وانتشار عادات وأخلاق منها الحسن ومنها السيئ، ووجود أشخاص وعائلات وأقوام ذات نفوذ واسع، ووجود آخرين دونهم بمراحل.

فى وسط هذه الظروف والأوضاع ظهر نور الإسلام فى مكة المكرمة، وبدأَت الدعوة الإسلامية، يحمل لواءَها محمد عليه الصلاة والسلام. وكان لابد من تغيير مفاهيم الناس لتتلاءَم مع ما جاءَ به الدين الإسلامي الحنيف بتعاليمه وشرائعه، وكان لابد من تكوين مجتمع جديد فى ضوءِ تلك التعاليم. وكحصيلة لكل هذا نشأَ المجتمع الإسلامى ونشأَت الدولة الإسلامية .

وضع الرسول عليه الصلاة والسلام الأسس لذلك المجتمع وعمل على إنشاءِ الدولة الإسلامية، وإليك الخطوات التى سلكها الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذين المجالين:

بدأَ الاسلام فى مكة المكرمة، وكانت المدة التى قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ثلاث عشرة سنة، لاقى فيها من الصعوبات والمتاعب ما وضّحْناه لك في الأبواب السابقة. وبالرغم من تعمق العقيدة الإسلامية الجديدة فى قلوب أُولئك النفر الذين اعتنقوها، إلاَّ أَن الظروف التى أَحاطت بهم، لم تمكنهم من تكوين مجتمع إسلامى واضح المعالم. فقد كانوا قليلى العدد ولم يكونوا قادرين إلاَّ على أداءِ الصلاة، أَو عقد الاجتماعات، لوضع الخطط

لنشر الدعوة الإسلامية . وكان ذلك يجري في كتمان وسرية إلى أن جاء الأمر بالجهر بالدعوة .

واشتدت المقاومة وزاد إيذاءُ المؤمنين الذين تعلقوا بدينهم الحنيف، وصمدوا لما لاقوا من المشركين.

ثم لاقت الدعوة الإسلامية قبولاً حسناً في المدينة ، وانتشر الإسلام فيها ودخل الناس فيه أفواجاً . وبهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين إلى المدينة، أَمكن الشروع فى وضع أُسس للمجتمع الإسلامى الذى أَراده الرسول صلى الله عليه وسلم ليتمشى مع تعاليم الإسلام وشرائعه، فبدأ فى وضع الأسس لبنائه ومنها:

أولا - بناء المسجد :

كان لكل قبيلة قبل الإسلام مكان خاص يلتقى فيه أَفرادها بشكل جماعى فى حفلات السمر والزواج والبيع والشراء والمناظرات وغير ذلك. فلما جاء الإسلام شاء الله أن يوحد كلمة المسلمين ، وأن يجمعهم فى مكان واحد لأداءِ الصلاة - يلتقون فيه خمس مرات فى كل يوم، مولين وجوههم شطر الكعبة المشرفة، يؤمهم رجل واحد يقتدون به - فبنى مسجداً وأَسماه «بيت الله». أتاح ذلك للمسلمين فرصاً كثيرة للقاء، أثناءَ سيرهم نحو المسجد أَو فى ساحته، أَو وهم فى طريقهم لمنازلهم بعد أَداءِ الصلاة، وكانوا فى تلك اللقاءِات يتحدثون فى أُمور دينهم ودنياهم من تجارة وأَعمال ومعاملات، فكانوا يجلسون مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة فى داخل المسجد ليتعلموا منه أُمور دينهم، وليحل لهم مشاكلهم ولما كثرت التجمعات حول المسجد وأَخذت تؤثر على المصلين خُصص مكان للبيع والشراء، ومكانٌ

للتعليم، ومكانٌ للعبادة بعيداً عن الضوضاء، ولقد كان للمسجد أثره الواضح في التوحيد بين المسلمين، والتقريب فيما بينهم وجمع كلمتهم.

ثانياً - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

خرج المهاجرون من مكة تاركين وراءهم بيوتهم وأموالهم، ولم يحملوا معهم شيئاً سوى العقيدة. وهكذا يتضح لنا أنهم جاءُوا إلى المدينة فقراء مادياً، أغنياء بعقيدتهم الدينية. وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فجعل لكل من الأنصار أخاً من المهاجرين، واستضاف الأنصار المهاجرين في بيوتهم، وتوثقت الصلة بينهم وازدادت متانة، فبعد أن كان قوام المجتمع قبلياً أصبح دينياً، تجمع بين أفراده علاقة روحية سامية وطيدة.

ثالثاً - معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين:

عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدة التعاون بين المسلمين وبين غير المسلمين من سكان المدينة وهم اليهود والعرب غير المسلمين، وكان عليه الصلاة والسلام يهدف من وراء هذه المعاهدة، أن يسهل على أفراد المجتمع الإسلامي الجديد سبل العيش مع الآخرين، ويمكنهم من ممارسة أعمالهم ونشاطهم في جو بعيد عن العداء والمقاومة من قبل هذه العناصر غير المسلمة، ومن شروط هذه المعاهدة: -

١ - أن للجماعة شخصيتها الدينية والسياسية، ومن حق الجماعة أن تعاقب المفسد وأن تؤمِّن المطيع.

٢ - الحرية الدينية مكفولة للجميع.

٣ - ضرورة التعاون بين السكان مادياً وأدبياً.

٤ - الرسول عليه الصلاة والسلام هو الرئيس الأعلى للسلطات

رابعاً ـ العمل على تعميق أركان الدين الإسلامى الخمسة :

ونشرها بين أفراد المجتمع، وتعريفهم بما ينطوي عليه كل ركن من أهداف سامية تربط بين الأفراد بروابط متينة وثيقة، فالصلاة فيها مبدأ الطاعة والقيادة والتجرد عن كل شىء، والاتجاه بقلوب صافية إلى الخالق عز وجل، وفى الشهادتين ما يربط المسلمين بإله واحد ونبى حمل الأمانة وأدى الرسالة، وفى الزكاة رباط بين الأغنياء والفقراء وغيرهم ممن تخرج لهم، وفى الصوم صفاء للروح وسلامة للجسد وتعويد على الصبر والعطف على الفقراء، وفى الحج مايجمع بين قلوب المسلمين ويوحد كلمتهم. وبالاضافة إلى هذه الأركان الرئيسية فقد نصت الآيات الكريمة فى محكم التنزيل على الأسس التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى.

خامساً ـ الأسس السياسية والاجتماعية والاقتصادية :

وضع الإسلام بمصدريه ـ القرآن الكريم والحديث الشريف ـ الأسس السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للمجتمع الإسلامي فالإسلام دين ودولة. والآيات والأحاديث التي تنص على هذه الأسس جميعها متعددة، فهناك نظام الشورى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1] نظام سياسي رائع. وهناك تنظيم دقيق للعلاقات بين أفراد الأسرة، والعلاقات الزوجية ومسائل الميراث. كما فرض الإسلام الزكاة، وحضَّ على الأمانة وعدم الغش، وحَرَّم الربا والاحتكار.

هكذا برز المجتمع الإسلامي للوجود بما فيه من المقومات والروابط والأسس المتينة المبنية على الحق والعدل والمنطق والعقل.

ـ وفي حالة تكوين هذا المجتمع، كان لا بد من تأسيس دولة ترعى شئونه في جميع مظاهرها، وقد وضع الرسول عليه الصلاة والسلام على يده الطاهرة نواة هذه الدولة.

---

(١) سورة الشورى، من الآية ٣٨

أسئلة وتطبيقات

١ ـ اشرح باختصار الأوضاع العامة في الجزيرة العربية عند بدء الدعوة الإسلامية

٢ ـ ما الأهداف التي شاءت حكمة الله أن يحققها الرسول ﷺ ببناء مسجده بالمدينة المنورة ؟

٣ ـ اذكر بنود معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين ووضح أثرها في إبراز كيان الجماعة الإسلامية.

٤ ـ اذكر بعض الأسس التي قام عليها المجتمع الإسلامى بالمدينة المنورة.

مصادر ومراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ صحيح البخاري

٣ ــ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك .

٤ ــ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء .

٥ ــ ابن هشام : السيرة النبوية .

٦ ــ الدكتور أحمد شلبي : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (٧ أجزاء) .

٧ ــ الكتورة عائشة عبد الرحمن : موسوعة آل النبي عليه الصلاة والسلام .

٨ ــ الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٤ أجزاء) .

٩ ــ عباس محمود العقاد : عبقرية محمد .

١٠ ــ أبو الحسن على الندوي : السيرة النبوية .

١١ ــ الدكتور طه حسين : على هامش السيرة .

١٢ ــ أحمد أمين : فجر الإسلام .

١٣ ــ الدكتور جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام .

١٤ ــ كارل بروكلمان و تعريب : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي : تاريخ الشعوب الإسلامية .

١٥ ــ محمد أحمد جاد المولى وآخرون : قصص القرآن .

١٦ ــ محمد الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية .

١٧ ــ ناصر الدين دينيه بالاشتراك مع سليمان بن إبراهيم . ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود : محمد رسول الله .

١٨ ــ على حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة .

١٩ ــ محمد أحمد جاد المولي : أيام العرب في الجاهلية .

٢٠ ــ الدكتور فيليب حتى : تاريخ العرب .

٢١ ــ برستد . ترجمة دادو قربان : العصور القديمة .

Breasted, History of Early Civilization.

Sall, Ancient History of the Nesr East.

Encyclopidia Britanica.